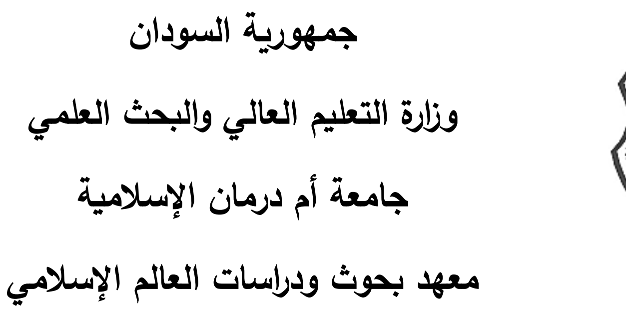




جمهورية السودان

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أم درمان الإسلامية

معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي

قسم الدراسات النظرية



منهج الإمامين ابن الجوزي وابن قيم الجوزية
في تناول الأديان الوضعية

من خلال كتابيهما: "تلبيس إبليس" و"إغاثة اللهفان"

"دراسة مقارنة"

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالب:

أحمد خليل أحمد سمساعة

إشراف الاستاذ الدكتور:

شوقي بشير عبد المجيد

1437هـ - 2017م



استـــهـــلال

قال اللّه تعالى:

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

[سورة آل عمران: آية 85]

إهــداء

- إلى الأمة المرحومة، أمة الإسلام، أمة نبي السلام عليه الصلاة والسلام.
- إلي والديَّ الكريمين، **"رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَيَّانِي صَغِيْراً"** [الإسراء: 24]، وأسرتـي المباركة..
- إلى جديَّ الكريمين: الشيخ حامد أب عصا، والشيخ حمد المجذوب رضي الله عنهما ..
- إلى أصحاب اليد البيضاء على العلم وأهله: أساتذتي ومشايخي الأوفياء الكرماء ..
- إلى زملائي الأعزاء رفقاء الدعوة إلى الله ..
- إلى كل باحث عن الحق والنجاة ..

أهدي هذا العمل المتواضع، سائلاً المولى القدير أن يتقبله وينفع به الأمة.

الباحث

شكر وتقدير

اللهم ربنا لك الحمد بما خلقتنا وهديتنا وعلمتنا، وبكل نعمة أنعمت بها علينا، وبالشكر تدوم النعم، كما قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، وفي الحديث المروي عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»[2].

وعملاً بهذه النصوص أرى لزاماً علي أن أزجي الشكر الوافر، والثناء العاطر إلى كل من أعانني في إنجاز هذا البحث.

وأخص بالذكر أولاً والديَّ الكريمين، على ما لقيت منهما من تربية وتوجيه وحسن تعليم، وأقول كما وصى الله تعالى: ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [3].

كما أخص بالذكر أيضاً معلمِيَّ عامة في مراحل التعليم المختلفة حتى بلوغي مرحلة الدراسات العليا، وبالأخص فضيلة الشيخ البروفسور: شوقي بشير عبد المجيد، الذي تشرفت بالطلب على يدية في مقاعد الدراسة في مرحلة البكالوريوس، وما بعدها، المشرف على هذ البحث – فكان –جزاه الله خيراً– نعم المعلم، حيث أفدت من توجيهاته المنهجية، ومن تصحيحاته، وما أمدني به من أسماء للكتب والمراجع، والدلالة على مواضع البحث فيها فله جزيل الشكر.

ثم لا أنسى أن أشكر جامعة أم درمان الإسلامية، ممثلة في كلية أصول الدين

---

(1) سورة إبراهيم، آية: 7.

(2) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، 1998م ج3/ ص403، رقم 1954، وأبو داود في السنن، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ج5/ ص157– 158، رقم 4811.

(3) سورة الإسراء، آية: 24.

وأساتذتها، التي تخرجت فيها، وكذلك معهد دراسات العالم الإسلامي التابع للجامعة، ذلكم الصرح الذي ولد بأسنانه، وضم كوكبة من المشايخ والعلماء والإداريين أهل الدراية والدربة، فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء لتشريفهم لي بالانضواء في سلك منسوبيهم من الباحثين، ورعايتهم مشروع بحث درجة الماجستير في العلوم الإسلامية.

والشكر أيضاً للاستاذين في لجنة المناقشة والحكم الموقرة لشرف اطلاعهما على البحث ومناقشته ونقده بما يفيد الطالب والمتلقي من بعد، فجزاهما الله عني وعن مسيرة البحث العلمي خير الجزاء..

وأشكر كل من شد من أزري حتى تم هذا البحث بهذه الصورة، فلهم جميعاً وافر العرفان والتقدير.

الباحث

مستخلص البحث

تناولت الدراسة منهج الإمامين: ابن الجوزي، وابن قيم الجوزية في تناول الأديان الوضعية، وقد هدفت الدراسة إلى تقديم صورة موضوعية عن الجهود التي بذلها الإمامان في حقل مقارنة الأديان لإبراز قيمتها العلمية، ورفد المكتبة الإسلامية بدراسةٍ موضوعيةً للتعريف ببعض الأديان الوضعية وبيان زيفها.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، بجانب المنهج التاريخي.

وجاء هيكل البحث منقسماً إلى مقدمة وأربعة فصول، تناول الفصل الأول تعريف الدين، وأقسام الأديان السماوية منها والوضعية، وحاجة الناس إلى الدين عامة، وإلى الإسلام منها خاصة، وتبين أن كل الأديان –عدا الإسلام– دخلت فيها يد البشر: إما بالتحريف والزيادة والنقصان –كما هو الحال في بعض الأديان السماوية– أو بالوضع ابتداءً، كما في الأديان الوضعية، وكل ذلك ظهر فيه التناقض ومخالفته الصريحة للعقل.

وفي الفصل الثاني تناول البحث عصر الإمامين، وقد تبين أن العصر الذي عاش فيه كل منهما كان مشابهاً للآخر، حيث اتسم كل منهما بأنه عصر صراع ديني وسياسي، وتنوعٍ مذهبي وطائفي على كل الصُعد، كما تبين من خلاله سعة علم الإمامين، وأن كلاً منهما كانت له مساهماته العلمية، ومؤلفاته المؤثرة في عصره.

وفي الفصل الثالث عرَّف الباحث بالكتابين موضع الدراسة، ذاكراً أوجه الشبه بينهما، وأوجه الاختلاف من حيث المواضيع المتناولة ومنهجية البحث، وسمات كل من الكتابين، فتبين أن كثيراً من المسائل اشتركا في تناولها، ومنها الأديان الوضعية، وبعضاً منها انفرد بها كلٌ منهما، وإن كان موضوع الكتابين واحداً في بيان سبل الشيطان في غواية الناس، وطرق الوقاية منه.

وتناول البحث في الفصل الرابع الأديان الوضعية بالتفصيل في ستة مباحث، وهي التي تناولها الإمامان: الأول في الفلسفة والفلاسفة، والثاني في الدهرية

والطبائعية، والثالث في المجوس والثنوية وعباد النار، والرابع في الصابئة، والخامس في البراهمة والديانة الهندوسية، والسادس في جاحدي البعث والقائلين بالتناسخ. وفي كل دين عرَّف به وبأهله وعقائدهم، وطوائفهم، والرد عليهم بالعقل والشرع، وربما بالحس والفطرة كما في ديانة الدَّهرية، وديانة منكري البعث والمعاد، واستقرأ البحث ما تناوله الشيخان بخصوصها، مع الموازنة بين طريقة كل منهما، وما اشتركا في ذكره، وما زاده كل منها على الآخر، وكيف نقضا تلك الأديان.

وخلص البحث إلى عدة نتائج، أهمها أن دين الله المرتضى واحدٌ، هو الإسلام الموافق للفطرة والعقل، وقد حظيت الأمة المحمدية بتراث هائل من الحديث حول علم مقارنة الأديان، وحتى في غير كتب العقائد والأديان كالتفسير والسيرة والتاريخ، ومن ذلك ما تناوله الإمامان في كتابيهما "تلبيس إبليس" و"إغاثة اللهفان"، ولعل من الملاحظ أن بلاد الهند وبلاد فارس هي أكبر حاضن للأديان الوضعية في الأرض.

كما وصى البحث ببعض التوصيات، التى ختم بها، كتنبيه الطلاب إلى أن كثيراً من الحقائق والمعلومات عن الأديان ما زالت حبيسة المؤلفات في غير مظانها المتبادرة، تنتظر من يتناولها بالدراسة، وذلك بعد استقصاء لما كُتب حول الأديان في جامعاتنا الوطنية كببلوغرافية، مع استصحاب وسائل التعليم الحديثة لإيصال المعلومات عن هذه الأديان، والتعريف بعقائدها المنحرفة وتعريتها.

قَدم هذا الباحث لنيل درجة الماجستير في العقيدة والأديان الباحث: أحمد خليل أحمد سمساعة، وإشراف: أ.د/ شوقي بشير عبد المجيد، في العام: 2016 – 2017م.

ABSTRACT

The study aimed to provide an objective picture of the efforts made by the two (imams) in the field of comparing religions to highlights their scientific value, and the Islamic library to study objectively to identify some religions and positivism and explain its false. The research ar the Descriptive, analytical inductive method, besiden The Historical method.

the research is divided into an introduction, four chapters. The first chapter deals with the definition of religion, the sections of heavenly religions, the status of people, the people's need for religion in general, Islam in particular, and it shows that all religions except Islam appeared in the contradiction and the violation of open mind.

In the second chapter, the study examined the age of the two (imams). It was found that the age in which they lived was somewhat similar. It is characterized as an age of religious, political conflicts, sectarian, sectarian diversity at all levels. His scientific contributions, and influential authors of ther time.

In the third chapter, the study identified the two books citing the similarities between them, the differences in terms of the topics covered the methodology of the research, and the characteristics of both books. The subject of the two books was on the devil in seduction of people, and methods of prevention.

The fourth chapter deals with the religions in detail in six topics: the first in philosophy and philosophers, the second in the Atheists, the third in the Magi, the Worshiper of Light and the Dark, and the Servants of Fire, the fourth in the Sabians, the fifth in the Brahmans, the Hindu religion, the six in the deniers of Ressurrction and the Baathists and those who call for reincarnation. he explain every religion and show its deniers of Followers their beliefs, their communities, respond to them with reason and legitimacy, perhaps sense, instinct as in the religion of Atheists, the religion of the deniers of the Ressurrction the rest, And the research examined

what the two (imams) regarding them, while balancing between each method, and what they participated in it, what every one of them had add to the other, and how they have rejected those religions.

The resereach ended to many results that The followers of Muhammad were lucky that they received a huge heritage of modernity on the science of the comparison of religions, even in the books of beliefs and religions such as interpretation, biography and history, and that is what the two (imams) addressed in their books Talbeese Ibleese (The Satan deceit) and Iqatha Allahfan (Relief of Eager), it may be noted that the country of India and Persia is the largest incubator of religions status in the Earth.

The study also recommended some recommendations, which concluded by telling the students that many facts and information about religions are still locked in the works in their non-existent form, waiting for those who study them, after investigating what has been written about religions in our national universities as bibliographies, To communicate information about these religions, to identify and define their deviant beliefs.

This reaserch is introduced by: Ahmed Khalil Ahmed Simsaa.

To obtain Master degree in beliefs & religions.

Supervisor: Prof. P. H. D. Shougi Basheer Abdlmajeed.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، شرع لنا ديناً قويماً، وهدانا صراطاً مستقيماً، وأسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وهو اللطيف الخبير، اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله، أنت رب العالمين، سبحانك لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين، وأميناً على وحيه، مبيناً لكتابه، خاتماً لأنبيائه ورسله، مقيماً به الحجة على الناس إلى يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه البررة الأوفياء، أئمة الدين وصفوة الخلق بعد الرسل والأنبياء، وأرضَ اللهم عنهم وعمن تبع سنتهم، وسلك طريقتهم، واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

أما بعد

فإن من أعظم منن الله سبحانه وتعالى على عباده أن بعث فيهم رُسلاً مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وهداهم إلى صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾[2].

(1) سورة النساء، آية: 165.

(2) سورة آل عمران، آية: 164.

فصار الناس فريقين: مؤمن، وكافر، كما قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾[1].

فأما المؤمنون فهم فرقة واحدة على سبيل الحق، يهتدون بنور الله ويحتكمون إلى شرعه، فطريقهم نور على نور، إلى أن يبلغوا غاية الأمر ونهايته، وهو رضوان الله عز وجل وجنته، وأما الكافرون فهم على سبل متشعبة متفرقة، يجمعهم الكفر وتفرقهم الأهواء والشهوات..

فمنهم المُلحد الذي يتعامى عن الإيمان بربه، ويتخبط على غير هدى..

ومنهم الوثني الذي ضل عن الله الواحد؛ فعبد ما لا يسمن ولا يغني من جوع..

ومنهم الباطني الذي يضمر الزندقة والانحلال العقدي، ويظهر خلاف ما يُبطن.

ومنهم اليهودي الذي أعماه الكبر والحسد، وأضله الله على علم، فاستحق غضب الله ولعنته.

ومنهم النصراني، عابد الصليب، الذي اتخذ إلهه هواه حتى عدّ الوثنية ديناً حقاً، والشرك توحيداً، وقال في الله قولاً عظيماً..

وفي سبيل تمييز الطريق المفضي إلى رضوان الله تعالى ذلك اجتهد العلماء في بيان خطر الميل عن سواء الصراط يمنة ويساراً، عملاً بقوله عز من قائل: ﴿ **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴾[2]، فتناولوا الأديان ومقالاتها المختلفة، محذرين ومنذرين.

ولما بدأ الباحث بالتفكير في دراسة الماجستير، وعاش حيرة اختيار العنوان لبحثه

---

(1) سورة النحل، آية: 36.

(2) سورة الأنعام، آية: 153.

كأي دارس في هذه المرحلة، طفق يسأل أهل الدراية ومن تقدمه في دروب البحث حتى استقر رأيه -والحمد الله تعالى- على دراسة الأديان الوضعية، وذلك من خلال وجهة نظر عَلَمين من علماء الأمة المسلمة، أحدهما عَلم من أعلام القرن السادس الهجري، هو الإمام الحافظ عبد الرحمن بن الجوزي، وهو إمام ذو موسوعية علمية كبيرة، تتنوع بين الفقه والحديث والتاريخ، وغيرها، وقد تناول الأديان ضمن كتابه "تلبيس إبليس"، وتناوله للأديان فرضته طبيعة الكتاب وموضوعه الذي قام عليه، وكتب فيه بعين الناقد الباحث، وتضمن منهجاً ونقداً فريداً استوجب الوقوف عنده.

والثاني عَلم من أعلام القرن الثامن الهجري، هو الإمام الحافظ محمد بن قيم الجوزية، وهو أيضاً عالم موسوعي متفنن في العلوم والمعارف المتعددة، وقد تناول الأديان في كتابة: "إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان"، بمنهجية ومهنية متمكنة، فاستوجب ذلك أيضاً الوقوف عنده ومقارنته بكتاب "تلبيس إبليس"، وذلك تحت عنوان: "منهج الإمامين: ابن الجوزي وابن الجوزية في تناول الأديان الوضعية من خلال كتابيهما: تلبيس إبليس وإغاثة اللهفان دراسة مقارنة"، وإني أسأل الله في ذلك السداد والقبول.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1 - الحاجة لتمييز الخير من الشر، وقد غزا الملحدون والمشككون ديار المسلمين يبثون السموم بينهم، ويتصيدون الجهلة والبسطاء؛ فبمعرفة المسلم للديانات الباطلة يستطيع أن يتبين فساد دعوتهم، وانحرافهم الديني الذي هم عليه، وخبث مقاصدهم وسوء نياتهم ويُحذِّر غيره، ويحصن أمته، وذلك على حد قول القائل:

عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

2- صلة هذ الموضوع بأركان الإيمان الستة، ألا وهي: الإيمان بالله وملائكته

وكتبه ورسله، والقضاء والقدر، حيث إن أصحاب الديانات الوضعية تطرقوا لها جميعا بالإثبات والنفي.

3- أن من واجب العلماء والدعاة وطلبة العلم العناية بالقرآن والسنة وحراسة الدين ودفع شبهات أعداء الإسلام عنهما، وفضح المبادئ التي من صنع البشر، وذلك فرض كفاية، يُؤجر عليه صاحبه.

4- أن البحث يتعلق بمنهج إمامين كبيرين مشهود لهما بالرسوخ، ومن المؤكد أن تسليط الضوء على ما جادت به قريحتاهما يثري المكتبة، ويشجع طلاب العلم على الغوص في بحار علم هذين الإمامين وأمثالهما والاستفادة من كنوزهما.

من أجل ما ذلك كله كان هذا البحث حول الأطر التي وضعها علمان من أعلام المسلمين في زمانهما، لمحاولة فقه الحياة كما يريدها الله لنا، طلباً للنجاة من الوقوع في الضلال ما أمكن، والتعرف على وجهة الصراط المستقيم، والسبيل الضامن للفوز في الآخرة.

أسباب اختيار الموضوع

تفصيلاً لما أُجمل آنفاً أذكر أهم ما حداني لاختيار هذا الموضوع:

هناك عدة أسباب جعلت الباحث يختار هذا الموضوع، منها:

- أولاً: أن دراسة الأديان عامل مساعد للداعية يسهل عليه دعوة أصحاب الأديان المنحرفة بإبراز مواضع الانحراف والفساد في دياناتهم، ثم نقلهم إلى ما يقابلها في الدين الإسلامي ويبرز لهم بضاعة الإسلام وسلامته من التحريف في مصادره، وانسجامه مع الفطرة البشرية السليمة في عقيدته وعبادته وتشريعاته.

- ثانياً: إن النظرة الفاحصة الواعية لما عليه الأديان غير الإسلام تزيد المسلم يقيناً بدينه؛ إذ يظهر له تميز الإسلام ورفعته، وأنه الدين الذي قام ولا يزال على التوحيد الخالص، والعبادة الحقة لله عز وجل، والشرع الصالح للبشر الذي وافق الفطرة ولا يناقض العقل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كما يتضح له سلامة مصادر

الإسلام من التحريف الذي وقع في مصادر الأديان الأخرى.

–ثالثاً: مع ظهور عصر الاتصالات صار العالم قرية واحدة، تداخلت فيه الثقافات، وتلاقحت الحضارات، والإنسان مدني بطبعه –كما يقول علماء الاجتماع– يستهويه كل جديد، محب للتقليد كذلك بفطرته، ومما جلبته الفضائيات معها من إبراز ما عند الشعوب من أديان وثقافات، وفيها الكثير مما يدعو وينادى بالتزام معتقده وتقديمه في قالب جاذب مثير ما يوجب على العلماء وطلاب العلم تحصين الأُمة مما يخالف الفطرة ويناقض المعقول من ديانات كنا نظنها قد اندثرت في عالم التقنية والنضوج الإنساني!، وإذا بها قائمة حتى اليوم كما ظهرت أول مرة، وإن تغيرت بعض مسمياتها، والعبرة بالمعاني والمضمون.

– رابعاً: الوقوف على عظيم التراث الذي خلّفه علماؤنا السابقون، فهو مصدر فخر وعز، كما أنه يزيد المرء بركةً ونوراً وهدايةً، ويدفعه للترحم على أرواح من سبق من أهل العلم والفضل ومشاركة الأجر.

أهداف البحث

يسعي البحث لتحقيق الآتي:

1– الكشف عن عظم ديانة الإسلام الموافقة للفطرة والعقل، مقارنة مع غير من الأديان.

2– كشف حال بعض الأديان الوضعية، وبيان مخالفتها للفطرة، ورفد المكتبة الإسلامية بما يقرِّب هذه الأديان للدارسين.

3– إبراز مكانة الإمامين (ابن الجوزي وابن القيم) العلمية وبيان تمكنهما في معرفة الأديان.

الدراسات السابقة

نظراً لرسوخ قدم الإمامين، وسابقتهما في نشر علوم الإسلام فقد تناولهما بالبحث كثير من الدارسين في مسائل تخص التفسير والحديث والفقه وغيرها، ولم يغفلوا جانب

الاعتقاد عامة، ولكن لم أوفق بخصوص موضوع الأديان إلى بحث أو كتاب –حسب اطلاعي المحدود وسؤال أهل الاختصاص– على ما يطابق أو يقرب من العنوان الذي تناولته في الأديان، ولكن هناك بعض الدراسات التي تناولت منهج ابن الجوزي خاصة في العقيدة والفرق المنتسبة للإسلام، خاصة دون الأديان التي هي موضع دراستي، أكتفي منها على العنوانين التاليين:

الأول دراسة بعنوان: "منهج الإمام ابن الجوزي في دراسة الفرق الإسلامية من خلال كتابه: "تلبيس إبليس" للدكتور: محمد أحمد عبد المطلب عزب[1].

الثاني بعنوان: منهج دراسة العقيدة بين ابن الجوزي وعبد الغني المقدسي، دراسة تحليلية مقارنة، مطر سالم العازمي[2].

الصعوبات التي واجهت الباحث

لم توجد صعوبات تذكر واجهت الباحث والحمد لله، وإن كان من شيء فعدم وجود دراسات سابقة تطابق أو تقرب من عنوان البحث، ولكن –والحمد لله– في كل فصل من فصوله كتب العلماء وأرباب الأديان والمقالات ما يقرب البعيد ويعين على تصور المطلوب وصياغته.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في السؤال المحوري الآتي:

مع تقدم البشرية ونضوج العقل الإنساني، وفي ظل وجود كمٍّ هائل من الآيات الكونية التي ترشد صاحبها إلى منطق العقل والصواب، هل ما زال هناك أناس يؤمنون ببعض الأديان التي هي في أصلها من وضع البشر منذ عصور بدائية بائدة، ليس فيها معينات تدل صاحبها على حقيقة الأمر؟. وهل ساهم أئمة الإسلام في كشف زيف هذه الأديان وتبصير الناس إلى السبيل القويم؟.

---

(1) بحث في نحو 140 صفحة، نشر في مجلة جامعة المدينة العالمية، ع/ 13، سنة 2015.

(2) رسالة نوقشت بدار العلوم – جامعة القاهرة.

أسئلة البحث:

- هل يمكن دراسة هذه الأديان ومعرفة عقائدها ومن ثم نقدها سلباً وإيجاباً؟

- ما مدى انتشار هذه الأديان في واقع اليوم؟.

- كيف أسهم الشيخان (ابن الجوزي وابن الجوزية) في نقد هذه الأديان وتجلية حالها للناس؟.

فروض البحث:

- الأديان منها السماوية ومنها الأرضية، وليس فيها ما يتماهى مع الفطرة السليمة غير الإسلام.

- ما زالت الأديان الوضعية المقصودة بالدراسة باقية على معظم ما كانت عليه في حالها القديمة.

- قدرة هذه الأديان على الصمود مآت السنين يعني أن هناك عوامل أدت إلى ثباتها مما يستوجب دراستها، وليس ذلك بالأمر الصعب.

- أسهم علماء الإسلام على مر العصور في بيان نقد هذه الأديان.

- للإمامين (ابن الجوزي وابن الجوزية) قِدح معلًّى في رفد المكتبة الإسلامية ببيان حال الطوائف والأديان الأرضية ونقدها.

منهج البحث

تظهر أبرز ملامح البحث في الملاحظات التالية:

1- اتباع منهج البحث العلمي في تقسيمه إلى فصول، يتضمن كل فصل مبحثين أو أكثر، وكل مبحث يتضمن مطالب حسب طبيعة الموضوع المتناول وهكذا.

2- اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي، إضافة للمنهج التاريخي وتمت صياغته وفق هدف البحث حسب الملامح المذكورة:

3- الالتزام بنقل المعلومات وتوثيقها في الحواشي من باب إسناد الفضل إلى أهله.

4- عزو الآيات إلى سورها بأرقامها، ووضعها في الحواشي.

5- تخريج الأحاديث والآثار -على قلتها- كان على النحو التالي:

- إذا كان الحديث موجوداً في الصحيحين أو أحدهما يُكتفى بذكرهما عن بقية كتب السنة.

- وإن كان في السنن الأربعة يُكتفى أيضاً بذكره منها دون سواها مما وراءها من كتب الحديث، وربما ضُم إليهم الإمام أحمد كذلك إذا كان الحديث مروياً أيضاً في مسنده.

- وإن لم يكن في السبعة السابقة فيُذكر من خرجه من الأئمة.

- التزام ذكر اسم الكتاب والباب والجزء والصفحة عند التخريج.

6- أبو الفرج بن الجوزي أذكره اختصاراً بابن الجوزي، وإذا ورد ذكره قريباً ذكرته بلقب: "الشيخ"، أو "الإمام"، والحال ينطبق على ابن قيم الجوزية، فأحياناً أذكره بـ "ابن القيم"، وأحياناً بلقب: "الشيخ"، أو "الإمام". وإذا ذكرتهما سوياً وصفتهما بـ: "الشيخين، أو الإمامين".

7- ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث، ترجمة وسطاً بين التطويل والتقصير، وهذا يكون عند أول ورود ذكر للعَلَم غالباً، اللهم إلاَّ إن كانت ترجمته لاحقاً ألزم. ولم أترجم للأنبياء والصحابة ﷺ لشهرتهم وسهولة الحصول على تراجمهم، وكذلك لم أترجم لبعض الغربيين، وربما أكتفي بوصف الواحد منهم بـ "الفيلسوف"، أو "المفكر"، لعدم وجود ترجمة لهم كافية في المصادر المتاحة.

8- التعريف بالفِرق، والطوائف، والبلدان، والمفردات الغريبة الواردة في أصل البحث.

9- بالنسبة للتعريف بالكتابين تَجنَّب البحثُ بعض ما فائدته ليست مباشرةً في أصل موضوعه، كذكر النُّسخ الخطية لكل من الكتابين، والمطبوع منها ومحققيها وغير

ذلك، واقتصر فقط على ذكر المهم منها الذي يخدم موضوع البحث.

10- كذلك لما لم يكن المقصد الرئيس من البحث ذات حياة الشيخين، أو استيفاء جميع جوانب وجزئيات مسيرتهما، وإنما الأصل هو دراسة الأديان التي ذكراها- جاءت ترجمتهما وسطاً بين التطويل والتقصير؛ لئلا يخرج البحث عن هدف العنوان.

11- قُسمت المباحث في كل دين تناوله البحث إلى قسمين: قسم للتعريف به عامة، وقسم لما تناوله الشيخان به خاصه، وكل منهما مقسم حسب منهج البحث المعروف، وغالباً ما يشمل: التعريف بالديانة، وعقائدها، ومقالات أهلها، وعباداتها، وشرائعها، وطقوسها، والرد عليها.

12- في نقل كلام الشيخين كان البدء أولاً بذكر من وافق كلامه التسلسل المنطقي لعرض الموضوع، وإن لم يكن لأحدهما قول -حسب الترتيب- كان البدء بكلام ابن الجوزي غالباً باعتباره مقدماً في عصره على ابن القيم.

13- رَكَّز البحث على ستة أديان هي الكبيرة، وأغفل الحديث عن بعض؛ وذلك: إما لأن حديث الإمامين لا يتجاوز فيهما أسطراً قليلة كإشارات، وذلك مثل عباد الحيوانات والبشر والشجر، أو لأن بعضها داخل في غيرها، كعباد القمر -مثلاً- فإنَّه يدخل ضمن الحديث عن دين المجوس، وكأصحاب الهياكل، فإنَّه داخل ضمن الحديث عن دين الصابئة.

14- في كتاب "تلبيس إبليس" اعتمد البحث طبعة "دار الفكر"، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، عام 1421هـ - 2001م، وفي كتاب "إغاثة اللهفان" اعتمد طبعة مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، بتحقيق محمد حامد الفقي؛ بسبب توفرهما وسهولة حصولهما دون غيرهما.

15- وضع فهارس متنوعة لتسهيل الوصول للمراد في البحث.

هيكل البحث

ينقسم البحث إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة فيها النتائج والتوصيات، ثم فهارس كشفية عامة.

مقدمة: وتضمنت: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، والصعوبات التي واجهت الباحث، ومشكلة البحث، وأسئلة البحث، وفروضه، وهيكل البحث، ثم خاتمة البحث والنتائج والتوصيات، والفهارس العامة.

الفصل الأول:

تعريف "الدين" وأقسامه، وحاجة الناس إليه.

وفيه ثلاثة مباحث:

كل مبحث فيه مطلبان، وعدد من المسائل والفروع

الفصل الثاني:

عصر الإمامين: ابن الجوزي وابن الجوزية وحياتهما

وفيه أربعة مباحث:

كل مبحث فيه ثلاثة مطالب، وعدد من المسائل والفروع

الفصل الثالث:

التعريف والموازنة بين الكتابين

وفيه مبحثان: كل مبحث فيه مطلبان، وعدد من المسائل والفروع

الفصل الرابع:

الأديان الوضعية

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: الفلاسفة

وفيه مطلبان، كل مطلب فيه عدد من المسائل والفروع

المبحث الثاني: الدهريون والطبائعيون

وفيه مطلبان، كل مطلب فيه عدد من المسائل والفروع

المبحث الثالث: المجوس والثنوية والزرادشتية

وفيه أربعة مطالب، كل مطلب فيه عدد من المسائل والفروع

المبحث الرابع: الصابئة

وفيه مطلبان، كل مطلب فيه عدد من المسائل والفروع

المبحث الخامس: البراهمة

وفيه مطلبان، كل مطلب فيه عدد من المسائل والفروع

المبحث السادس: جاحدو البعث والقائلون بالتناسخ

وفيه أربعة مطالب، كل مطلب فيه عدد من المسائل والفروع

وختم الباحث بخاتمة ونتائج وتوصيات، ثم فهارس العامة.

والحمد لله أولاً وآخراً

الباحث

الفصل الأول

تعريف الدين وأقسامه وحاجة الناس إليه

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الدين لغة واصطلاحاً

المبحث الثاني: أقسام الأديان

المبحث الثالث: حاجة المجتمعات للدين

المبحث الأول

تعريف الدين لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الدين لغة

المطلب الثاني: تعريف الدين اصطلاحاً

المبحث الأول

تعريف الدين لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: تعريف "الدين" لغة:

لفظ "الدين" من الألفاظ التي لم تخلُ منها لغة من اللغات أو أمة من الأمم؛ لأن التدين فطرة كما سيتبين في المبحث الثالث، وقد تعددت دلالتها بتعدد الأمم مع وجود قاسم مشترك بينها في المدلول العام.

وقد عرفها العرب بمدلولات شتى:

الدين في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي "دَانَ"، وهو فعل يتعدى تارة بنفسه، وتارة باللام، وتارة بالباء. ويختلف المعنى باختلاف ما يتعدى به[1].

1- إذا عديت الكلمة بنفسها فقلنا: "دانه دينا": شملت معاني: الملك والحكم والقضاء والقهر والمحاسبة والجزاء والأمر والإكراه والغلبة والاستعلاء والسلطان وما في معناها من ذي سلطة عُليا:

يقال: دِنتهم فدانوا أي قهرتهم فأطاعوا، والديان: القهار من دان القوم: إذا ساسهم وقهرهم فدانوا له، ومنه قول ذي الأصبع العدواني[2]:

لاه ابنُ عمك لا أفضلتَ في حسب فينا ولا أنت ديّاني فتخزوني

أي لست بقاهر علي فتسوس أمري، وفسرت كلمة "دان" في الأثر المروي عن

---

(1) ينظر في هذا التقسيم: الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د/ محمد عبد الله دراز ص 38 – 39، ط: مؤسسة إقرأ، القاهرة – مصر (بدون)، وستأتي شواهد كلٍ في أمهات كتب الغريب ومعاجم اللغة في الأسطر التالية.

(2) هو: الحارث بن محرث، وقيل "الحرثان" (ت حوالي 22 ق.هـ)، ينتهي نسبه إلى مضر. شاعر جاهلي حكيم لقب بذي الإصبع لأن حية نهشت إصبع رجله، وقيل: لأنه كانت له إصبع زائدة. الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدنيوري، دار الحديث، القاهرة – 1423هـ، ج2/ ص697 والأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، نشر: دار العلم للملايين، ط. 15 – 2002م، ج2/ ص173.

النبي ﷺ: "الكيّسُ مَنْ دَانَ نَفسَهُ"[1] بالقهر أي قهر نفسه وذللها وحاسبها، ومن ذلك أن يقال: ديان للقاهر الغالب على قطر أو أمة أو قبيلة والحاكم عليها، كما قال الأعشى الحرمازي[2] مخاطباً النبي ﷺ: يا سيد الناس وديان العرب.

ومنه سمى الله "الديان"؛ لأنه يقهر الناس على الطاعة ويحكمهم..

قال ابن منظور[3]: «الديان من أسماء الله عز وجل معناه: الحكم القاضي، والديان القهار »[4].

ومن معاني الكلمة في الجزاء والمكافأة والحساب قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[5] أي يوم الجزاء.

وقوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾[6] أي هل نحن مجزيون

---

(1) أخرجه الترمذي، كتاب صفة القيامة، ج4 ص219 رقم 2459.

(2) هو: ميمون بن قيس بن جندل، أبو بصير الوائلي، المعروف بأعشى قيس، وأعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير(000 – نحو 100هـ): من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. ولقب بـ"الأعشى" لضعف بصره، وبـ"صناجة العرب"، لأنه كان يغني بشعره، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعراً منه، عاش دهراً، وأدرك الإسلام ولم يسلم. مولده ووفاته في قرية "منفوحة" باليمامة. الشعر والشعراء: ابن قتيبة، ج7/ ص341.

(3) هو محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الإمام اللغوي الحجة، (630 – 711هـ)، ولد بمصر وتولي القضاء في طرابلس. له من المؤلفات: "لسان العرب"، و"مختصر الأغاني". الدرر الكامنة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد – الهند، ط. 2، 1392هـ/ 1972م، ج5/ ص287 ، 288، وبغية الوعاة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا، ج1/ 248.

(4) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط.3 – 1414هـ، ج13/ ص166.

(5) سورة الفاتحة آية: 4.

(6) سورة الصافات آية: 53.

محاسبون.

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾[1].

ودنته بفعله ديناً "بفتح الدال وكسرها": أي جزيتة، وفي المثل: كما تدين تدان: أي كما تجازي تجازى، ودانه دِينا: أي جازاه وحاسبه، ومن ذلك قول الشاعر[2]:

وأعلم وأيقِن أن ملكك زائل وأعلم بأنك ما تدين تدان

وقال القرطبي[3]: «الدين، والجزاء على الأعمال والحساب بها، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[4]، أي حسابهم، ومنه: الديان في صفة الرب تعالى: أي المجازي»[5].

الحكم والملك والقضاء، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ ﴾[6] أي حكمه وقضاؤه؛ لأن نظام الملك وشرعه، ما كان

(1) سورة الذاريات آية: 6.

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر ابن جرير الطبري، محمد بن جرير تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط. 1، 1422هـ - 2001م ج1/ ص157.

(3) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي الأندلسي المالكي، (600 - 671هـ)، أحد مشاهير المفسرين، رحل إلى الشرق بمصر وتوفي فيها. له من المؤلفات: "الجامع لأحكام القرآن"، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة، الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة ط: 3، 1405هـ / 1985م، طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص 92، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة - القاهرة، ط. 1، الأعلام ج5/ ص322.

(4) سورة النور آية: 25.

(5) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط.2، 1384هـ - 1964م، ج1/ ص 144.

(6) سورة يوسف آية: 76.

يجعل عقوبة السارق هو أخذه جزاء سرقته، إنما كان هذا نظام يعقوب وشريعة دينه، فالدين هنا هو نظام الحكم.

قال ابن كثير[1]: «أي لم يكن له أخذه في حكم ملك مصر. قاله الضحاك وغيره»[2].

فالأنظمة والشرائع كلها أديان؛ ولذلك سمَّى اللَّه الحُكم وسياسة الدولة ديناً؛ لأنَّه يدان به، ويخضع لسياسته، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3] أي لا تخضعوا لغير اللَّه وأحكامه؛ لأنَّ العبادة تعني الخضوع كما قال تعالى: ﴿ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾[4].

قال الطبري[5]: «أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتمرون لأمرهم، ويدينون لهم»[6].

2- وإذا عديت الكلمة باللام فقلنا: "دان له" شملت معاني: الطاعة والخضوع

---

(1) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي الشافعي الدمشقي، (700 - 774هـ)، أبو الفداء، عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه مفسر، لازم الحافظ المزي وتزوج بابنته، وسمع من الشيخ تقي الدين بن تيمية، وابن القيم. له عدة مصنفات، أشهرها: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، واختصار علوم الحديث. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر، ج1/ ص445، والأعلام ج1 ص320 ، 321.

(2) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقق: سامي بن محمد سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 2، 1420هـ - 1999م، ج4/ ص401.

(3) سورة يوسف، آية: 40.

(4) سورة المؤمنون، آية: 47.

(5) هو محمد بن جرير بن يزيد بن غالب، أبو جعفر الطبري، (224 - 310هـ)، إمام المفسرين، ولد بطبرستان وتوفي ببغداد، له من المؤلفات: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن" المشهور بين الجمهور "بتفسير الطبري"، و"تاريخ الأمم والملوك"، و"تهذيب الآثار". البداية والنهاية ج11/ ص156، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر، ط.1، 1418 هـ - 1997م، وسير أعلام النبلاء ج14/ ص267.

(6) جامع البيان، مرجع سابق، ج17/ ص51.

والعبادة والذل والانقياد وما في معناها، يقال: دان له يدين دِيناً: إذا أصحب وانقاد له وأطاعه وخضع وذل له..

قال ابن فارس[(1)]: «"دين" الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها، وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين دِيناً، إذا أَصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي مُطِيعون منقادون. قال الشاعر:

وكانَ النّاس إلاّ نحنُ دِينا

والمَدِينة كأنّها مَفْعلة، سُميت بذلك لأنّها تقام فيها طاعةُ ذَوِي الأمر. والمدينة: الأَمَة، والعَبْدُ مَدِينٌ؛ كأنّهما أذلّهما العمل»[(2)].

وقال الزبيدي[3]: «والدين الطاعة، وهو أصل المعنى وقد دنته ودنت له أي أطعته»[4].

والدين لله: إنما هو طاعته والتعبد له، ودانه دِيناً: أي أذله واستعبده يقال: دنته فدان وقوم دِين: أي دائنون مطيعون منقادون قال الشاعر:

ويوم الحزن إذ حشَدتْ مَعدٌّ وكان الناس إلاَّ نحن دِينا

---

(1) هو أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي، أبو الحسينِ، (أوائل القرن الرابع الهجري – 395هـ)، من أعلام اللغة العربية، توفي في الرِّي. له: المجمل، والصاحبي في فقه اللغة. بغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، مرجع سابق، ج1/ ص352، ج2/ ص265، والأعلام، الزركلي: ج1/ ص193.

(2) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين الفارسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، ط. 1399هـ – 1979م، ج2/ ص319.

(3) هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى. (1145 – 1205هـ)، عالم باللغة والحديث والأنساب، أصله من واسط العراق، ومنشأه في زبيد باليمن، وأقام بمصر وفيها توفي. له من المؤلفات: تاج العروس في شرح القاموس للفيروزابادي، وإتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي. الأعلام، الزركلي ج7/ ص 70.

(4) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية ج35/ ص54. ص54.

يعني بذلك مطيعين على وجه الذل(1).

وبها فُسر قول النبي ﷺ: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»(2) أي ينسلخون من طاعة الإمام ولا يخضعون له.

والمدينة: مفعلة: سميت بذلك لأنها تقام فيها طاعة ذوي الأمر، والمدينة الأمة، والعبد: مدين، سُميا بذلك لأنهما أذلهما العمل.

والملاحظ هنا أن بين المعنيين السابقين تلازماً، وكلاهما مرتبط بالآخر: فقولنا: "دانه فدان له": أي قهره فخضع له وأطاع وذل، فاستعملت الكلمة في الضدين: العزة والقهر والاستعلاء، وضدها: الذل والطاعة والخضوع.

قال القرطبي: «قال ثعلب(3): دان الرجل: إذا أطاع، ودان: إذا عصى، ودان، إذا عز، ودان: إذا قهر، فهو من الأضداد"(4).

3- وإذا عديت كلمة "دين" بالباء فقلنا: "دان به" شملت معاني: العادة والشأن والملة والطريقة والسيرة وما في معناها[5]؛ لأن كل من دان بشيء فقد اتخذه مذهباً وديناً

---

(1) انظر: لسان العرب ج13/ ص170، ومعجم مقاييس اللغة ج2/ ص319.

(2) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ج9/ ص16، رقم 6930، ومسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ج2/ ص 742، رقم 1064.

(3) تفسير القرطبي، مرجع سابق، ج1/ ص144

(4) هو أحمد بن يحيى بن زياد بن سيار الشيباني ولاءً، الكوفي، أبو العباس المشهور ب "ثعلب"، (200 – 291هـ) لغوي نحوي ومحدث حجة، له من المؤلفات: "الفصيح" و"مجالس ثعلب"، و"معاني القرآن" و"إعراب القرآن". تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 1، 1422هـ – 2002م، ج6/ ص448، وبغية الوعاة، السيوطي، ص172.

(5) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/ ص319، ولسان العرب ج13/ ص167، وتاج العروس ج35/ ص54.

واعتاده وتخلق به، وعلى هذا فكل طريقة يسير عليها المرء في حياته نظرية كانت أو عملية تسمى ديناً، يقال: دِينَ: أي عُوِّد، ويقال: ما زال ذلك ديني وديدني، أي دأبي وعادتي. وعدّه الزبيدي بأنه هو أصل المعنى، وكان ﷺ على دين قومه: ليس معناه على الشرك وعبادة الأصنام، إنما معناه: على عادتهم من الكرم والشجاعة وغير ذلك من أخلاقهم الحميدة.

فكأن الدين أطلق على العادة؛ لأن النفس إذا اعتادت شيئاً مرنت معه وانقادت له.

وهذا المعنى الثالث مرتبط بالمعنيين قبله كذلك؛ لأن من دان بالشيء يكون قد خضع له وانقاد والتزم طاعته واتباعه، وقد بين كيفية التلازم بينها الدكتور محمد عبد الله دراز [1] فقال: «وجملة القول في هذه المعاني اللغوية: أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له:

فإذا وصف بها الطرف الأول، كانت خضوعاً وانقياداً..

وإذا وصف بها الطرف الثاني، كانت أمراً وسلطاناً وحكماً وإلزاماً..

وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين، كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة والمظهر الذي يعبر عنها.

ونستطيع الآن أن نقول: إن المادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد، فإن الاستعمال الأول: الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني: هو التزام الانقياد، وفي الاستعمال الثالث: هو المبدأ الذي تلتزم الانقياد له» [2].

---

(1) محمد بن عبد الله دراز (1312هـ - 1377هـ = 1894 - 1958م)، الدكتور: الفقيه الأديب، وُلد في قرية محلة، ودرس اللسانس في جامعة السربون بفرنسا حصل على عضوية جماعة كبار علماء الأزهر في مصر سنة 1949م. توفي في باكستان أثناء حضوره المؤتمر الإسلامى. له من المؤلفات: النبأ العظيم، دستور الأخلاق في القرآن، الدين، وغيرها. انظر مقدمة كتابه: "الدين".

(2) الدين، دراز ص 38،39 مرجع سابق.

ومن المعاني الأخرى كذلك لكلمة "دين" في اللغة حسب ما جاء في كتب الغريب السابق ذكرها:

4- وهناك معان هذا أخرى للكلمة في اللغة، ذكرها الزبيدي في المواضع السابقة، منها: التوحيد، والورع، والمعصية، والإكراه، والحال، تنظر كذلك في مطولات الغريب[1].

هذا، ويُجمع الدين على "أديان" و"ديانات"، والأول هو الشائع في الاستعمال، ويدل على هذا عن ابن عباس ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: «أي الأديان أحب إلى الله عز وجل؟ فقال: الحنيفية السمحة»، وفي رواية قال: «أحب الدين إلى الله تعالى الحنيفية السمحة»[2]، فأفرد الدين كأنه يصوِّب السائل مبيناً ألاَّ جمع منه؛ لأنه في الحقيقة ليس إلاَّ واحداً، هو الإسلام كما سيأتي المبحث الثاني.

المطلب الثاني:

الدين اصطلاحاً:

المسألة الأولى: أقوال الباحثين في تعريف "الدين" اصطلاحاً.

اختلف الناس في تعريف الدين اصطلاحاً، فعرفه كلٌ حسب مشربه، أو حسب ما يرى أنه أهم مميزاته..

والملاحظ في جل التعريفات الآتي ذكرها أن تعريفات المسلمين لكلمة دين" تكاد تقتصر على تعريف الدين السماوي بمعناه العام (الشرائع السماوية) أو الخاص

---

(1) لسان العرب ج13/ ص170 ومعجم مقاييس اللغة ج2/ ص319. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط.1 – 1412هـ، ص: 323، وتاج العروس ج9/ ص208.

(2) أخرجه بالروايتين: أحمد في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ – 2001م، ط: 1: ج4/ ص16 رقم: 2107، والثانية: ج40/ ص222، رقم 24189، وعلق البخاري الثانية منهما، ج1/ ص16.

(الشريعة المحمدية)، وأما غير المسلمين من فلاسفة الغربيين ومفكريهم ، فأصل الكلمة عنهم هي (Religion)، بمعنى: التقيد أو وجوب الطاعة، وأصلها من الكلمة اللاتينية القديمة (Religio)، وتعني: إعادة الجمع والقطف، إشارة إلى التفكر والتعبد والتأمل والعمل تبعاً لما يستخرج من تلك التأملات[1].

وعليه كانت تعريفاتهم منها ما يقرب من تعريفات المسلمين، وأخرى أكثرها ذات طابع علماني يقصي الدين عن مجالات الحياة، يخصونه بالناحية الأخلاقية الوجدانية، أو يقصرونه على ناحية التفكر والتأمل، ومعظمها –من كِلا الطرفين– تعريفات تنظر إلى مفهوم "الدين" من زاويه، وتترك أوجهاً وزوايا أخرى.

وهذه أولاً نماذج من تعريفات المسلمين لمفهوم "الدين":

1. عرَّفه السيد الجرجاني[2] فقال: «الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول»[3].

2. وعرَّفه الراغب الأصفهاني[4] فقال: «الدين، ما شرع الله تعالى لعباده على لسان

---

(1) علم الأديان، د/ خزعل الماجد، نشر: مؤمنون بلا حدود، الرباط – المغرب، ط: 1، 2016م ص27، والحوار مع أصحاب الأديان: مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، مقال الكتروني في "موقع الإسلام" http://www.al-islam.com.

(2) هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، (740 – 816هـ)، فيلسوف من كبار علماء العربية، ولد في تاكو، وتوفي في شيراز له من المؤلفات نحو خمسين مصنفاً، منها: "التعريفات"، و"شرح مواقف الإيجي"، و"الكبرى والصغرى في المنطق". الضوء اللامع، السخاوي ج5/ ص328 – 330، والأعلام ج5/ ص8، والأعلام ج5/ ص7 ، 8.

(3) التعريفات، الشريف الجرجاني تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط.1، 1403هـ – 1983م، ص105.

(4) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، المعروف بالراغب، (ت 502هـ) أديب من أذكياء المتكلمين، له من المؤلفات: "الذريعة إلى مكارم الشريعة"، و"المفردات في غريب القرآن". سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج18/ ص120، بغية الوعاة، السيوطي ج2/ ص297، الأعلام للزركلي ج2/ ص255.

الأنبياء ليتوصلوا به إلى جوار الله تعالى»[1].

3- وعرَّفه التهانوي[2] بقوله: «وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل»[3].

5. وعرفه القفاري والعقل[4] فقالا: «ما يعتنقه الإنسان ويعتقده ويدين به من أمور الغيب والشهادة»[5].

ومن تعريفات غير المسلمين:

1- عرَّفه إيمانويل كانت[6] بقوله: «الشعور بواجباتنا، كونها قائمة على أوامر

---

(1) المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق ص471.

(2) هو محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، (ت بعد 1158هـ)، باحث هندي. له: "كشاف اصطلاحات الفنون"، و"سبق الغايات في نسق الآيات" الأعلام ج6/ ص295.

(2) المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق ص471.

(3) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1382هـ - 1963م، ج2/ ص141.

(4) القفاري هو الدكتور: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، رئيس قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم – السعودية، له من المؤلفات: مسألة التقريب بين السنة والشيعة، مقدمات في الاعتقاد، العالم الإسلامي والغرب. والعقل هو: الدكتور: ناصر بن عبد الكريم العقل، ولد سنة 1371هـ، استاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض. له من المؤلفات: المدرسة العقلية الحديثة، الافتراق مفهومه وأسبابه وسبل الوقاية منه، وغيرها. منقول من منتديات أنا المسلم على الشبكة العنكبوتية.

(5) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي – الرياض ط. 1 . 92، ص: 10.

(6) هو إيمانويل كانت، (1742 – 1804م)، فيلسوف وأستاذ جامعي ألماني عاش في روسيا، عضو الأكاديمية الأكاديمية الروسية للعلوم. موقع الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية: ar.wikipedia.org.

إلهية»[1].

2- وعرَّفه مِل[2] بأنه: «جوهر الاتجاه القوي المتحمس للعواطف والرغبات نحو هدف مثالي»[3].

3- وعرَّفه هربرت سبنسر[4] بأنه: «الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار»[5].

4- وعرَّفه أريك فروم[6] بقوله: «أي مذهب للفكر والعمل اشتركت فيه جماعة ما، ما، ويعطى الفرد إطاراً للتوجيه، وموضوعاً للعبادة»[7].

المسألة الثانية: تحقيق القول في تعريف "الدين" اصطلاحاً.

من المعلوم أن اللغة التي تثبت حقائق الأُمور كما هي، وكما يريد الله، هي لغة القرآن فحسب، أي العربية؛ ولذا كانت تصاريف الكلمة البالغة التعدد في اللغة العربية تساعد كثيراً في إيضاح المعنى الشرعي الشامل للكلمة، وهو نفسه المعنى الاصطلاحي، بخلاف استعمال الكلمة في اصطلاح المتأخرين الذي قصر الكلمة على ما يحتويه الضمير دون تفاعل خارجي يشمل حركة الحياة.

---

(1) علم الأديان، د/ خزعل الماجد، مرجه سابق، ص27.

(2) هو جون ستيوات مِل، (1806 – 1872م)، فيلسوف واقتصادي بريطاني، كان ملحداً واسع الاطلاع. موقع الموسوعة الحرة، مرجع سابق.

(3) الإنسان والأديان، محمد كمال جعفر، ط: الدوحة، دار الثقافة، 1985م، ص16.

(4) هو هربرت سبنسر، (1820 – 1903م)، فيلسوف وسياسي بريطاني، وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث. موقع الموسوعة الحرة، مرجع سابق.

(5) الإنسان والأديان، محمد كمال جعفر، مرجع سابق ص18.

(6) هو أريك فروم، (1023 – 1980م)، فيلسوف وعالم نفس أمريكي من أصل ألماني، عمل استاذاً في جامعة كولومبيا. موقع الموسوعة الحرة، مرجع سابق.

(7) علم الأديان، د/ خزعل الماجد، مرجه سابق، ص29.

وبالنظر لشريعة الإسلام نجد أن كلمة "دين" تشمل من المعاني اللغوية السابقة:

العقائد، وهي التصورات في أركان الإيمان الستة..

والشعائر، وهي العبادات، كالمباني الأربعة بعد الشهادتين..

كما تشمل الشرائع، وهي الأحكام والمعاملات..

والمشاعر، وهي الأخلاقيات والوجدانيات.

فلا يقتصر الدين على النواحي الاعتقادية والتعبدية وحدها مثلاً، ولا الأخلاق وحدها، ولا التفكر والتأمل المجرد، بل يشمل كذلك نظام الحياة الكامل الشامل لنواحيها الاعتقادية والتعبدية، والفكرية، والخلقية، والعلمية، والعملية، والاقتصادية، والسياسية، التربوية، والاجتماعية، وغيرها، «فالدين الإسلامي ليس عقيدة روحية يقوم عليها نظام أخلاقي، وترتبط بها شعائر تعبدية، أي ليس "ديناً" بالمفهوم الغربي (religion)، ولكنه -بالإضافة إلى ذلك- "مبدأ"، أي عقيدة ينبثق عنها نظام، وهو ما يسمَّى في الإنجليزية: (Ideology)، فالإسلام دين، وهو الدين الحق الذي لا يقبل الله في الآخرة سواه، و"العلمانية"، أو بلفظ أدق: "الدنيوية" دين، وهي دين باطل، وكذلك الديموقراطية الليبرالية الغربية، دين آخر من أديان الباطل والكفر، والاشتراكية المادية دين ثالث من أديان الكفر والضلالة»(1).

ومتى كان النظام مستنداً إلى شرع الله وسلطته، فهو دين الله الحق، وبنفس هذه المعطيات المذكورة (العقائد والشرائع والشعائر)، وإن كان منه ما يستمد أو يستند إلى غير شرع الله فدين باطل..

ففي مسمى الدين الحق قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي

(1) اقتباس من كتاب: "التوحيد أصل الإسلام"، محمد بن عبد الله المسعري ط.1، 1425هـ 2004م، ص:14 (بدون).

﴿ ... ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[1].

وفي مسمى الدين الباطل قال عز وجل: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى أيضاً: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾[3].

ومما سبق من تصاريف الكلمة واستقراء القرآن يمكن تعريف مصطلح "الدين" بصورة عامة، ومفهومه بتعريف شامل كالتالي:

الدين هو: مجموعة اعتقادات قلبية من أمور الغيب والشهادة، وقوانين سلوكية شخصية أو نظامية، تحمل صاحبها على الخضوع بالذل والحب والرغبة والرهبة حساً أو معنىً لما يعتقد فيه التأثير[4].

فالتعريف بهذه الصورة يكون شاملاً من عدة جهات:

ففيه شمول للمعبود، سواء كان معبوداً حقاً -وهو الله عز وجل- أو معبوداً باطلاً -وهو ما سوى الله عز وجل- وليس الدين هو وحده المنسوب لله تعالى حتى يسمى ديناً.

كما يشمل أيضاً العبادات التي يتعبد الناس بها لمعبوداتهم سواء كانت سماوية صحيحة كالإسلام، أولها أصل سماوي ووقع فيها التحريف والنسخ كاليهودية، والنصرانية، أو كانت وضعية غير سماوية كأديان الهند والفرس، وعموم الوثنيات حتى الحادثة التي تعبِّد العباد وتُخضعهم إلى نظام ما كديانة "عبدة الشيطان".

---

(1) سورة آل عمران، آية: 83.

(2) سورة آل عمران آية: 85.

(3) سورة الكافرون آية: 6.

(4) انظر: "دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية"، سعود بن عبد العزيز الخلف، نشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 4، 1425هـ - 2004م، ص10، مع التوضيح والتعديل.

كما يبرز التعريف حال العابد؛ إذ لابد أن يكون العابد متلبساً بالخضوع ذلاً وحباً للمعبود حال العبادة؛ إذ أن ذلك أهم معاني العبادة لغة[1].

ويبين التعريف أيضاً هدف العابد من العبادة، وهو إما رغبة في جلب الخير أو رهبة لدفع الشر، أو الاثنين معاً، وذلك مطلب بني آدم من العبادة.

---

(1) انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني ص542 مرجع سابق.

المبحث الثاني

أقسام الأديان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأديان السماوية

المطلب الثاني: الأديان الوضعية

المبحث الثاني

أقسام الأديان

تنقسم الأديان التي يدين بها الناس عامة إلى قسمين: أديان سماوية كتابية، وأديان وضعية، مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾[2].

وسيكون الحديث عن هذين القسمين في مطلبين:

المطلب الأول:

الأديان السماوية

المسألة الأولى: التعريف بالأديان السماوية

الفرع الأول: لغة: "الأديان السماوية" كلمتان، منسوبة إحداهن إلى الأخري، وقد تقدم في المبحث الأول تعريف كلمة "الدين".

والسماء لغة: مطلق العلو، وكل ما علاك فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: "سماء"[3].

ويصير المعنى: أي الأديان المنسوبة إلى السماء.

الفرع الثاني: الأديان السماوية اصطلاحاً: المقصود بها الأديان العلوية أو الربانية التي نزل بها الوحي على رُسُل الله، وهي تشريعات إلهية من وضع الله تعالى، أرسل بها رسله من البشر لتعبيد الناس إليه أولاً، وتشريع ما يحتاجه الناس ثانياً في

---

(1) سورة آل عمران آية: 85.

(2) سورة الكافرون آية: 6.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج2/ ص98، ومختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية – بيروت – صيدا، ط: 5، 1420هـ – 1999م ص155.

اصلاح حالهم في المعاش والمعاد، في العقائد والعبادات والأحكام والأخلاق.

والمقصود بـ"الأديان" في كلمة "الأديان السماوية": الشرائع بمعناها الواسع، وليس التوحيد فحسب، والتي لم يبق من أثرها إلاَّ شريعة الإسلام، وشريعة اليهودية، وشريعة النصرانية.

قال الشوكاني[1] متحدثاً عن الكتب المنزلة: «لم يبق بأيدي أهل الملل منها فيما وجدناه عندهم بعد البحث عن ذلك ومزيد الطلب له إلاَّ التوراة والزبور والإنجيل وكتب نبوات أنبياء بني إسرائيل»[2].

وأهم ما تتفق فيه الأديان السماوية هو التوحيد مع النبوات والمعاد، كما قال الله عز وجل: ﴿**وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ**﴾[3].

وقال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ**﴾[4]، ولكنها تختلف في الشرائع والأحكام، كما قال الله تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ**

---

(1) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (1173هـ – 1250هـ)، ولد بشوكان ونشأ بصنعاء اليمن، القاضي المفسر الفقيه، الأصولي، له من المؤلفات: "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير"، "نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار"، "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول"، وغيرها. معجم المؤلفين عمر رضا كحاله، نشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج11 ص53. والأعلام ج6/ ص298.

(2) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات"، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار الكتب العلمية – لبنان، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: 1، سنة 1404هـ – 1984م ص5.

(3) سورة الأنبياء، آية: 25.

(4) سورة النحل، آية: 36.

ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾[1].

قال ابن كثير: «هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد"[2]. يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[4] الآية، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

عن قتادة[5]: قوله: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾[6] يقول: سبيلاً وسنة، والسنن مختلفة: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل

---

(1) سورة المائدة، آية: 48.

(2) أخرجه البخاري، محمد بن إسماعيل، في صحيحه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة، مصورة عن السلطانية، ط: 1، 1422هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها}، ج4، ص167، رقم: 3443.

(3) سورة الأنبياء، آية: 25

(4) سورة النحل، آية: 36

(5) هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، البصري الأكمه (أبو الخطاب)، (60هـ – 117هـ)، روى عن أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب وغيرهما، مفسر محدث، من جلة التابعين وعلمائهم. تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ج8/ ص351 – 356 ، والبداية، والنهاية، ج13/ ص76.

(6) سورة المائدة، آية: 48.

الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل»[1].

إذن الأنبياء لا يختلفون في "من يعبدون"، وإنما يختلفون في "كيف يعبدون"؟.

قال ابن تيمية[2]: «فدينهم واحد، وهو عبادة اللّٰه وحده لا شريك له، وهو يُعبد في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت، وذلك هو دين الإسلام في ذلك الوقت»[3].

ويوضح ذلك في موضع آخر فيقول: "ودين الإسلام بني على أصلين: أن نعبد الله وحده لا شريك له، وأن نعبده بما شرعه من الدين، وهو ما أمرت به الرسل أمر إيجاب أو أمر استحباب، فيعبد في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان، فلما كانت شريعة التوراة محكمة، كان العاملون بها مسلمين، وكذلك شريعة الإنجيل، وكذلك في أول الإسلام، لما كان النبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس، كانت صلاته إليه من الإسلام، ولما أمر بالتوجه إلى الكعبة، كانت الصلاة إليها من الإسلام، والعدول عنها إلى الصخرة خروجاً عن دين الإسلام»[4].

---

(1) تفسير ابن كثير، مرجع سابق، ج3/ ص129.

(2) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس، (661 – 728هـ)، حافظ مفسر وفقيه مجتهد، ولد بحران وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، توفي بقلعة دمشق. من مصنفاته: "مجموع فتاوى شيخ الإسلام"، و"منهاج السنة النبوية"، و"درء تعارض العقل والنقل". الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية تأليف عمر بن علي البزاز، تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، نشر: دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط.1، 1419هـ– 1998م، ج4/ ص192، والبداية والنهاية، ابن كثير ج18/ ص295 – 302.

(3) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقق: ناصر عبد الكريم العقل، نشر: دار عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط.7، 1419هـ – 1999م، ج2/ ص 379.

(4) مجموع الفتاوى، ابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، 1416هـ ، 1995م، ج1/ ص189.

ويقول القحطاني[1] في نونيته ناظماً ما سبق ذكره[2]:

وشريعة الإسلام أفضل شرعة	دين النبي الصادق العدنان
هو دين رب العالمين وشرعه	وهو القديم وسيد الأديان
هو دين آدم والملائك قبله	هو دين نوح صاحب الطوفان
وله دعا هود النبي وصالح	وهما لدين الله معتقدان
وبه أتى لوط وصاحب مدين	فكلاهما في الدين مجتهدان
هو دين إبراهيم وابنيه معاً	وبه نجا من نفحة النيران
وبه حمى الله الذبيح من البلا	لما فداه بأعظم القربان
هو دين يعقوب النبي ويونس	وكلاهما في الله مبتليان
هو دين داود الخليفة وابنه	وبه أذل له ملوك الجان
هو دين يحيى مع أبيه وأمه	نعم الصبي وحبذا الشيخان
وله دعا عيسى ابن مريم قومه	لم يدعهم لعبادة الصلبان
والله أنطقه صبياً بالهدى في ال	مهد ثم سما على الصبيان
وكمال دين الله شرع محمد	صلى عليه منزل القرآن
وأُولو النبوة والهدى ما منهم	أحد يهودي ولا نصراني
بل مسلمون ومؤمنون بربهم	حنفاء في الإسرار والإعلان

(1) هو محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي المالكي، (ت 383هـ) فقيه حافظ، له من المؤلفات: "تاريخ أهل الاندلس". الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، مرجع سابق، ج1/ ص345، ط: 1، 1382هـ – 1962م، والأعلام، الزركلي: ج6/ ص162.

ونُسبت القصيدة المذكورة أيضاً لأبي محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع نشر: دار الذكرى.

(2) القصيدة النونية، تصحيح وتعليق محمد بن أحمد سيد أحمد، نشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية ط.1، 1409هـ، ص 34، وانظر: تفسير ابن كثير مرجع سابق ج4/ ص 284 فقد جمع الآيات التي انتسب فيها الأنبياء للإسلام.

وإذا كان من معاني الإسلام "التوحيدُ" كما سبق في التعريف اللغوي للكلمة، ومن معانيه أيضاً الشرائعُ والمناهجُ والأحكامُ، جاز أن يقال: الدينُ السماوي واحد، أي باعتبار الاشتراك في التوحيد، وجاز أيضاً أن يقال: "الأديان السماوية" باعتبار اختلاف الشرائع والمناهج، وعليه صح جمعها لغة، فيقال: أديان، ولم يصح شرعاً لأنه دين واحد، كما قال ربنا الواحد: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]، وهي في ذلك مثل كلمة إله، تُطلق على الإله الحق وعلى الإله المؤله نفسه، أو الذي ألهه الناس، واللغة لا تمانع من ذلك، ولذا يقال: إله ويجمع على آلهة، ومثل ذلك كلمة رسول بمعنى المرسل من عند الله تعالى، أو هو المرسل من قبل الملك، أو أحد الناس[2].

وللدكتور دراز ملمح يقول –فيه بعد أن تحدث عن عدة مذاهب يطلق عليها أديان–: «لكن المسألة إنما هي في صحة تسمية هذه المذاهب أدياناً، ونحن لا نرى مانعاً من أن نصطلح على هذه التسمية، ولكنه يكون اصطلاحاً نابياً عن معهود الناس، مجافياً لذوق اللغات، ولا سيما لغتنا العربية التي لا يُفهم منها من اسم الدين إلاَّ اعتقاد بشيء يدين له المرء أي: يخضع له، ويتوجه إليه بالرغبة والرهبة والتقديس؛ بل إننا لا نبالغ إذا قلنا: إن كل مذهب يخلو من هذه الدينونة هو أحق باسم الفلسفة الجافة منه باسم الآخر»[3].

والأديان السماوية بهذا المعنى الأخير تتعدد بتعدد الأنبياء، وهم كثر كما في قوله تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾[4]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ

---

(1) سورة آل عمران، آية: 19.

(2) الأديان والمذاهب – جامعة المدينة، (بدون) ص: 31.

(3) سورة النساء، آية 164.

(4) سورة النساء، آية: 164.

﴿ عَلَيْكَ ﴾[1].

المسألة الثانية: أشهر الأديان السماوية

وهذه وقفة سريعة في تعريف أشهر ثلاثة أديان بهذا الاعتبار الأخير، وهي: الإسلام الخاتم في نسخته المحمدية، واليهودية الأصل غير المحرفة، والمسيحية كذلك غير المحرفة.

ونبدأ بالأخيرين ذكراً –حسب الأسبقة التاريخية– ونختم بالإسلام كما ختم الله به الرسالات.

الفرع الأول: تعريف الديانة اليهودية

اليهود لغة: اختُلف في الكلمة، هل هي عربية مشتقة أم غير عربية:

فذهب بعضٌ الى أنها عربية مشتقة من "الهود"، وهو التوبة والرجوع[2].

قال ابن كثير في تفسيرها: «أي تبنا ورجعنا وأنبنا إليك»[3].

وقال الشهرستاني[4]: «وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام: ﴿ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ﴾[5]»[6].

---

(1) سورة غافر، آية: 78.

(2) انظر: القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط.8، 1426 هـ – 2005م، ص 339، ولسان العرب، ابن منظور، ج15/ ص155 – 156.

(3) الملل والنحل، الشهرستاني، نشر: مؤسسة الحلبي ج2/ ص15.

(4) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح الشهرستاني، ويلقب بالأفضل (467 – 548هـ)، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، ولد في شهرستان، له من المؤلفات: الملل والنحل، ونهاية الإقدام في علم الكلام وغيرها، سير أعلام النبلاء، الذهبي ج20/ ص286 ، الأعلام، الزركلي ج6/ ص215.

(5) سورة الأعراف آية: 156.

(6) الملل والنحل، مرجع سابق، ج1/ ص250.

وهذا الاسم (اليهود) ذُكر في كتابهم في سفر "عزرا" الذي يتحدث عن فترة سبي شعب دولة "يهوذا" إلى بابل[1].

وقال أخرون: إنها غير عربية، وإنما هي نسبة إلى "يهوذا" أحد أسباط بني إسرائيل. وقيل هو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام، وهو اسم عبري معناه "حمد"[2]، وبه سميت دولة "يهوذا" التي كانت في فلسطين بعد سليمان عليه السلام.

اليهود اصطلاحاً: هم المنتسبون لسيدنا موسى عليه السلام من العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل، وكتابهم "التوراة"، وأصلهم تلك الأمة التي نشأت في مصر إثر استقرار أبناء يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام فيها منذ عهد يوسف بن يعقوب عليه السلام، وتكاثروا في مصر وتناسلوا وصاروا الطبقة العاملة عند الأقباط[3].

وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بـ:

"قوم موسى" عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ** ﴾[4]..

---

(1) بابل: مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين، تقع أنقاضها على نهر الفرات قرب الحِلة، على مسافة 80 كم جنوب شرقي بغداد، وقد أطلق اسم بلاد بابل على القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين لتمييزه عن بلاد آشور. المنجد، المنجد في اللغة والأعلام، مجموعة من المؤلفين، ط: 27، المكتبة الشرفية، بيروت، ص: 106.

(2) قاموس الكتاب المقدس، ص 1085، نخبة من الأساتذة النصارى، ط2. القاهرة، دار الثقافة المسيحية.

(3) انظر: الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازها أكثر من ألف مؤلف ومحرر، ط.2 الرياض، ج27/ ص350 – 353، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، نشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.4، 1420هـ. ج1/ ص495.

(4) سورة الأعراف آية 148.

وبني إسرائيل، نسبة إلى يعقوب عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[1]..

وكذلك "أهل الكتاب"، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[2]..

و"اليهود" كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[3].

الفرع الثاني: تعريف الديانة النصرانية

النصرانية لغة: قيل نسبة إلى "نصرانه" وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية "ناصره" و"نصوريه"، والنسبة إلى الديانة "نصراني"، وجمعه "نصارى"[4].

النصرانية اصطلاحاً: هي ديانة سماوية الأصل أُنزلَتْ على عيسى عليه السلام في كتاب الإنجيل، وهي مُكمّلةً لرسالة موسى عليه السلام، ومتممةً لما جاء في التّوراة من تعاليم وأحكام موجّهةٍ إلى بني اسرائيل خاصة[5].

وهم يسمون أنفسهم "المسيحيين" نسبة إلى المسيح عليه السلام ويسمون ديانتهم "المسيحية"، ولم ترد هذه التسمية في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة، ولا حتى في الإنجيل. ولعلها تسمية لا توافق واقع النصارى بعد تحريفهم دين المسيح عليه السلام.

---

(1) سورة البقرة آية 40.

(2) سورة آل عمران: 64

(3) سورة المائدة، آية: 18.

(4) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص495 القاموس المحيط، ص622.

(5) انظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج25/ ص362 ، 366، والموسوعة الميسرة ج2/ ص564.

وإنما ورد تسميتهم في القرآن الكريم بـ "النصارى" كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[1].

و"أهل الكتاب"، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[2].

وأهل الإنجيل كما في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾[3].

وقد تضافرت الأدلة والبراهين على تحريف أهل الكتاب للتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب المتقدمة، والآيات القرآنية كثيرة في ذلك منها: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[4].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ

---

(1) سورة المائدة، آية: 18.

(2) سورة آل عمران، آية: 64.

(3) سورة المائدة، آية: 47.

(4) سورة البقرة: آية: 79.

(5) سورة الأنعام، آية: 91.

﴿وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[1].

الفرع الثالث: تعريف الديانة الإسلامية

معنى الإسلام لغة: أصل مادة اشتقاق الكلمة هي "السين واللام والميم"..

قال ابن فارس: «السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء».

ثم يقول: «ومن الباب أيضاً: الإسلام، وهو: الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع»[2].

ويقول الراغب الأصفهاني: «الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه»[3].

والإسلام– أيضاً– يستعمل في لغة العرب متعدياً ولازماً:

أما استعماله متعدياً: فتقول: أسلمت الشيء إلى فلان، إذا أخرجته إليه، ومنه: "السَّلَم" في البيع، أي السَّلَف فيه، وسلمه الله تعالى من الآفة تسليماً، وسلَّمته إليه تسليماً فتسلَّمه، أعطيته فتناوله. وأسلَم العدو: خذله، وأسلَم أمره إلى الله: سلَّمه.

---

(1) سورة المائدة، آية: 13–15.

(2) معجم مقاييس اللغة مرجع سابق ج3/ ص 90، وانظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي الطوسي، نشر: دار المعرفة – بيروت. (بدون)، ج1/ ص116.

(3) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق: ص423.

وأما استعماله لازماً يكون معناه: الانقياد والدخول في السِّلم، أي الاستسلام، كما أن الإصباح هو الدخول في الصباح، والإحرام هو الدخول في الحُرمة.

ومعنى الإسلام لازماً يرجع إلى معناه متعدياً؛ لأن من انقاد واستسلم للغير فقد سلم إليه نفسه، وألقى إليه بمقاليده .

والإسلام اصطلاحاً: عَلَم على الدين الخاتم الذي أنزله الله على سيدنا محمد ﷺ، وهو الاستسلام والتسليم لله بالوحدانية وإفراده بالعبادة قولاً وفعلاً واعتقاداً، حسب ما جاء في الوحي من العقائد والأحكام، والآداب، والتّشريعات، والأوامر والنّواهي، وكلِّ أمور الحياة.

وهو الدين الناسخ لجميع الأديان السابقة؛ بسبب ما أصابها من تحريف وتزييف، وهو يُلزِم كلَّ مسلم بالإيمان بما سبق من الأديان، وبمن جاء من الأنبياء والرسل.

وصار اسم المسلمين علماً على أتباعه بناءً على تسمية خليل الله إبراهيم عليه السلام لهم بهذا الاسم كما قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا﴾[1].

ومن الآيات القرآنية التي تبين أن الإسلام هو دين سيدنا محمد ﷺ وأنه صار علماً على ما جاء به من ربه ، ولن يقبل من أحد غيره:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ

---

(1) سورة الحج، آية: 78.

(2) سورة آل عمران، آية: 85.

﴿ دِينًاۚ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[2].

ومن خصائصه[3]: أنه دِينٌ جامعٌ لكلِّ ما تحتاجه البشريّة، صالحٌ للتّطبيق في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، يقوم على أساس العبوديّة لله وحده لا شريك له، والإيمان به، والإحسان في العبادة، والعمل لتحقيق سعادة الإنسان في الدُّنيا والآخرة.

ولتوضيح أركان هذا الدين ظاهراً وباطناً نختم بحديث جامع في ذلك، اشتهر بين العلماء باسم "حديث جبريل"، وهذا نصه:

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ

---

(1) سورة المائدة، آية: 3.

(2) سورة الأنعام آية 162 . 163.

(3) كتب تحت هذا المضمون عدة كتب، أهمها: خصائص الإسلام للدكتور يوسف القرضاوي.

لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

المطلب الثاني

الأديان الوضعية

المسألة الأولى: تعريف الدين الوضعي

الفرع الأول: الوضع لغة: الترك والحط[2].

الفرع الثاني: الوضع اصطلاحاً: هو عبارة عن مجموعة من المبادئ والتعاليم العامة، تخضع الناس لمعبود معين أو معبودات متعددة، يضعها بعضُ من غير اسناد لوحي سماوي، ولا أخذ عن رسول مرسل.

فالأديان الوضعية تدعو قصداً إلى تعبيد الناس لغير الله تعالى وإلى مفاهيم مخالفة لله الواحد.

ورغم أنّ رسالات الله توالت على البشرية منذ أول إنسان ظهر على وجه الأرض، إلا أنّ معظم الناس أبت إلاَّ أن تُكذب الرُّسل، وتُعرض عن توحيد الله ودينه، فمنهم من عبد الحجر، ومنهم من عبد البقر، ومنهم من عبد النجوم والشمس والقمر، ومنهم من عبد البشر إلى آخره. وعلى أثر ذلك ظهرت أمثلة من الأديان الوضعية كثيرة، فكانت ديانة قدماء المصريين، وديانات الهند، وديانة الفرس، وغيرها من الديانات.

المسألة الثانية: الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي

الفرع الأول: الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي إجمالاً

لعله بات واضحاً الفرق بين الدين السماوي، والدين الوضعي، ونستطيع أن نجمل

---

(1) أخرجه مسلم كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، ج1/ ص36، رقم 8.

(2) انظر: المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ناشر: المكتبة العلمية – بيروت (بدون)، ج2/ ص 662، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ط: دار الدعوة، ج2 ص1039.

القول بأنّ الدين السماوي ما توافرت له دلائل صحة سنده، وسلامه متنه، بينما الدين الوضعي هو الذي لم تتوفر له دلالة صحة السند، كما لم تتوفر له دلائل سلامة المتن[1].

وعلى ذلك أرى أن الدين قد يكون باعتبار أصله سماوياً: لأنّ له نسبة إلى الوحي مثلاً، ولكن يحكم على بعضه بالوضع؛ لما أصاب المتن من تحريف وتغيير، أي: لم تتوفر له سلامة المتن.

الفرع الثاني: الفرق بين الدين الوضعي والدين السماوي تفصيلاً

ومن الفروقات[2]:

1- أن الدين السماوي دين قائم على وحي الله تعالى إلى البشر بواسطة رسول يختاره الله منهم. أما الوضعي فهو جملة من التعاليم وضعها البشر أنفسهم، واتفقوا عليها، واصطلحوا على التمسك بها والعمل بما فيها، إنها تعاليم ناشئة عن تفكير الإنسان نفسه.

2- الدين السماوي يدعو دائماً إلى وحدانية الله تعالى، واختصاص هذا الواحد بالعبادة، فلا يخضع المرء إلاَّ لله، ولا يستعين إلاَّ به، ولا يذبح إلاَّ باسمه. أما الدين الوضعي فإنه يقدس الأحجار والأصنام، ويجيز تعدد الآلهة فيجعلها كثيرة ومتغايرة، بل قد تكون متنافرة ومتخالفة مثل: إله الخير، وإله الشر، أو إله الحرب وإله السلام.

3- الدين السماوي ينزه الإله المعبود عن مشابهته لخلقه، فالله -عز وجل- لا يشبه شيئًا من مخلوقاته لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا**

(1) الأديان الوضعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، نشر: جامعة المدينة العالمية ص11.

(2) المرجع السابق: ص: 36-38.

﴿أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1]، أما الدين الوضعي فإنه يُجيز أن يكون الإله بشراً مثلهم أو حيواناً أو حجراً يعبدونه، ويخضعون له، ويقدمون له القرابين والهدايا؛ فقد عبد بعض الناس الشمس وعبدوا العجل، واتخذوا فرعون الذي قال لهم: أنا ربكم الأعلى إلهاً، وعبدوا الأصنام والأوثان مع أن هذه الآلهة كلها التي عبدوها من دون الله لا تستطيع أن تخلق شيئًا، ولا تقدم نفعًا، ولا تمنع ضرّاً لا لنفسها، ولا لغيرها، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـًٔا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ۝٣﴾[2].

4- الدين السماوي بالنسبة لمسائل العقيدة غير قابل للنسخ، والتبديل أو التغيير، فعقيدة الرسل جميعهم واحدة فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته، والرسل وعصمتهم، واليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب أو عقاب.

إن الخالق عند جميع الرسل واحد، وإن هذا الخالق تجب عبادته واختصاصه جل شأنه بالعبادة. أما الدين الوضعي فالمعبود فيه يتغير، فقد يتغير من جيل إلى جيل، ومن قبيلة إلى أخرى.

5- الدين الوضعي يلازمه النقص وعدم الكمال، وذلك أنه من وضع الإنسان، والإنسان لا يمكنه أن يحيط بجميع حاجات البشر، ومتطلباتهم المتجددة دائماً.

أما الدين السماوي فهو دين تام شامل؛ لأنه من وضع خالق السماوات والأرض، وعلام الغيوب الذي لا تغيب عنه صغيرة ولا كبيرة، والذي يحيط بكل شيء علماً.

هذا ومما تجدر الإشارة إليه[3] أن الدارس للأديان الوضعية مثل: أديان الهندية، أو الفارسية القديمة، أو ديانة قدماء المصريين، مما اصطلح على تسميته ديناً وضعياً،

---

(1) سورة الإخلاص، الآيات: 1 – 4.

(2) سورة الفرقان، آية: 3.

(3) انظر: الأديان الوضعية، مرجع سابق – جامعة المدينة العالمية ص:13، 14.

يجدُ فيها ذكر لصفات الرب المتفرد بالكمال والجلال، أو ذكر اليوم الآخر والجزاء؛ مِما لا إمكانية للعقل معه من علم الغيب، ولا قدرة له عليه؛ فلا سبيل لإدراك شيء منه إلا بالسماع والنقل أو الوحي.

وهذا يعني: أنه دليل على بقاء آثار دين صحيح، وهو يتكامل مع قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[2].

وعلى هذا نستطيع القول: بأن اجتهادات الناس التي وضعت لإصلاح حياة أمة بعينها، مِمّا اصطُلِحَ عليه فيما بعد ديناً وضعيّاً، إنّما هي نتاج عقل في موروث جمع بين حق آثار وبقايا دين صحيح وباطل، مما أسفر عنه تدخل العقول في النصوص والتحريف لهذا الدين باتباع الأهواء؛ فكان هذا المزيج وإن كان لاعتبار نسبته إلى إنسان معين؛ عرفناه بأنه دين وضعي.

كذلك الرِّسالاتُ السَّماوية، مثل اليهودية والنصرانية مثلاً؛ فهي سماوية باعتبار أصلها، لكن واقعها كما هي اليوم بأيدي أربابها نجد فيه أمارات التحريف والكتمان، والزيادة والتغيير؛ كما ثبت ذلك، أعني فيها إمارات للوضع، وإن كانت باعتبارها وحياً صادقاً، وديناً سماويّاً صحيحاً؛ فهي بنصوصها شيء آخر.

---

(1) سورة النحل، آية: 36.

(2) سورة فاطر، آية: 24.

المبحث الثالث

حاجة المجتمعات للدين

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حاجة المجتمع للدين عامة

المطلب الثاني: حاجة المجتمع للرسالة العامة، وللإسلام خاصة

المبحث الثالث

حاجة المجتمعات للدين

المطلب الأولى: حاجة المجتمع للدين عامة

المسألة الأولى: غريزة الإنسان في محبته للتدين

الإنسان بطبيعته يميل إلى ما يحفظ ذاته؛ من الغذاء والكساءِ، وإلى ما يحفظ نوعَه؛ من الزَّواج والاجتماع، وهو أيضاً يحتاج إلى دينٍ يضبط تفكيره وساوكه، وإلى "إله" يعظِّمه ويقدِّسه ويرجوه، ويشبع نهمته من المجهول وما وراء الكون!.

وقد أيدت دراسات الأنثربولوجيا [علم الإنسان] وعلم الأديان أن الحاجة إلى الدين موجودة عند جميع الناس في كل العصور وفي جميع المجتمعات، فالإنسان منذ القدم وهو يبحث عن إله يعبده ويتوسل إليه، يعتقد أنه قوي مسيطر على الكون، خالق كل شيء، حي لا يموت، حتى قال أحدُ كبار المؤرِّخين الإغريق: «لقد وُجدَت في التاريخ مدنٌ بلا قصور ولا مصانع ولا حصون، ولكن لم توجَد في التاريخ مدنٌ بلا معابد»[1].

وحاجة البشر إلى الدين أعظم من حاجاتهم إلى ما سواه من ضرورات الحياة؛ لأن الإنسان لا بد له من حركة يجلب بها منفعته، وحركة يدفع بها مضرته، والتدين، هو الذي يميز بين الأفعال التي تنفع والتي تضر، ذلك لأن الحياة البشرية لا تقوم إلاّ بالتعاون بين أعضائها، ولا يتم هذا التعاون إلاّ بنظام ينظم علاقاتهم، ويحدد واجباتهم، ويكفل حقوقهم، وهذا النظام لا غنى له عن سلطان نازع وازع يردع النفس عن انتهاكه، ويرغبها في المحافظة عليه، ويكفل مهابته في النفوس ويمنع انتهاك حرماته.

كما لا يمكن للناس أن يعيشوا بلا شرع يميزون به بين ما يفعلونه وما يتركونه، وذلك في خاصة الإنسان أو في مجتمعه..

---

(1) انظر: "الإيمان والحياة"، د/ يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ص99.

يقول أرنست رينان: «إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه وأن تبطل حياة استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن مستحيل أن ينمحي التدين»[1].

ويقول محمد فريد وجدي[2]:«يستحيل أن تتلاشى فكرة التدين؛ لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، ناهيك بميل يرفع رأس الإنسان، بل إن هذا الميل سيزداد، ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الجمال والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مداركه ونمو معارفه»[3].

فالدين:

أولاً- هو المدد لقوى النفس المختلفة خاصة.

وثانياً- هو الدرع الواقي للمجتمع عامة لقيام التعامل بين الناس على قواعد العادلة والإنصاف، وكان لذلك ضرورة اجتماعية، فليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام النظام، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه، والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه.

والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمع ولا بصر، وإنما هو عقيدة إيمانية تهذب الروح وتزكي الجوارح، فالإنسان مقود أبداً بعقيدة صحيحة أو فاسدة، فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء، وإذا فسدت فسد كل شيء، والعقيدة والإيمان هما

---

(1) انظر: الدين، محمد عبد الله دراز، مرجع سابق، ص: 87.

(2) محمد فريد بن مصطفى وجدي، (1295 – 1373هـ)، رئيس تحرير "مجلة الأزهر"، له من المؤلفات: "دائرة معارف القرن العشرين"، و"صفوة العرفان في تفسير القرآن" و"الإسلام في عصر العلم"، و"كنز العلوم واللغة"، الأعلام، الزركلي ج6/ ص329.

(3) الدين، مصدر سابق، ص: 87..

الرقيب الذاتي على الإنسان[1].

وعلى هذا فإذا كان هناك من يقول: إن الإنسان مدني بطبعه، فينبغي أن نقول: «إن الإنسان متدين بفطرته»[2].

المسألة الثانية: علة الغريزة الإنسانية نحو التدين

وتعليل ما سبق أن للإنسان قوتين: قوة علمية نظرية، وقوة علمية إرادية.

وإذا كان الله قد ركب في للإنسان إرادة فطرية فلا بد إذن أن يسعى ويتحرك لمعرفة ما يحتاجه، وهل هو نافع أو ضار؟ وهل يصلحه أو يفسده؟.

فالدين فطري في الإنسان، طبيعيٌّ فيه، لا يزول عنه ولا يتلاشى أبداً، ويأخذ في النموِّ والارتقاء حسب الظروف والمحيط، وعلى نسبة من اتِّساع المدارك الفكرية وعمق المعارف.

وإذا كان الدين عموماً بهذه المنزلة، فالمشاهد اليوم تعدد الأديان والملل في هذا العالم، وتجد كل قوم بما لديهم من الدين فرحين مستمسكين به، فما الدين الصحيح الذي يحقق للنفس البشرية ما تصبو إليه؟

المطلب الثاني: حاجة المجتمع للرسالة العامة، وللإسلام خاصة

المسألة الأولى: حاجة المجتمع للرسالة العامة

مهما استعلت المذاهب المادية الإلحادية وتزخرفت ومهما تعددت الأفكار والنظريات فلن تغني الأفراد والمجتمعات عن الدين الصحيح، ولن تستطيع أن تلبي متطلبات الروح والجسد، بل كلما توغل الفرد فيها أيقن تمام اليقين أنها لا تمنحه أمناً، ولا تروي له ظمأً، وألاَّ مهرب منها إلاَّ إلى الدين الصحيح الذي قد يصل بعض الناس

---

(1) انظر: الدين، دراز ص: 98، 102، وكتاب الإسلام أصوله ومبادئه، د/ محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1421هـ، ج2/ ص52.

(2) انظر الدين، دراز، ص: 84، 98.

إليه بفطرهم، وبعضه يعرفونه بالاستدلال إليه بعقولهم، وبعضه لا يعرفونه إلاَّ بتعريف الرسل وبيانهم لهم وهدايتهم إياهم[1].

والإنسان على قدر علو مداركه واتساع آفاق علمه يدرك عظم جهله بربه وما يجب له، وجهله بنفسه وما يصلحها ويفسدها، وحينئذ يتراجع إلى التواضع والاستسلام، ويرى أن وراء الكون عالماً حكيماً، ووراء الطبيعة خالقاً قادراً، وتلزم هذه الحقيقة الباحث المنصف بالإيمان بالغيب والإذعان للدين القويم، والاستجابة لنداء الفطرة والغريزة. وإذا تخلى الإنسان عن ذلك انتكست فطرته وتردى على مستوى العجماوات من البهم.

ولذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل الرسل إلى عباده يبلغونهم أوامره، ويبشرونهم بما أعد الله لهم من النعيم إن هم أطاعوا أوامره، ويحذرونهم من العذاب المقيم إن هم خالفوا نهيه، ويقصون عليهم أخبار الأمم الماضية، وما حل بها من العذاب والنكال في الدنيا بسبب مخالفتها أمر ربها.

وهذه الأوامر والنواهي الإلهية لا يمكن أن تستقل العقول بمعرفتها؛ ولذلك شرع الله الشرائع، وفرض الأوامر والنواهي، تكريما لبني الإنسان وتشريفاً لهم وحفظاً لمصالحهم؛ لأن الناس قد ينساقون وراء شهواتهم فينتهكون المحرمات ويتطاولون على الناس فيسلبونهم حقوقهم، فكان من الحكمة البالغة أن يبعث الله فيهم بين آونة وأخرى رسلاً يذكرونهم أوامر الله، ويحذرونهم من الوقوع في معصيته، ويتلون عليهم المواعظ، ويذكرون لهم أخبار السابقين، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الأسماع، والمعاني الغريبة إذا أيقظت الأذهان، استمدتها العقول فزاد علمها، وصح فهمها، وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطر، وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكراً، وأكثرهم تفكراً أكثرهم علماً، وأكثرهم علماً أكثرهم عملاً، فلم يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم في انتظام الحق

---

(1) انظر: العقيدة التدمرية، ابن تيمية، تحقيق: د/ محمد بن عودة السعوي، نشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط: 6، 1421هـ – 2000م، ص: 213، 214، ومفتاح دار السعادة، ابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون)، جـ2، ص383 36.

بدل[1].

يقول ابن تيمية: «والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة، فالإنسان مضطر إلى الشرع لأنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه، وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، فهو نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمناً.

وليس المراد بالشرع التمييز بين النافع والضار بالحس، فإن ذلك يحصل للحيوانات، فإن الحمار والجمل يفرق ويميز بين الشعير والتراب، بل التمييز بين الأفعال التي تضر فاعلها في معاشه ومعاده، والأفعال التي تنفعه في معاشه ومعاده كنفع الإيمان والتوحيد والعدل والبر والإحسان والأمانة والعفة والشجاعة والعلم والصبر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجيران، وأداء الحقوق، وإخلاص العمل لله، والتوكل عليه، والاستعانة به، والرضا بمواقع أقداره، والتسليم لحكمه، وتصديقه

وتصديق رسله في كل ما أخبروا به، وغير ذلك مما هو نفع وصلاح للعبد في دنياه وآخرته، وفي ضد ذلك شقاوته ومضرته في دنياه وآخرته.

ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل المنافع والمضار في المعاش، فمن أعظم نعم الله على عباده، وأشرف مننه عليهم أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام وأشر حالاً منها، فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية، وأسوا حالاً من الكلب والخنزير، وأحقر من كل حقير، ولا بقاء لأهل الأرض إلاَّ بآثار الرسالة الموجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض، وانمحت معالم هداهم أخرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة.

---

(1) أعلام النبوة، علي بن محمد الماوردي، نشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 1 – 1409هـ، ص: 49.

وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل عليهم الصلاة والسلام وسائط بين الله تعالى وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده، وكان خاتمهم وسيدهم وأكرمهم على ربه محمداً ﷺ وعليهم أجمعين فبعثه الله رحمة للعالمين، وحجة للسالكين، وحجة على الخلائق أجمعين، وافترض على العباد»[1].

ويقول ابن القيم: «معلوم أن كل حي سوى الله سبحانه: من ملك، أو إنس، أو جن، أو حيوان؛ فهو فقير إلى جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره؛ ولا يتم ذلك إلاَّ بتصوره للنافع والضار. والمنفعة من جنس النعيم، واللذة والمضرة من جنس الألم والعذاب.

فلابد له من أمرين:

أحدهما: معرفة ما هو المحبوب المطلوب الذي ينتفع به، ويلتذ بإدراكه.

والثاني: معرفة المعين الموصل المحصل لذلك المقصود.

وبإزاء ذلك أمران آخران، أحدهما: مكروه بغيض ضار، والثاني: معين، دافع له عنه.

فهذه أربعة أشياء:

أحدهما- أمر هو محبوب مطلوب الوجود.

الثاني- أمر مكروه مطلوب العدم.

الثالث- الوسيلة إلى حصول المطلوب المحبوب.

---

(1) قاعدة في وجوب الاعتصام بالرسالة، ابن تيمية - مجموع الفتاوى ج19، ص99 - 101، وانظر لوامع الأنوار البهية، السفاريني، نشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها - دمشق، ط: 2 - 1402هـ - 1982م، ج2، ص261 - 263.

الرابع– الوسيلة إلى دفع المكروه.

فهذه الأُمور الأربعة ضرورية للعبد، بل ولكل حيوان؛ لا يقوم وجوده وصلاحه إلاَّ بها.

فإذا تقرر ذلك، فالله تعالى هو الذي يجب أن يكون هو المقصود المدعو المطلوب الذي يراد وجهه، ويبتغى قربه، ويطلب رضاه؛ وهو المعين على حصول ذلك، وعبودية ما سواه، والالتفات إليه. والتعلق به هو المكروه الضار، والله هو المعين على دفعه، فهو سبحانه الجامع لهذه الأمور الأربعة دون ما سواه: فهو المعبود المحبوب المراد، وهو المعين لعبده على وصوله، إليه وعبادته له، والمكروه البغيض إنما يكون بمشيئته وقدرته، وهو المعين لعبده على دفعه عنه، كما قال أعرف الخلق به: "أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ"[1] وقال: "اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لاَ مَلْجَأَ وَلاَ مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ"[2]. فمنه المنجَي، وإليه الملجأ، وبه الاستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته، فالإعاذة فعله، والمستعاذ منه فعله أو مفعوله الذي خلقه بمشيئته.

فالأمر كله له، والحمد كله له، والملك كله له، والخير كله في يديه، لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، بل هو كما أثني على نفسه، وفوق ما يثني عليه كل أحد من خلقه»[3].

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج1، ص352 رقم 486.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب إذا بات طاهراً وفضله، ج8، ص68، رقم 6311 وغيرها، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، ج4/ ص2082 رقم 2710.

(3) "إغاثة اللَّهفان" ج1/ ص26 ، 27، وأصل الكلام لشيخه ابن تيمية، كما في "مجموع الفتاوى" ج1/ ص21 فما بعد، وانظر "درء تعارض العقل والنقل" ابن تيمية أيضاً، تحقيق: د/ محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1411هـ – 1991م ج8/ ص464 ، 465.

ومن كلام هذا الإمام مع ما سبق من ضرورة التدين عامة يتبين أن سعادة الإنسان التامة موقوفة على استكمال قوته العلمية والإرادية التي سبق الإشارة إليها، ولا يتحقق استكمال القوة العلمية إلاّ بمعرفة ما يلي:

1- معرفة الإنسان لحقيقته معرفة تامة، ومعرفة ما تحتاج إليه، وما يصلحها أو يفسدها، ومعرفة ما تشتمل عليه من المزايا والعيوب.

2- معرفة الإله الخالق الرازق الذي أوجد الإنسان من عدم وأسبغ عليه النعم..

3- معرفة أسماء الله وصفاته، وما يجب له سبحانه، وأثر هذه الأسماء على عباده

4- معرفة الطريق التي توصل إليه سبحانه.

5- معرفة المعوقات والآفات التي تحول بين الإنسان وبين معرفة هذا الطريق وما توصل إليه من النعيم العظيم.

فبهذه المعارف الخمس يستكمل الإنسان قوته العلمية، واستكمال القوة العلمية والإرادية لا يحصل إلاّ بمراعاة حقوقه سبحانه على العبد، والقيام بها إخلاصاً وصدقاً ونصحاً ومتابعةً، وشهوداً لمنته عليه ولا سبيل إلى استكمال هاتين القوتين إلاّ بمعونته فهو مضطر إلى أن يهديه الصراط المستقيم الذي هدى أولياءه إليه»(1).

وحين يصبح الإنسان تائهاً يائساً يتدخَّل هذا الإله (القوَّة الخفيَّة) لتختار أناساً متَّصفين بالعقل وجَوْدَة الفِكر، يَفوقون معاصريهم بسلامة الفِكر والتصوُّرِ والعواطف الوجدانيَّة باتِّباع الحقائق والالتِزام بها؛ ليَنشروا تعاليمَ الدِّين بين البشر لحِفظ سلامته وإقامة سعادته، هؤلاء الرِّجال هم الذين أرشَدوا البشرَ إلى ما يوجِبه المكان والزَّمان وتقتضيه المصلحة والحاجة، هم الذين بلَّغوا البشَرَ تدريجياً إلى ما نشاهده من الأحوال

---

(1) انظر: العقيدة التدمرية، مرجع سابق، ابن تيمية ص213 ، 214، ومفتاح دار السعادة، ابن القيم جـ2، ص383، الفوائد، ابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1393 هـ – 1973م، ص18 –19.

المستحسنة والأخلاقِ الفاضلة، هم الذين أخرجوا الإنسان: من الوحشيَّة (Savagery–gerieSauva) إلى التَّمَدُّن بقدر ما اختصُّوا به من الحِسِّ الصَّادق المتناسِب باستعدادهم، وما امتازوا به من القدرة؛ فهؤلاء الرجال هم الذين يُقال لكل واحد منهم: "مؤسِّس المدنية" عند الحكماء و"نبي" لدى الشرائع والأديان.

ومما سبق نستطيع أن نلخص احتياج الإنسان إلى الرسالة فيما يلي[1]:

1 – أنه إنسان مخلوق مربوب، ولا بد أن يتعرف على خالقه، ويعرف ماذا يريد منه؟ ولماذا خلقه؟ ولا يستقل الإنسان بمعرفة ذلك، ولا سبيل إليه إلا من خلال معرفة الأنبياء والمرسلين، ومعرفة ما جاءوا به من الهدى والنور.

2 – أن الإنسان مكون من جسد وروح، وغذاء الجسد ما تيسر من مأكل ومشرب، وغذاء الروح قرره لها الذي خلقها، وهو الدين الصحيح والعمل الصالح، والأنبياء والمرسلون جاءوا بالدين الصحيح، وأرشدوا إلى العمل الصالح.

3 – أن الإنسان متدين بفطرته، ولا بد له من دين يدين به، وهذا الدين لا بد أن يكون صحيحا، ولا سبيل إلى الدين الصحيح إلا من خلال الإيمان بالأنبياء والمرسلين والإيمان بما جاءوا به.

4 – أنه محتاج إلى معرفة الطريق الذي يوصله إلى رضى الله في الدنيا، وإلى جنته ونعيمه في الدار الآخرة، وهذه طريق لا يرشد إليها ويدلك عليها إلا الأنبياء والمرسلون.

5 – أن الإنسان ضعيف بنفسه، ومتربص به أعداء كثر، من شيطان يريد إغواءه، ورفقة سوء تزين له القبيح، ونفس أمارة بالسوء، ولذا فهو محتاج إلى ما يحفظ به نفسه من كيد أعدائه، والأنبياء والمرسلون أرشدوا إلى ذلك وبينوه غاية البيان.

6 – أن الإنسان مدني بطبعه، واجتماعه بالخلق ومعاشرته لهم لا بد لها من

(1) الإسلام أصوله ومبادئه، السحيم، مرجع سابق ص82 ، 83.

شرع ليقوم الناس بالقسط والعدل – وإلا كانت حياتهم أشبه بحياة الغابة – وهذا الشرع لا بد أن يحفظ لكل ذي حق حقه دون تفريط ولا إفراط، ولا يأتي بالشرع الكامل إلا الأنبياء والمرسلون.

7 – أنه محتاج إلى معرفة ما يحقق له الطمأنينة والأمن النفسي، ويرشده إلى أسباب السعادة الحقيقية، وهذا هو ما يرشد إليه الأنبياء والمرسلون.

المسألة الثانية: حاجة البشرية للرسالة المحمدية خاصة.

يقول ابن تيمية متحدثاً عن نبي الهدى ﷺ: «ختم به الرسالة، وهدى به من الضلالة، وعلم به من الجهالة، وفتح برسالته أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها، وتآلفت بها القلوب بعد شتاتها، فأقام به الملة العوجاء، وأوضح به المحجة البيضاء، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره، أرسله ﷺ حين فترة من الرسل، ودروس من الكتب، حين حرف الكلم، وبدلت الشرائع، واستند كل قوم إلى ظلم آرائهم، وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم، فهدى الله به الخلائق وأوضح به الطرائق، وأخرج الناس به من الظلمات إلى النور، وميز به بين أهل الفلاح وأهل الفجور، فمن اهتدى بهديه اهتدى، ومن مال عن سبيله فقد ضل واعتدى، فصلى الله وسلم عليه وعلى سائر الرسل والأنبياء»[1].

وهذا الذي ذكره الشيخ شهد به كل مَن درس حياة محمد ﷺ، وكل من درس الإسلام كذلك بصدق يدرك أنه أكمل الأديان وأوفاها وأصلحها للمجتمعات.

قال تعالى: ﴿ **شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[2].

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج19/ ص102.

(2) سورة آل عمران، آية: 18.

ويقول الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1].

وهذه نماذج يسيرة من بحر اعترافات وشهادات الغربيين حتى من خصوم الإسلام، وقد أذعنوا لإعجاز الشريعة المحمدية وكمالها، وتناولها لشون الحياة المختلفة بعد دراسة مقدرة منهم لحقيقتها:

يقول شاخت[2]: «من أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني الذي يسمى بـ"الشريعة". والشريعة الإسلامية تختلف اختلافاً واضحاً عن جميع أشكال القانون، إلى حد أن دراستها أمر لا غنىً عنه لكي نقدر المدى الكامل للأُمور القانونية تقديراً كافياً. إن الشريعة الإسلامية شيء فريد في بابه، وهي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها، وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات، والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد سياسية وقانونية...»[3].

ويقول مارسيل بوازار[4] عن القرآن: «إنه يحمل الشريعة الخالدة الكاملة، والمطابقة للحقائق البشرية والحاجيات الاجتماعية في كل الأزمنة»[5].

ويقول ولز[6]: «كل دين لا يسير مع المدنية في أي طور من أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبال به؛ لأن الدين الذي لا يسير مع المدنية جنباً إلى جنب لهو

(1) سورة فصلت، آية: 53.

(2) هو جوزيف شاخت: ألماني، كان عضواً في عدد من المجامع والجمعيات العلمية.

(3) قالوا عن الإسلام، د/ عماد الدين خليل، نشر: الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض، ط. 1، 1412هـ، ص203.

(4) مارسيل بوازار، مفكر فرنسي، وأمين عام "جمعية الإسلام والغرب". المرجع السابق.

(5) قالوا عن الإسلام، مرجع سابق: ص54.

(6) هو هربرت جورج ولز، أديب ومؤرخ إنجليزي، يعد من أكبر مؤرخي العصر. المرجع السابق.

شر مستطير على أصحاب؛ يجرهم إلى الهلاك. وأن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية أنَّى سارت هي الديانة الإسلامية، وإذا أراد الإنسان أن يعرف شيئاً من هذا فليقرأ القرآن.

إن كثيراً من أنظمته تستعمل في وقتنا هذا وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة، وإذا طلب منِّي القارئ أن أحدد له "الإسلام"، فإنِّي أحدده بالعبارة التالية: الإسلام هو المدنية.. وهل في استطاعة إنسان أن يأتيني بدور من الأدوار كان فيه الدين الإسلامي مغايراً للمدنية والتقدم؟»[1].

وقال كوستاف فون كروبنام[2]: «إن ما حققه الإسلام من تغيير الثقافة العربية المتوارثة عن السلف يمكن تلخيصه في أربع تغييرات أساسية:

أ- توسيع المشاعر الإنسانية وتنقيتها.

ب- توسيع نطاق العالم الفكري، والوسائل التي تمكن الإنسان من السيطرة عليه.

ج- إبداع نظام سياسي لم يسبق إليه في محل نشأته، مقبول من الوجهة الخلقية، وفعال في الوقت نفسه.

د- تصوير أسلوب جديد مقرر للحياة، ومعنى ذلك إيجاد مثل أعلى جديد للبشر، ونموذج مفصل لتحقيقه في حياة نموذجية، تمتد من الحمل إلى ما بعد يوم القيامة..»[3].

ومن المعلوم أن الإسلام قدم المسلمون للإنسانية أضخم تراث علمي وأدبي، وكان الأفراد الذين جمعهم درب الثقافة الإنسانية الوارف أكثر من أن تضمهم مؤلفات، ووُجِد ما لم يجتمع لأمة من الأمم، لا في ماضيها ولا في حاضرها، وقد دامت هذه الثقافةُ

---

(1) مجلة المجتمع،ع: 2495 س:7. بواسطة: قالوا عن الإسلام.

(2) كوستاف فون كروبنام، كان رئيساً لقسم دراسات الشرق الأدنى في جامعة كاليفورنيا. المرجع السابق.

(3) الوحدة والتنوع في الحضارة الإسلامية، (تحرير كروبناوم)، ص: 35، بواسطة "قالوا عن الإسلام" ص221.

الإسلامية مدةً طويلة، وكان أساساً للثقافة والحضارة الغربية المستفادة من تراثِ مفكّري الإسلام حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي- الثاني عشر للهجرة، وكانت بذلك بدايةُ النهضة والتقدم في أوروبا والعالم الغربي كله.

إننا نثِقُ بأن رسالةَ الإسلام متجدّدِة ودائمةٌ، وأن الإسلام هو الرسالة الأخيرة للإنسانية، وأن مهمة الأمة الإسلامية لم تنتهِ بعدُ، وإلاَّ فهل انتهى الاستغلالُ والاستعمار واسترقاقُ الشعوب لبعضها؟ وهل تحرر الإنسان من الخوف على الحياة والرِّزق؟ وهل قضى على الشِّرك بكل صنوفِه الذي يخلُّ بكرامة الإنسان؟، وصدَق الله العظيم القائل: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[1]، والقائل: ﴿ **وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا** ﴾[2]، وكفى بها من شهادة.

---

(1) سورة آل عمران، آية : 110.

(2) سورة البقرة، آية: 143.

الفصل الثاني

عصر الإمامين: ابن الجوزي وابن قيم الجوزية وحياتهما

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: عصر الإمام ابن الجوزي

المبحث الثاني: الإمام ابن الجوزي: حياته وآثاره

المبحث الثالث: عصر الإمام ابن القيم

المبحث الرابع الإمام ابن القيم: حياته وآثاره

المبحث الأول

عصر الإمام ابن الجوزي

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر ابن الجوزي

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية في عصر ابن الجوزي

المطلب الثالث: الحالة العلمية والدينية في عصر ابن الجوزي

المبحث الأول

عصر الإمام ابن الجوزي

جاء هذا الفصل مشتملاً على بيانٍ لكل من: الحالة السياسية، والاجتماعية، والدينية لعصر الإمامين: (ابن قيم الجوزية، وأبو الفرج بن الجوزي)، والشعور بمدى أثره في تكوين شخصية كل منهما قبل الترجمة لهما، ومن المعلوم أن هناك علاقة وثيقة بين الشخصية والبيئة التي عاش وترعرع فيها، ولذلك فإنه من الضروري إلقاء الضوء على الزمان والمكان اللذين وُجِدت فيهما تلك الشخصية، سيما أولئك الذين لهم صلة بأحداث عصرهم، كالعلماء والدعاة، والمصلحين.

فكما أن لهؤلاء المذكورين بالعادة أثراً واضحاً في مجتمعاتهم وأهل عصرهم، فإن لعصرهم وأحداثه أيضاً تأثيراً عليهم من حيث نوع المشكلات وآليات معالجتها، وكذا من ناحية موقف حُكَّام ذلك العصر من العلم وأهله، إلى غير ذلك من الأمور التي لها أثر مباشر على شخصية الفرد خاصة، والمجتمع عامة.

المطلب الأول:

الحالة السياسية في عصر ابن الجوزي

ولد الإمام جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي في أحد أبهى العصور الإسلامية، وهو عصر الدولة العباسية التي ينتهي نسب خلفائها إلى العباس بن عبد المطلب ﵁ عم النبي ﷺ، فبدأت على أكتاف العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، المشهور بالسفاح[1].

---

(1) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس السفاح، (104 –136هـ)، أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة، ولد ونشأ بالشراة (بين الشام والمدينة)، ولقب بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء معارضيه، سيما من بني أمية، وكان مع ذلك سخياً فصيحاً، كانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وأربعة أيام، مرض بالجدري وتوفي شاباً بالأنبار. أخبار السفاح " للمدائني، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، 6/ ص77 – 78، الأعلام، الزركلي، ج4/ ص116.

وحكم خلفاؤها ما يقرب من خمسة قرون وربع القرن، وانتهت بخلافة المستعصم[1] الذي قتله التتار سنة (656هـ).

وقد عاصر الإمام ابن الجوزي فترة تعتبر فترة ظهور الشخصيات القوية المسيطرة على الخلفاء، ووجود دول في قلب الخلافة تحكم من وراء ستار، مما أدى بطبيعة الحال إلى أن يكون لبعضهم ثورات على بعض، ومحاولات لانتزاع الملك من يد الضعيف منهم، والذي كان بدوره يسعى إلى ممالأة الصليبيين ليستقوي بهم على الإمارات الإسلامية الأخرى التي تحاول الإطاحة به، بهذا يرتسم في الذهن إلى أي مدى من الفوضى السياسية كان يعيش المسلمون خاصة في بلاد الشام والعراق ومصر؛ باعتبار قربهم من دار الخلافة، ودوران رحى الحروب الصليبية بساحتهم.

يقول ابن كثير: "ووهى أمر الخلافة جداً، واستقل نواب الأطراف بالتصرف فيها، ولم يبق للخليفة حكم في غير بغداد ومعاملاتها"[2].

كما أن "الثورات لم تهدأ ضد العباسيين، فقد استمرت ثورات الخوارج، والعلويين..

أما الخوارج؛ فقد كانت ثوراتهم سهلة على بني العباس، وكان القضاء عليها دائماً هو الحاصل؛ لأنهم كانوا يثورون في جماعات، ليس لهم تأييد من الرأي العام، وليس لهم مدد من الأنصار أو المتعاطفين مع فكرتهم، أما الشيعة فكانت، نداءاتها مؤثرة أكثر؛ لأنها تلامس العاطفة بادعاء مظلومية آل البيت، كما ولهم حيزهم الجغرافي الذي يلجؤون إليه.

---

(1) هو عبد الله بن المستنصر بالله أبي جعفر منصور بن الظاهر بأمر الله، أبو أحمد المستعصم بالله، (609 – 656هـ)، أمير المؤمنين، بويع بالخلافة سنة 640هـ، وهو آخر خلفاء بني العباس في العراق، قال بن تغري بردي: "كان المستعصم قليل المعرفة بتدبير الملك، نازل الهمة، مهملاً للأمور المهمة، محباً لجمع الأموال، يقدم على فعل ما يستقبح، أهمل أمر هولاكو، حتى كان في ذلك هلاكه". "النجوم الزاهرة"، في ملوك مصر والقاهرة، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ج7/ ص63، 64، و"البداية والنهاية"، ابن كثير ج17/ ص 364 – 368.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، ج15/ ص95.

وبالتحديد أكثر فإن الفترة الزمنية التي تعنينا بالدراسة هنا هي جزء من مرحلة النفوذ السلجوقي، وهم من أجناس الترك، والذي امتد من عام 447هـ إلى عام 656هـ يوم أن سقطت بغداد بيد التتار، والذي في عهدهم قضت دولة البويهيين نحبها.

وفي هذه المرحلة من مراحل العصر العباسي أصبح الخلفاء أُلعوبة بيد السلطان السلجوقي، الذي جرد الخليفة من كل صلاحياته، جرياً منهم على ما سار عليه من قبلهم، ومع هذا "فلم يكن السلاجقة –وهم القوة المسيطرة– يتصرفون مع الخليفة ذلك التصرف السيئ الذي كان يقوم به من سبقهم، سواء من القادة الأتراك أم من البويهيين، وإن سلوك السلاجقة مع الخلفاء الطيب نسبياً قد أعاد للخليفة هيبته أو مكانته[1].

وقد تعاقب في هذه الفترة عشرة من الخلفاء تفاوتت مدة خلافتهم بين سبع وأربعين سنة وبين سنة واحدة، وكان مما يميزهم أنهم كانوا "على درجة من العدل والتقوى والإحسان والعطف على الناس، وقد أحبتهم الرعية حباً كبيراً؛ حتى ليعم الحزن البلاد عندما يتوفى أحد الخلفاء[2].

ولقد كانت هذه الفترة التي عاش فيها الإمام ابن الجوزي هي فترة الانتعاش للدولة تارة والركود أخرى، فلا ينفي الحال المذكور وجود فتوحات إسلامية على أيدي السلاطين المستقلين، فقد سبق عهد ابن الجوزي أن استرجع المسلمون أنطاكية من الروم عام 477هـ، ومنبج عام 468هـ[3].

وقد عاصر الإمام ابن الجوزي سبعة من العشرة المذكورين آنفاً، من خلفاء الدولة العباسية، وقعت في أيامهم عدة أحداث وتقلبات سياسية، انعكست أثرها على الحياة

---

(1) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر محمود شاكر، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1987م، بيروت –لبنان، ج6/ ص216.

(2) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ج6/ ص215.

(3) المرجع السابق: ج6/ ص228

السياسية، في الخلافة الإسلامية، وهم:

الخليفة الأول: المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن المقتدي بأمر الله، تولى بين العامين: (487 – 512هـ).

وقد وصفه الإمام ابن الأثير[1] بأنه كان: «لين الجانب، كريم الأخلاق، أيامه أيام سرور للرعية، فكأنها من حسنها أعياد»[2].

وفي عهده "سنة اثنتين وتسعين انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان، وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، واختلفت السلاطين، فتمكنت الفرنج من الشام.

وفي أيامه أيضاً بدأت الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي[3].

– الخليفة الثاني: المسترشد بالله أبو المنصور الفضل بن المستظهر بالله تولى بين العامين: (512 – 525)هـ

قال عنه ابن كثير: «وقد كان المسترشد شجاعاً مقداماً ... وهو آخر خليفة رئي خطيباً»[4].

وقال عنه السيوطي: «ضبط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب، وأحيى رسم

---

(1) هو علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، عز الدين أبو الحسن بابن الأثير (555 – 130هـ) المحدث والمؤرخ المضهور، ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل، وتجول في البلدان، وعاد إلى الموصل وتوفي بها، له من المؤلفات: "الكامل في التاريخ " و"أُسْد الغابة في معرفة الصحابة" و"اللباب في معرفة الأنساب"، وفيات الأعيان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان البرمكي الإربلي، تمحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر – بيروت ج3/ ص348 – 350، وسير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص488 – 491.

(2) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، مرجع سابق، ج8/ ص 628 باختصار.

(3) التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، ج6/ ص243.

(4) البداية والنهاية، مرجع سابق، ج16/ ص306.

الخلافة، ونشر عظامها، وشيد أركان الشريعة، وطرز أكمامها، وباشر الحروب بنفسه"»[1].

وقد مات مقتولاً[2].

الخليفة الثالث: الراشد بالله أبو جعفر المنصور بن المسترشد بالله، تولى بين العامين: (525 – 535هـ).

قال عنه السيوطي: «كان يؤثر العدل ويكره الشر»[3].

الخليفة الرابع: المقتفي لأمر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله، تولى بين العامين: (535 – 555هـ).

وقد تولى الخلافة بعد أن بويع له بها خلفاً لابن أخيه المنصور بن المسترشد بالله.

قال عنه الإمام الذهبي[4] «كان عالماً فاضلاً ديناً حليماً شجاعاً مهيباً خليقاً للإمارة كامل السؤدد، وكان لا يجري في دولته أمر –وإن صغر– إلاَّ بتوقيعه»[5].

---

(1) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص307.

(2) البداية والنهاية، ج16/ ص306.

(3) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص310.

(4) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله التركماني، شمس الدين الذهبي (673 – 748هـ)، الإمام الحافظ المؤرخ، تركماني الأصل من أهل دمشق تفيها توفي، شافعي المذهب. له من المؤلفات: "سير أعلام النبلاء"، "تاريخ الإسلام"، "الكاشف في رجال الكتب الستة"، وغيرها. "النجوم الزاهرة"، ابن تغري بردي، ج10/ ص182 – 183، و"طبقات الشافعية الكبرى"، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د/ محمود محمد الطناحي، و د/ عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 2، 1413هـ ج10، ص100 – 123، و"الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام"، ومقدمة د/ بشار عواد لكتاب: "سير أعلام النبلاء.

(5) العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت (بدون)، ج3/ ص24.

الخليفة الخامس: المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله، تولى بين العامين: (555- 556هـ)

«وكان المستنجد موصوفاً بالفهم الثاقب، والرأي الصائب، والذكاء الغالب، والفضل

الباهر، له نظم بديع، ونثر بليغ، ومعرفة بعمل آلات الفلك والإسطرلاب[1]، وغير ذلك»[2].

«وفي أيامه اتسعت رقعة ميدان القتال بين المسلمين والصليبيين، وكانت الساحة بلاد الشام ومصر، ويقود القتال محمود نور الدين زنكي[3] في كلا الساحتين، حيث ضعفت الدولة العبيدية "الفاطمية" لدرجة كبيرة».

الخليفة السادس: المستضيء بأمر الله الحسن بن المستنجد بالله، تولى بين العامين: (566 - 575هـ):

قال الذهبي: «في أيامه ضعف الرفض ببغداد ووهى، وأمِن الناس، ورزق سعادة عظيمة في خلافته، وخطب له باليمن»[4].

ويعتبر المستضيء أحد الخلفاء الذين توثقت الصلة بينهم وبين الإمام ابن

---

(1) من الآلات الفلكية المشهورة.

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج20/ ص432

(3) هو محمود بن عماد الدين زنكي ابن اقسنقر، أبو القاسم، نور الدين، التركي السلجوقي مولاهم، الملقب بالملك العادل (511 - 569هـ)، ولد في حلب وانتقلت إليه إمارتها بعد وفاة أبيه، ثم ملك الشام وديار الجزيرة ومصر، توفي بدمشق، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج20/ ص531 - 539، وعيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، أبو القاسم شهاب الدين أبو شامة، تحقيق: إبراهيم الزيبق، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: 1، 1418هـ/ 1997م، ج1/ ص31 -167.

(4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت،2985 م، ط: 1، تحقيق د/ عمر عبد السلام تدمري، ج40/ ص167.

الجوزي، وبلغ شأواً عظيماً في زمنه، حتى أنه كتب كتاباً سماه "المصباح المضيء في دولة المستضيء"، وكان المستضيء شديد الحرص على حضور دروس ابن الجوزي.

الخليفة السابع: الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بأمر الله، تولى بين العامين: (575 – 622هـ)

لم يكن في أيامه خليفة سواه، ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه؛ فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة، ولم تزل مدة حياته في عز وجلالة وقمع الأعداء،

"وفي عهده ضعف أمر الصليبيين، وظهر الأيوبيون، وعلا سلطانهم، وكان الجميع يخطب له، وفتح صلاح الدين[1] القدس عام 583هـ[2].

ويظهر من خلال هذه المراحل التي عاش فيها الإمام ابن الجوزي كثرة الاضطرابات في الحياة السياسية، وقد لخص الإمام السيوطي هذه الفترة الزمنية بقوله: «في المائة الخامسة: أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس، وفي المائة السادسة: كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف عليه السلام، وكان ابتداء أمر التتار»[3].

المطلب الثاني:

الحالة الاجتماعية في عصر ابن الجوزي

ساعد امتداد البعد الجغرافي للدولة العباسية، وتولي السلاطين من ذوي الأعراق

(1) هو يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب (532 – 589هـ)، أبو المظفر التكريتي، الملقب الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، السلطان العادل المجاهد، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية واليمنية، لم يأت في ملوك الإسلام بعد نور الدين الشهيد مثله، فتح القدس الشريف وطهر السواحل من الإفرنج، ومصر من الباطنية. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص278 – 291، والنجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، مرجع سابق، ج6/ ص3 – 14.

(2) تاريخ الإسلام، الذهبي، مرجع سابق، ج40/ ص54.

(3) تاريخ الخلفاء، السيوطي، ص369. والمقصود بـ "التتار" القبائل المغولية، وهي قبائل بدوية عاشت في منغوليا، ومنشوريا وسيبريا، عرفوا بأنهم جند متميزون، متوحشون، دخلوا بغداد سنة 171 هـ، وتم تخريب المدينة وقتل سكانها؛ بما فيهم الخليفة المستعصم. الموسوعة العربية العالمية/ ج6/ ص90.

والمذاهب المختلفة فيها مقاليد الحكم، وتسلطهم عليها، وامتداد أيدي الأمراء والوزراء أحياناً لصناعة القرار في الدولة إلى بروز كثير من الأعراق على الساحة الاجتماعية، والتي كانت بعد ذلك لها أثرها الواضح في صياغة الحياة الاجتماعية على رقعة الخلافة الإسلامية.

وأبرز ما يلاحظ بخصوص الحياة الاجتماعية هو طبيعة سكان الدولة وأعراقها المختلفة، فقد ذكر الإمام ابن الجوزي أن عامة سكان بغداد[1] عاصمة الخلافة التي عمَّرها العباسيون وجعلوها عاصمة الإسلام آنذاك كانوا يؤلفون خليطاً من العرب والعجم بمختلف مسمياتهم، ولو أن تسمية هؤلاء جميعاً بالعرب قد غلبت عليهم.

وأما أهل الذمة من اليهود والنصارى فهم أهل تجارة وصيرفة، وأصحاب معرفة بالحساب والكتابة والخراج، وقد استخدمهم العباسيون في دواوينهم وخزائنهم وضياعهم، وإن كان لم يسمح لهم بإظهار شعائرهم بين المسلمين.

يضاف إلى ما سبق اللون الرافضي الذي كان له حضور على مدى عقود متتابعة.

ونتيجة لهذا المزيج المختلط من الأفكار والعقائد والمناهج والثقافات المنضوية تحت سقف الخلافة، وللتطور الذي ساد الحياة في النواحي الصناعية والزراعية في ذلك العهد ساد الرخاء –في الجملة– أوساط بغداد وبقيَّة المدن في العراق، وانتقل منها إلى باقي أقاليم العالم الإسلامي؛ إذ يعتبر العصر العباسي هو عصر الإبداع في الحضارة الإسلامية ووجود الانفتاح على العالم، وبلغت فيه الحضارة الإسلامية أوجها من الناحية المادية، وأثمرت ثماراً يانعة، غير متأثرة بما يحدث للخلافة من الناحية

---

(1) بغداد: هي عاصمة العراق قديماً وحديثاً، وتقع على نهر دجلة، أول من جعلها مدينة الخليفة المنصور العباسي سنة 149هـ. وقد صنَّف في بغداد وما حدث بها الخطيب أبو بكر البغدادي في كتابه "تاريخ بغداد". معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995م ج1/ ص456 – 467، والمنتظم، عبد الرحمن بن الجوزي، تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1412هـ – 1992م،

السياسية من حيث القوة والضعف، وإن كان لهذا الترف أثره فيما بعد في هدم ما بُني[1].

ومن الملامح الاجتماعية أيضاً لهذا العصر ما اتسم به من الرقي بفن العمارة الإسلامية، فقد بنيت مدن كاملة كـ"بغداد" عاصمة الخلافة في عهد أبي جعفر المنصور على نهر دجلة عام 154هـ، ثم أُعيد بناؤها مرة أخرى[2] في عهد المعتضد، و"سامراء"[3] التي بنيت كمدينة للجند الأتراك بغرض تنشئتهم التنشئة العسكرية..

يضاف إلى ذلك قصور الخلفاء والوزراء والأثرياء.

وبدهي أن تكثر في مثل هذه الأجواء مجالس اللهو والطرب، والتي أخذت بالتطور بمرور عصور الازدهار، ووجود الراعي لها من الأثرياء والمترفين، ويصف ابن خلدون[4] ذلك فيقول: «وما زالت صناعة الغناء تتدرج إلى أن كملت أيام بني العباس عند إبراهيم بن المهدي، وإبراهيم الموصلي، وابنه إسحاق، وابنه حماد».

ورغم هذا فقد وُجد من الخلفاء من كان «من محاسنه أنه نفى المغنيات

---

(1) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، نشر: دار القلم، بيروت، ط: 5، 1984م، ج1 ص290.

(2) الكامل في التاريخ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: 1، 1417هـ – 1997م، ج7/ ص 370.

(3) سامراء مدينة في العراق تقع سامراء على الضفة اليسرى لنهر دجلة على بعد 200 كم من بغداد، بناها الخليفة المعتصم عام 112هـ بعد أن ضاقت بغداد بجنوده، وسماها سُرّ من رأى، واتخذها عاصمة للخلافة بدلاً من بغداد، وبقيت كذلك حتى عهد الخليفة المعتمد الذي أعاد لبغداد مكانتها. وقد خربت على يد المغول فسميت ساء من رأى. الموسوعة العربية العالمية، ج12/ ص44.

(4) هو عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، أبو زيد (732 – 808هـ) مؤرخ مصنف، نشأ في تونس، ثم رحل إلى مصر، وتولى قضاء المالكية فيها، وتوفي بها، له: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر"، شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط: 1، 1406هـ – 1986م، ج7/ ص71 ، 72، والأعلام الزركلي: (3/ 330 ، 331).

والخواطي[1] ببغداد، وأمر أن لا يدخل أحد الحمام إلاَّ بمئزر، وخرب أبراج الحمام صيانة لحرم الناس، وكان ديناً خيراً قوي النفس عالي الهمة"، كما ذكر السيوطي[2] عن المقتدي بأمر الله، عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله»[3].

وفي عهد الخليفة المهدي الذي استقرت فيه الدولة العباسية ظهرت فيه مؤسسة الحسبة بسلطاتها الواسعة، وامتدت إلى مدن المشرق، ومدن المغرب العربي فالأندلس، وأصبح دورها بارزاً وحيوياً في ضبط وتوجيه وترشيد السلوك الإنساني التعاملي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

ومما يضفي طابعاً اجتماعياً على ألوان الحياة ما كان للعباسيين من اهتمام بالحفاظ على عمود نسبهم ألاَّ يختلط، وتَميزهم عن غيرهم من الرعية، وفي ذلك كتب السيوطي كتاباً سماه: "رفع البأس عن بني العباس".

وسيأتي تتمة للجانب المشرق الآخر من الحالة الاجتماعية في العصر العباسي، كبناء المساجد ودور العلم وانتشار العلماء وإكرامهم لهم عند الحديث في "الحالة العلمية"؛ لتعلقها به أكثر.

---

(1) جمع خاطية؛ ويبدو أنهن نساء إفرنجيات اشتهرن بالفجور في بغداد.

(2) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري، جلال الدين السيوطي، (849 – 911 هـ)، الإمام الحافظ المؤرخ، نشأ في القاهرة يتيماً ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، له نحو 700 مصنف، منها: "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، الإتقان في علوم القرآن، الأعلام، الزركلي ج3/ ص301 – 303، و"شذرات الذهب"، السيوطي، ج10/ ص74 – 79، وفي حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للمؤلف لنفسه من إنشائه: ج1/ ص335 – 344، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط: 1، 1387هـ – 1967م.

(3) انظر: تاريخ الخلفاء عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ط: 1، 2971 م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ص113.

المطلب الثالث:

الحالة العلمية والدينية في عصر ابن الجوزي

كان العصر العباسي يعد أنموذجاً ضخماً لعصر النمو الفكري في شتى النواحي العلمية لكل وارد عليه من بلاد الدنيا، فكل العلوم الدينية التي كانت نشأتها في العصر الأموي استكملت نموها في العصر العباسي، وكان للتقدم العلمي الكبير الذي سانده الخلفاء، كما فعل المعتضد لما أدر الأموال على الأئمة والمؤذنين والعلماء والقراء، وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء والنسابين والأطباء والحساب[1] وكان للتقدم العلمي الذي شهده هذا العصر أثره الملحوظ في تحقيق الازدهار الاقتصادي القائم على أسس علمية صحيحة، وأصبحت بغداد التي بناها الخليفة المنصور أعظم بلاد الدنيا، ودرة الحضارة الإسلامية؛ فكانت مليئة بدور العلم من مدارس ومكتبات، كما شيدت بها الجسور والمستشفيات والمراصد وغير ذلك.

وبذلك شهد عصر الدولة العباسية نهضة فكرية وعلمية واسعة، فقد أنشئت في عهدها الكثير من المدارس العلمية، كتلك التي أنشأها الوزير نظام الملك لنشر المذهب السني بداية من بغداد 459هـ حتى عرفت بالمدارس النظامية، وأخذت اسمها لقبه: "نظام الملك"، ثم امتدت إلى بغداد وغيرها من البلدان لنفس المسمى، حتى قال السبكي[2]: "يقال إن له في كل مدينة بالعراق وخراسان مدرسة"[3].

كما نشطت حركة النقل والترجمة بعد أن تقدمت صناعة الورق، وظهر عدد من الوراقين «يقومون بنسخ الكتب، واتخذ العلماء والأدباء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم،

---

(1) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7/ ص378.

(2) تأتي ترجمته في تلامذة ابن القيم.

(3) طبقات الشافعية الكبرى، ابن السبكي، ج4/ ص314.

فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والأدبية، وأصبحت هذه المكتبات من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في ما بعد»[1]، وقد عمل الخلفاء العباسيون على إمداد بيت الحكمة – الذي قيل إن هارون الرشيد هو الذي وضع أساسه بمختلف الكتب، وظلت هذه الخزانة – قائمة حتى استولى التتار على بغداد[2].

ووجد ما يعرف بديوان الإنشاء، الذي كان يستقطب الأدباء واللغويين، وقد ذكر ابن خلكان «أن أبا محمد بن عبد الله بن بري اشتهر بالنحو واللغة والرواية، وأنه كان يراجع كل ما يحرر من الرسائل في ديوان الإنشاء، ويصلح ما فيها من لغة أو نحو قبل أن ترسل إلى الملوك والأمراء»[3].

يضاف لما سبق ما عرف وذاع عن بعض الخلفاء من العلم والأدب والبلاغة، ومن كان منهم محباً للعلماء.

كما كان لأمثال الوزير ابن هبيرة[4] في الدولة العباسية سعي للنهوض بالدولة العباسية، واستعادة هيبتها، فقرب ابن الجوزي لمجالسه واتخذه مستشاراً، وكان يستقدم العلماء[5].

ولعل نظرة على بعض الأعلام الذين عاصرهم الإمام ابن الجوزي ودرس على أيديهم وانتقاهم انتقاء أو كانوا له قرناء يُدَرك بها عِظم الحركة العلمية التي كانت تسري

---

(1) وفيات الأعيان، ج1/ ص153

(2) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(3) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج2، ص292 ، 293.

(4) هو يحيى بن محمد بن هبيرة، أبو المظفر الشيباني الحنبلي، (499 – 560هـ) الوزير الكامل والإمام العادل عالم بالفقه والأدب، له من المؤلفات: "الإفصاح، عن معاني الصحاح"، و"العبادات" المنتظم، مرجع سابق في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجزري، مصدر سابق ج18/ ص116، وسير أعلام النبلاء، ج20/ ص426 – 432.

(5) انظر: المنتظم، مصدر سابق ج18/ ص168.

في جسد الأمة حينذاك، وسيأتي ذكر بعضهم في ترجمته.

كما أن مجالس الإمام ابن الجوزي كانت لا تخلو من أمير أو سلطان أو خليفة على حرص منهم في ذلك، على كثرة ما كان يجتمع في مجالسه من الخلق ممن يعدون بالآلاف.

ولقد كان لابن الجوزي دور كبير ومشاركة فعالة في الخدمات الاجتماعية والعلمية، فقد بنى مدرسة بدرب دينار، وأسس فيها مكتبة كبيرة، ووقف عليها كتبه، وكان يدرس أيضاً بعدة مدارس ببغداد[1].

يقول الدكتور يحيى محمود بن جنيد[2] محقق كتاب "رفع البأس عن بني العباس" لجلال الدين السيوطي: «ويفيدنا كتاب رفع البأس في الخروج بجملة من النتائج ... من أهمها: أن دور العباسيين لم ينحصر في الإمارة والحكم، بل كان من بينهم علماء وفقهاء وأدباء وشعراء ونحاة مميزون..

أن كثيراً منهم تولوا القضاء في بغداد والبصرة على زمن الخلافة العباسية»[3].

ختاماً: يظهر من خلال المسيرة الدعوية للإمام ابن الجوزي ما كان يكسو تلك الفترة من حضور كبير للدعاة والعلماء بين المسلمين، كما أن وجود مشايخ الإسلام العظام، ومشاهير العلماء الكبار في تلك الفترة الزمنية على طولها أكبر دليل على الانتعاش العلمي في تلك الفترة.

---

(1) تاريخ الإسلام: ج42، ص296.

(2) هو يحيى محمود بن جنيد، الساعاتي، أكاديمي سعودي حاصل على درجة الدكتوراة، وأمين مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض.

(3) انظر مقدمة كتاب "رفع البأس عن بني العباس".

المبحث الثاني

الإمام ابن الجوزي حياته وآثاره

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ونشأته، ودراسته

المطلب الثاني: شيوخ وتلاميذ ابن الجوزي

المطلب الثالث: ثناء العلماء علي ابن الجوزي، ومؤلفاته، ووفاته

المبحث الثاني

الإمام ابن الجوزي حياته وآثاره

المطلب الأول:

اسمه، ونسبه، وكنيته، ونشأته، ودراسته.

المسألة الأولى: اسم ابن الجوزي ونسبه وكنيته

هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، القرشي التيمي البكري البغدادي الحنبلي[1].

وكنيته أبو الفرج ولقبه جمال الدين واشتهر بابن الجوزي. واختلف في هذه النسبة، لعل أشهرها أنه كانت في داره بواسط[2] جوزة لم يكن بواسط جوزة سواها، وقيل نسبة إلى فرضة نهر بالبصرة[3].

ولد بغداد في فترة سيطرة السلاجقة على الخلافة العباسية، وبالتحديد في خلافة

---

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، عدد من المحققين، نشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، ط: 1، 1434هـ – 2013م، ج22/ ص93 ، 94، وسير أعلام النبلاء ج21/ ص365، والبداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر ط: 1، 1418هـ – 1997م ج16/ ص706.

(2) واسط: مدينة في العراق بناها الحجاج سنة 75هـ، وقال: «هذا وسط ما بين المصرين: الكوفة والبصرة»، معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، ج5/ ص347، والمنتظم، ابن الجوزي، ج6/ ص199 ، 200.

(3) الوافي بالوفيات، الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ– 2000م، ج18/ ص110، والبداية والنهاية، ابن كثير: ج16/ ص705 ، 706. والبصرة مدينة جنول بغداد اختطها عمر بن الخطاب ﷺ سنة 15هـ، معجم البلادان، ج1/ ص430، والمنتظم، ابن الجوزي، ج4/ ص180.

المستظهر بالله العباسي، وهي فترة عرفت بالاضطرابات السياسية والعسكرية عانت منها الخلافة سنيناً.

وكانت ولادته ببغداد، واختلف في تاريخ ولادته، والأرجح ما نقل عنه قوله: «لا أتحقق مولدي، غير أنه مات والدي في سنة 514هـ، وقالت الوالدة كان لك من العمر ثلاث سنين»[1]..

المسألة الثانية: نشأة ابن الجوزي ودراسته

توفي والده وعمره ثلاث سنوات كما تقدم، فكفلته أمه وعمته، فأحسنتا رعايته وتربيته والاعتناء به، ولما ترعرع ووجدت عمته فيه من النباهة والذكاء أرسلته إلى مسجد أبي الفضل ابن ناصر، محمد بن ناصر الحافظ[2]، وهو خاله، فلزم مجلسه وقرأ عليه، وسمع عليه الحديث. وهو أول أشياخه.

وكان ابن الجوزي في صغره وطفولته لا يحب مخالطة الناس خوفاً من ضياع الوقت في الهفوات، فيقول ابن كثير: «وكان وهو صبي ديّناً، مجموعاً على نفسه، لا يخالط أحداً ولا يأكل ما فيهِ شبهةٌ، ولا يخرج منْ بيته إِلَّاَّ للجمعة، وكان لا يلعب مع الصبيان»[3].

كان أقاربه تجاراً في النحاس، وهذا قد وفر له ثروة طائلة بعد وفاة أبيه، ولكن الفتى كان يعرض نفسه للشدائد في سبيل طلب العلم، فكانت حياته العلمية الأولى مليئة بالمتاعب والصعاب، فنراه يقول عن نفسه: «ولقد كنت في حلاوة طلبي العلم ألقى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا

---

(1) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج3/ ص142.

(2) ستأتي ترجمته في الأشياخ إن شاء الله.

(3) البداية والنهاية، ابن كثير، ج16/ ص708.

أقدر على أكلها إلاَّ عند الماء، فكلما أكلت لقمة، شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلاَّ لذة تحصيل العلم»[1].

قال ابن رجب الحنبلي[2]:«ودرّس بعدة مدارس، وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار، ووقف عليها كتبه[3]».

المطلب الثاني:

شيوخ وتلاميذ ابن الجوزي

المسألة الأولى: شيوخ ابن الجوزي

ذكر ابن الجوزي شيوخه في كتاب خاص سماه "مشيخة ابن الجوزي"، عدَّ فيه 86 شيخاً وثلاث نسوة.

يقول: «حملني شيخنا ابن ناصر إلى الأشياخ في الصغر وأسمعني العوالي، وأثبت سماعاتي كلّها بخطِّه، وأخذ لي إجازات منهم؛ فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم، وأوثر من أرباب النقل أفهمهم، فكانت همتي تجويد العُدد لا تكثير العَدد»[4].

ومن أشهر شيوخه الذين ذكرهم هو في "مشيخته"، أو ذكرهم غيره:

---

(1) انظر: صيد الخاطر، ابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان نشر: دار القلم – دمشق ط.1 سنة 1425هـ – 2004م، ص 459.

(2) هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي ثم الدمشقي أبو الفرج زين الدين، (706 – 795)هـ حافظ للحديث من كبار العلماء، ولد وتوفي في بغداد، له من المؤلفات" "القواعد الفقهية"، و"ذيل طبقات الحنابلة"، و"جامع العلوم والحكم". "الدرر الكامنة"، ابن حجر ج2/ ص428، 429، و"شذرات الذهب" ج8/ ص580 – 581.

(3) ابن رجب الحنبلي: ذيل طبقات الحنابلة ج2/ ص485.

(4) مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 3، ص1.

1- أبو الفضل محمد بن ناصر الحافظ (467 - 550هـ): وهو خاله، وقد اعتنى به وأسمعه الحديث، وقد قيل: إن أول سماعاته سنة 516هـ، "وكان -ابن ناصر- حافظاً ضابِطاً مكثراً من السنة، كثير الذكر، سريع الدمعة"[1].

2- سبط الخياط، الامام المقرئ أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المعروف بسبط الخياط البغدادي، وتوفي بها (541هـ). وعليه قرأ القرآن[2].

3- أبو منصور الجواليقي (465- 540هـ)، وهو اللغوي الأديب، قال عنه ابن الجوزي: «انتهى إِليه علم اللُّغة.. وَكان غزير العقل متواضعاً، طويل الصمت، لا يقول شيئاً إِلاّ بعد التفكيرِ الطويلِ واليقين"[3].

4- أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت، (ت 535هـ)، تنتهي نسبته إلى كعب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذين خُلفوا. يذكر المؤلف: أنه قرأ عليه، وكان ثقة فهماً حجة متفنناً في علوم كثيرة، منفرداً في علم الفرائض. وقع في أيدي الروم أسيراً فأجبروه على أن ينطق كلمة الكفر فلم يفعل.

5- أبو الحسن الدينوري، علي بن عبد الواحد، (ت 521هـ)[4]، يذكر المؤلف أنه سمع منه الفقه والحديث، والجدل، والخلاف، والأصول، وهو من أقدم شيوخه وكان يسكن باب البصرة من غربي بغداد.

6- أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكروخي، (ت 548هـ)، يذكر ابن الجوزي: أنه سمع منه بقراءة شيخه الأول أبي الفضل بن ناصر عليه، وكان عبد الملك صالحاً صدوقاً، سمع جماعة كثيرة وخرج إلى مكة فجاور بها وتوفي فيها.

(1) ابن كثير البداية والنهاية، ابن كثير، 16/ 374.

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج20/ ص129 - 130.

(3) مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي، ص142 - 126.

(4) مشيخة ابن الجوزي، ابن الجوزي، ص63 - 65.

المسألة الثانية: تلاميذ ابن الجوزي

وكما اختار ابن الجوزي ثلة من خيرة أساطين علماء عصره، كذلك اختاره هو شيخاً نخبةٌ من الأفذاذ أخذوا العلم والحكمة على يده؛ فبرزوا بعده مقتدين بخطواته في التأليف والنصح والإخلاص. ومن أشهر تلاميذه:

1- شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزغلي التّركي البغدادي الحنفي، سبط ابن الجوزي(1) (581 - 654هـ)، سمع أبا الفرج بن كليب وغير، ولد ببغداد ومات بدمشق، وكان إماماً فقيهاً واعظاً وحيداً فِي الوعظ علامة فِي التاريخ والسير. صنف مجموعة من الكتب، منها: "مرآة الزمان في التاريخ"، و"شرح الجامع الكبير"(2).

2- عبد الغني المقدسي: أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد الجمّاعيلي المقدسي الدمشقي (541 - 600هـ)، الحافظ، ولد بجمّاعيل(3) بنابلس(4) وتوفي بمصر، كان أوحد زمانه فِي علم الحديث والحفظ، له من المؤلفات: الكمال في أسماء الرجال، والأحكام الكبرى والصغرى. قال يوسف بن خليل: كان ثقةً ثبتاً ديناً مأموناً حسن التصنيف دائم الصيام(5).

3- موفق الدين بن قدامة، أبو محمد عبد الله الجماعيلي المقدسي، (541 - 620 هـ)، الفقيه الحنبلي، شيخ الإسلام، ولد بنابلس، وتوفي بدمشق، له من المؤلفات:

---

(1) السبط: ولد الابن والابنة، والسبط من اليهود كالقبيلة من العرب (ج) أسباط. المعجم الوسيط، ج1 ص414.

(2) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ج17/ ص342 - 343، الوافي بالوفيات، الصفدي ج29/ ص121 - 122، وفيات الأعيان ابن خلكان، ج3/ ص142.

(3) جمّاعيل قرية بجبل نابلس الآتي ذكرها بفلسطين، تسمى اليوم "جماعين".

(4) نابلس أو شكيم بالكنعانية، مدينة من أقدم مدن العالم، يعود تاريخها إلى حوالي سنة 3600 ق.م، أسست عند ملتقى أقدام جبلي جرزيم في القسم الشرقي لمدينة نابلس الحالية على يد العرب الكنعانيين فوق تل كبير، والتي تعني المكان المرتفع. بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ، معجم البلدان، ج5/ 248، والموسوعة الحرة، مرجع سابق.

(5) انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج4/ ص111 - 117، والأعلام، الزركلي، ج4/ ص34

"المغني"، روضة "الناظر"، "لمعة الاعتقاد"[1].

4- أحمد بن عبد الدائم بن نعمة الكاتب المحدث، (575 - 668هـ) ولد في نابلس، ودخل بغداد، وسمع بها من ابن الجوزي وغيره، وحدث بالكثير بضعاً وخمسين سنة، وكتب ما لا يوصف كثرة[2].

المطلب الثالث:

ثناء العلماء علي ابن الجوزي، ومؤلفاته، ووفاته

المسألة الأولى: ثناء العلماء على ابن الجوزي

كان ابن الجوزي عالماً موسوعياً كبيراً، كثير الاطلاع، شغوفاً بالقراءة والاطلاع، فقد حكى عن نفسه أنه طالع عشرين ألف مجلد أو أكثر، وهو ما يزال طالباً[3].

قال موفق الدين المقدسي: «كان ابن الجوزي إمام أهل عصره في الوعظ وصنف في فنون العلم تصانيف حسنة وكان صاحب فنون».

وقال الذهبي: «الإمام العلامة الحافظ عالم العراق وواعظ الآفاق»[4].

وقال ابن رجب: «الحافظ المفسر الفقيه الواعظ شيخ وقته وإمام عصره»[5].

وقال: «لم يترك فناً من الفنون إلاَّ وله فيه مصنف[1]».

---

(1) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج22/ ص165 - 173، والبداية والنهاية، ابن كثير، ج17/ ص116 - 120.

(2) انظر ترجمته في فوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت، ط: 1، ج1: ص81. الأعلام، الزركلي، ج1/ ص145.

(3) صيد الخاطر: بعناية: حسن المساحي سويدان، نشر: دار القلم - دمشق، ط: 1،هـ1425هـ - 2004م، ص12.

(4) تذكرة الحفاظ، الذهبي، مرجع سابق، ج4 ص92.

(5) ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ج2 ص461.

وقال ابن كثير: «أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، ومجموع المصنفات الكبار والصغار نحواً من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلد، وله في العلوم كلها اليد الطولى، والمشاركات في جميع أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنجوم والطب والفقه، وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات في ذلك كله ما يضيق هذا المكان عن تعدادها، وحصر أفرادها»[2].

ويقول الحافظ الذهبي: «ما عرفت أحدا صنف ما صنف»[3].

وقد أورد المؤرخون من بعده بكل غرابة وإعجاب مؤلفاته الضخمة في كتبهم، فيقول الموفق عبد اللطيف[4]: «يكتب في اليوم أربعة كراريس، ويرتفع له كل سنة من كتابته ما بين خمسين مجلداً إلى ستين»[5].

وقال ابن تيمية: «كان الشيخ أبو الفرج مفتياً كثير التصنيف والتأليف وله مصنفات في أمور كثيرة، حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف، ورأيت بعد ذلك ما لم أره»[6].

---

(1) ذيل طبقات الحنابلة، ج2/ ص485.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، ج16/ ص707

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص376.

(4) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي، موفق الدين، ويعرف بابن اللباد، وبابن نقطة، (557 – 629هـ)، من فلاسفة الإسلام، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان والادب، ولد وتوفي ببغداد، له من المؤلفات: "الكلمة في الربوبية"، و"غرب الحديث"، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج22/ ص320، والأعلام، الزركلي، ج4 ص 61.

(5) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص377.

(6) المرجع السابق، ج2/ ص489.

وقال ابن خلكان[1]:«كتب بخطه شيئاً كثيراً، والناس يغالون في ذلك حتى يقولوا إنه جمعت الكراريس التي كتبها وحسبت مدة عمره، وقسمت الكراريس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كراريس»[2].

المسألة الثانية: مؤلفات ابن الجوزي[3]

عدد العلماء أسماء كثير من مؤلفات ابن الجوزي، فبلغت المآت، وهذه أشهرها:

1. أحكام النساء.
2. أخبار الحمقى والمغفلين.
3. الأذكياء.
4. أعمار الأعيان.
5. بستان الواعظين ورياض السامعين.
6. تاريخ بيت المقدس.
7. التبصرة في الوعظ.
8. تلبيس إبليس.
9. تلقيح فهوم أهل الأثر.
10. تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر.
11. تنوير الغبش بفضل السودان والحبش.

---

(1) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان الإربلي، شمس الدين، (608 – 681هـ)، الأديب، المؤرخ، ولد في إربل، وتولى قضاء مصر والشام، توفي بدمشق، انظر "الأعلام" للزركلي ج1/ ص220، له من المؤلفات: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، النجوم الزاهرة ج7: ص353 والأعلام، الزركبي، ج1/ ص220

(2) وفيات الأعيان، ابن خلكان، مرجع سابق، ج6/ ص 175.

(3) انظرها في كتاب وضعه عبد الحميد العلوجي بعنوان "مؤلفات ابن الجوزي" طبع في بغداد سنة 1965، وفيه حوالي (376) كتاباً ما بين مطبوع ومخطوط، كما نشرت ناجية عبد الله إبراهيم رسالة بعنوان "ابن الجوزي–فهرست كتبه" في مجلة المجمع العلمي العراقي، العدد 31، 1980م. وانظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص367 – 370، وذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ج2/ ص490 – 496.

12. جامع المسانيد.

13. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه.

14. ذم الهوى.

15. زاد المسير في علم التفسير

16. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز

17. صفة الصفوة.

18. صيد الخاطر.

19. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية.

20. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن.

21. لفتة الكبد إلى نصيحة الولد.

22. المدهش في الوعظ.

23. مناقب أحمد بن حنبل.

24. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم.

25. منهاج القاصدين.

26. نواسخ القرآن.

27. الوفاء بأحوال المصطفى.

28. ولقط المنافع، في الطب.

المسألة الثالثة: وفاة الحافظ عبد الرحمن بن الجوزي

وبعد رحلة طويلة من حياته مليئة بالعلم والدعوة لله تعالى، وفعل الخيرات آذن الشيخ بالرحيل..

قال سبطه: «جلس جدي يوم السبت سابع شهر رمضان تحت تربة أم الخليفة عند معروف الكرخي، وكنت حاضراً، فأنشد أبياتاً، قطع عليها المجلس، ونزل، فمرض

خمسة أيام، وتوفي ليلة الجمعة بين العشاءين»[1].

وغلقت الأسواق، وجاء الخلق، ثم ذهبوا به إلى جامع المنصور، فصلوا عليه، وضاق بالناس، وكان يوماً مشهوداً.

انتقل إلى جوار ربه ليلة الجمعة 12 رمضان 597هـ وله من العمر 86 عاماً، وكان يوماً مشهوداً، ودفن إلى جوار قبر الإمام أحمد رحمه الله.

---

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط ابن الجوزي، ج22/ ص 113 – 114.

المبحث الثالث

عصر الإمام ابن القيم

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر ابن القيم

المطلب الثاني: الإمام ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره

المبحث الثالث

عصر الإمام ابن القيم

المطلب الأول:

الحالة السياسية في عصر ابن القيم

عاش ابن القيم في الشام في أواخر القرن السابع ومنتصف القرن الثامن الهجري (691 – 751هـ)، وهي فترة تأثرت بعاملين كبيرين، الأول خارجي، والثاني داخلي:

فبالنسبة للعامل الخارجي فقد وقع قبيل مولد ابن القيم بفترة ليست بالبعيدة في العالم الإسلامي كارثتان مروعتان:

الأولى: تعرض العالم الإسلامي، للغزو الصَّليبي الحاقد، حيث استولى الصليبيون على كثير من ديار المسلمين، واستمرت الحروب بينهم وبين المسلمين إلى قرنين من الزمان، يصيبون من المسلمين، ويصيب المسلمون منهم، إلى أن منَّ الله سبحانه بتطهير البلاد منهم في سنة (690هـ) –قبل مولد ابن القيم بسنة– على يد الملك الأشرف خليل بن قلاوون[1]، فما حَلَّت سنة (690هـ) إلاَّ وقد «فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مُدَدٍ متطاولة، ولم يبق لهم فيها حجر واحد، ولله الحمد والمنة»[2].

والثانية: في سنة (656هـ)، أي قبل خمسة وثلاثين عاماً من ولادة ابن القيم حين اجتاح التتار العالم الإسلامي، واستولوا على بغداد عاصمة الخلافة، وقتلوا خليفة المسلمين المستعصم بالله.

---

(1) هو خليل بن قلاوون، الملك الأشرف بن الملك المنصور –قلاوون– (684 – 693هـ) وليَ السلطة بعد موت أبيه المنصور سنة 689هـ، وكان شجاعاً مهاباً كريماً، مات مقتولاً. البداية والنهاية، ابن كثير، ج17/ ص667، وفوات الوفيات، ج1/ ص756 – 793.

(2) البداية والنهاية: ج17/ ص631.

وقد وصف ابن كثير عاصمة الخلافة إذاك بقوله: «بقيت بغداد خاوية على عروشها، ليس بها أحد إلاَّ الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التُّلُول»[1].

ثم ما كان بعد من لطف الله سبحانه بالعباد والبلاد، حين رد كيد هؤلاء الغزاة، وهزمهم شر هزيمة على يد الملك المظفر قطز[2] -سلطان مصر- وذلك بعد أن استولى التتار على معظم مدن الشام، وفي عزمهم الزحف إلى مصر وكانت هزيمتهم في سنة (658هـ).

تلك أهم المؤثرات السياسية الخارجية التي تعرض لها العالم الإسلامي في ذلك العصر، وما تركته تلك الحروب من آثار، كان من أهمها: أن كشفت هذه الحروب عن بعض المنافقين أعداء الإسلام وأهله، وأحيت روح الجهاد في نفوس الأمة، ووحدت الصفوف ضد الأعداء.

من: الرافضة[3]، والنصارى، وغيرهم ممن كانوا عوناً لأعداء الإسلام، وكان أشرّ هؤلاء جميعاً الرافضة، وعلى رأسهم ابن العلقمي[4]، وزير الدولة حينذاك، حيث إنه

---

(1) البداية والنهاية: ج17/ ص 362.

(2) هو قطز بن عبد الله المُعِزّي، سيف الدين، (ت 658هـ)، من مماليك الملك المعز عز الدين أيبك التركماني، كان فارساً شجاعاً، وبطلاً ديناً، كثير الخير، تولى إمرة الشام ثم ملك مصر، وهزم الله على يديه التتار، مات مقتولاً، النجوم الزاهرة، الأتابكي، ج7، ص72، سير أعلام النبلاء، ج23/ 200 – 201.

(3) الرافضة، سموا بذلك لأن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ خرج على هشام بن عبد الملك، فطعن عسكره في أبي بكر، فمنعهم من ذلك فرفضوه، ولم يبق معه إلاَّ مائتا فارس، فقال لهم: رفضتموني؟ قالوا: نعم. فبقي عليهم هذا الإسلام. وهم فِرق عديدة، ويقولون بإمامة عليٍّ وهي كالنبوة عندهم ويفضلونه على أبي بكر ﷺ، ويتبرءون من أبي بكر وعمر وكثير من الصحابة، ومنهم من يسب الصحابة ويلعنهم. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين تحقيق: علي سامي النشار، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ص52، والفَرْقُ بين الفِرَق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، نشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: 2، سنة 1977م، ص15– 17.

(4) هو محمد بن أحمد بن محمد بن علي، أبو طالب الأسدي البغدادي، (ت 656هـ) الرافضي وزير المستعصم العباسي، وصاحب الجريمة النكراء، في ممالأة هولاكو خان على غزو بغداد، قال ابن كثير: «وكان رافضيّاً

اجتهد في «صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الديوان... إلى أن لم يبق منهم سوى عشرة آلاف – وقد كانوا مائة ألف – ثم كاتب التتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعاً في أن يزيل السُنَّة بالكلية، وأن يُظْهِرَ البدعة الرافضيَّة، وأن يقيمَ خليفة من الفاطميين، وأن يبيد العلماء والمفتين...»[1].

وبالرغم من أن هذه الأحداث سابقة لمولد ابن القيم، إلاَّ أنه أفاد منها واستوعب دروسها جيداً، فكان يحذر المسلمين من هؤلاء المنافقين الذين يتربصون بالإسلام وأهله الدوائر، ويُبَيِّنُ خطرهم على الإسلام وأهله، يقول في حق الرافضة:

«وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام من عسكر هولاكو وذويه من التتار إلاَّ من تحت رؤوسهم؟ وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سروات[2] المسلمين وعلماؤهم وعُبَّادهم وخليفتهم إلاَّ بسببهم ومن جَرَّائهم؟ ومُظَاهَرَتُهُم للمشركين والنصارى معلومة عند الخاصة والعامة»[3].

هكذا أفاد ابن القيم من أحداث التاريخ في دعوته، ومن هنا يتأكد إلى أي حد كان ابن القيم متأثراً بأحداث عصره، وإلى أي حدٍّ استطاع أن يُسخِّر دروس هذه الأحداث في خدمة أهدافه ومبادئه، وكيف اشتعلت غيرته الدينية على حرمات الإسلام التي انتهكت، وعلى صفوة علمائه وعُبَّادِه الذين راحوا ضحية حقد الرافضة وكيدهم للإسلام وأهله.

تلك أبرز الآثار التي تركتها هذه الحروب على المسلمين في ذلك العصر.

خبيثًا رديء الطوية على الإسلام وأهله»، البداية والنهاية: ج17/ ص379 ، 380، الشذرات ج7/ ص470.

(1) البداية والنهاية: ج7/ ص360.

(2) سَرَاةُ: كل شيء أعلاه، والجمع: سروات. مختار الصحاح، مادة: سرا ص: 147.

(3) مدارج السالكين شرح منازل السائرين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت ط: 2، 1393 – 1973، ج: 1/ ص94.

وبالنسبة لحال السياسات الداخلية للدولة في تلك الفترة، فهي فترة طابعها العام هو ضعف سلطان الخلفاء جداً، وسياد حكم السلاطين عامة، والمماليك خاصة.

وكان أهم معالمها: حكم المماليك(1) لمصر والشام، وإحياء الخلافة العباسية، والتنافس والتناحر بين سلاطين المماليك.

أما بالنسبة لحكم المماليك فقد خضعت مصر والشام لحكمهم فترة طويلة من الزمن، وذلك بعد مقتل آخر سلاطين الدولة الأيوبية، وأقاموا أول سلاطين دولتهم: عز الدين أيبك التركماني(2)، ولقبوه: بالملك المعز(3)، وكان ذلك في سنة (648هـ)(4).

وفور سماع الأمراء الأيوبيين في الشام بمقتل تورانشاه، ثارت ثورتهم، وأخذوا يستعدون لغزو مصر والقضاء على دولة المماليك الناشئة، وظل الأمر متوتراً حتى تم الاتفاق بين المماليك والأيوبيين على اقتسام السلطة بينهم: مصر، وفلسطين حتى نهر الأردن، مع غزة والقدس للماليك، وبقية بلاد الشام للأيوبيين، وذلك في سنة

---

(1) المماليك: أصلهم من الرقيق الذين كان حكام الدولة الأيوبية –ومن قبلهم العباسيون– يشترونهم للجندية، حتى جاء عهد الملك نجم الدين أيوب، فاستكثر منهم، واتخذهم جنوده وأعوانه.

وقد تأسست الدولة المملوكية على أنقاض الدولة الأيوبية، وانقسمت إلى قسمين: دولة المماليك البحرية، نسبة إلى جزيرة الروضة المطلة على النيل والتي كانوا يسكنونها، وحكمت بين سنة 648 – 793هـ، ودولة المماليك البُرْجية، نسبة إلى أبراج القلعة التي كانوا يقطنونها، وحكمت حتى قضى عليهم السلطان سليم الأول العثماني سنة 913 هـ. الموسوعة العربية العالمية، الدولة المملوكية: ج24/ ص199 ، 200.

(2) هو عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني الأصل، الصالحى النجمي، الملك المعز، أول سلاطين الدولة المملوكية، نصب سلطاناً على مصر بعد أن تزوجته شجرة الدر، سلطانة مصر، وأرملة السلطان الأيوبى الصالح أيوب، وتنازلت له عن العرش، قتلته زوجته. واسم أيبك يتكون من مقطعين بالتركية، "إي"، وتعنى قمر و"بك" وتعني أمير. السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، ط: 1، 1418هـ – 1997م ج1/ ص463.

(3) العصر المماليكي في مصر والشام، د/ محمد سعيد عاشور، القاهرة، 1965، ص1 ، 2.

(4) المرجع السابق: ص 9 – 11.

(651هـ)[1].

ثم لما هزم الله التتار على يد المماليك كما مضى –بعد أن فر الأيوبيون من أمامهم– استقرت الأمور نسبياً للماليك في بلاد الشام، وأصبح نواب الشام –بالرغم من تمتعهم بالسلطان والنفوذ– تابعين لسلطة المماليك بالقاهرة، التي كانت عاصمة الدولة ومقر الحكومة آنذاك[2]. وبذلك أصبحت الشام –موطن ابن القيم– خاضعة في حكمها لسلطة المماليك، والسلطان يستنيب عليها من شاء من الأمراء.

أما بالنسبة لإحياء الخلافة العباسية فقد تم ذلك على يد المماليك، وذلك بعد أن ظل منصب الخلافة شاغراً منذ مقتل الخليفة المستعصم على أيدي التتار سنة (656هـ).

ففي سنة (659هـ) خرج المستنصر بالله أحمد بن الظاهر من معتقله ببغداد، ثم قدم على الظاهر بيبرس في مصر، وبعد ثبوت نسبه بايعه الملك الظاهر والقاضي والوزير والأمراء، وخُطِبَ له على المنابر، وضرب اسمه على السِّكَّة[3]، ثم قُلد الظاهر بيبرس السلطة في السنة نفسها[4]. وصار منصب الخليفة شكلياً، ورمزاً أكثر منه أثراً.

ومرة أخرى يتفاعل ابن القيم مع مثل هذا الحدث في مؤلفاته، ويتأسف لما وصل إليه حال الخليفة في تلك الأيام، فقال –مثلاً– في معرض ذمه للمعرضين عن نصوص الوحي، الْمُقَدِّمين عليها آراء الرجال: «أنزلوا النصوص منزلة الخليفة العاجز في هذه الأزمان، له السِّكة والخطبة، وما له حكم نافذ ولا سلطان»[5].

بل وصل الحال بالخليفة في فترة من الفترات أن أودع السجن! حيث يقول ابن

---

(1) البداية والنهاية ابن كثير، ج17 ص 309، والعصر المماليكي في مصر والشام: ص15 – 17 فما بعدها.

(2) العصر المماليكي، مرجع سابق، ص 197 – 204.

(3) السكة: حديدة منقوشة تطبع بها الدراهم والدنانير، مختار الصحاح، الرازي، 151.

(4) البداية والنهاية، ابن كثير، ج17/ ص 425 – 426.

(5) اجتماع الجيوش الإسلامية: ص42.

كثير: «استهلت سنة (737هـ) والخليفة المستكفي بالله قد اعتقله السلطان الملك الناصر، ومنعه من الاجتماع بالناس»[1]. ولم تستهل السنة التي بعدها إلاَّ والخليفة المستكفي «منفيٌّ ببلاد قوص، ومعه أهله وذووه، ومن يلوذ به... »[2].

أما عن التنافس والتناحر بين سلاطين المماليك:

فقد كان الأمراء والسلاطين الذين حكموا البلاد في تلك الفترة في حالة يرثى لها من التناحر، والتطاحن، والتنافس، والتقاتل فيما بينهم.

وقد أخذ كل واحد منهم يقوِّي من أمر نفسه، ويكثر من المماليك حوله، حتى إذا سنحت له فرصة انقض على السلطان القائم فقتله، أو سجنه، أو نفاه، ثم يحل محله في حكم البلاد.

ولم يكن الطمع في السلطة وحده هو الدافع إلى التخلُّص من السلطان القائم، بل إن مجرد عدم رضى الأمراء عن السلطان، أو خوفهم من بطشه بهم، كان مسوِّغاً كذلك لإقصائه أو التخلص منه.

وقد اعتلى كرسيَّ السلطنة في الفترة (648 – 784هـ) –وهي ستة وثلاثون عاماً، هي فترة حكم دولة المماليك الأولى– تسعةٌ وعشرون حاكماً، قُتِل أكثرهم أو خُلِع، وقليل منهم توفي أو اعتزل[3].

تلك هي أبرز السمات المميزة للناحية السياسية التي عاشتها تلك الدولة، ولا يخفى ما خلَّفته هذه القلاقل والاضطرابات من آثار على الناس في ذلك الوقت.

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير، ج18/ ص 391.

(2) المرجع السابق: ج18/ ص 399

(3) انظر: "التاريخ الإسلامي – العهد المملوكي، محمود شاكر، ص 35 – 39.

المطلب الثاني:

الحالة الاجتماعية في عصر ابن القيم

لا شك أن وضع الناس في المجتمع وما يسودهم من عادات وتقاليد، وما يحكم معاملاتهم وعلاقاتهم، يخضع بصورة مباشرة لما يعيشه هذا المجتمع من ظروف سياسية، داخلية كانت أم خارجية، فما يقال عن أثر الحروب الخارجية على حياة الناس وحركة المجتمع، يقال أيضاً عن أثر السياسة الداخلية لحكام البلاد، وما كان بينهم من منازعات مستمرة.

فالحروب المتتابعة التي تعرضت لها البلاد في تلك الفترة أدت إلى عدم الاستقرار في المجتمع، وكثرة الانتقال والترحال –الهجرة الداخلية– فراراً من خطر القتل، مع ما يصاحب ذلك من فقدان المأوى، وتعطلِ الأعمال، وقلة الأقوات.

ويصور ابن كثير شيئاً من ذلك عندما عزم هولاكو على غزو دمشق، فيقول: «فانزعج الناصر صاحب دمشق لذلك، وبعث بحريمه وأهله إلى الكَرْك لِيُحَصِّنَهم بها، وخافَ أهل دمشق خوفاً شديداً، ولاسيما لمَّا بلغهم أن التتار قد قطعوا الفرات، سافر كثير منهم إلى مصر في زمن الشتاء، فمات ناسٌ كثيرٌ منهم ونهبوا»[1].

كما أننا نلمح ارتباطاً وثيقاً كذلك بين حالة البلاد الدينية، والحالة الاجتماعية ؛ فإنَّ الفَهْمَ الصحيح للإسلام، والتطبيق السليم لأحكامه، والالتزامَ الصادقَ بتعاليمه، كل ذلك له أثر طيب على أفراد المجتمع، وعاداتهم وتقاليدهم؛ فيسود المجتمع الاستقرار والأمن، ويعُمُّه الخير والرخاءُ.

وعلى العكس تماماً، فإن الانسلاخ من أحكام الدين وشرائعه، وتضييع تعاليمه وشعائره، من أهم أسباب شيوع الفوضى وعدم الاستقرار في المجتمع، وفساد الأخلاق، وضياع القِيَم.

---

(1) البداية والنهاية: ج17/ ص386.

أما عن أهم السمات التي ميَّزت حالة المجتمع، والأوضاع التي سادت أفراده، فإنها تتلخص فيما يلي:

أولاً: التفاوت الواضح بين طبقات المجتمع وفئاته، مع عدم المساواة بين أفراده:

فطبقة الحكام والأمراء في المقدمة، تحظى بكل الخيرات والنعم، وتستأثر بالإقطاعات الواسعة، وتحوز الأموال الطائلة، التي بلغت –على سبيل المثال– عند أحد الأمراء (ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار) من الذهب، عدا الأموال والأملاك والإقطاعات الأخرى، هذا ما كان يملكه الأمير سيف الدين بشتك[1]، وأمثاله كثيرون.

ولقد كان الكثيرُ من الأمراء والسلاطين قدوةً سيئة في هذا الجانب، وذلك بما شانوا به أنفسهم من حياة اللهو والبذخ والانحلال والترف، فنجد أحدهم –وهو الملك المنصور– قد «صدر عنه من الأفعال التي ذكر أنه تعاطاها من شرب المسكر، وغشيان المنكرات، وتعاطي ما لا يليق به...»[2].

وقد وُجِدَ من الأمراء من يضمن هذه المنكرات والفواحش نظير أجر معلوم يأخذه على ذلك، كما كان من حال سيف الدين قَبْجَق[3] نائب دمشق؛ فإنه «ضَمِنَ الخَمَّارات ومواضع الزنا من الحانات وغيرها، وجُعِلَت دار ابن جَرَادة ... خَمَّارَة وحانة أيضاً، وصار له على ذلك في كل يوم ألف-درهمٍ، وهي التي دمَّرته ومحقت آثاره»[4].

ثم تلي هذه الطبقة: طبقة الجنود من أتباعهم على اختلاف رتبهم ومقاماتهم، إذ كان الأمراء يولون هذه الفئة عناية فائقة، وذلك كسباً لولائهم، ليكونوا سنداً لهم عند نزول المحن.

---

(1) البداية والنهاية: ج14/ ص203.

(2) السابق نفسه: 14/ ص204.

(3) السابق نفسه: ج18/ ص107.

(4) السابق نفسه: ج14/ ص11.

ثم يلي هؤلاء: بقية فئات المماليك، الذين كانوا يرون لهم ميزةً على سائر أبناء الشعب أصحاب البلاد الأصليين.

تليها طبقة العلماء والفقهاء، وغيرهم من المثقفين، وقد كانت هذه الطبقة تحظى باحترام الأمراء والسلاطين أكثر من غيرها، ولكن شانها التعصب المذهبي بين بعض العلماء، وأدى إلى كثير من الخلافات في النسيج المجتمعي بين الأتباع.

ثم في آخر هذا الترتيب الطبقي سائر فئات الشعب: عامة الناس من عمال، وفلاحين، وغيرهم من أصحاب الحرف الأخرى، الذين كانوا يشقون ويكدحون لراحة غيرهم مع ما هم فيه من الفقر والحرمان[1]. وضعف الوازع الديني في نفوس الكثيرين، وقد وُجدت كثير من المحرمات، وشاعت المنكرات، حتى إن جماعة من مجاوري الجامع بدمشق لم يعجبهم الحال فجاءوا في سنة (758هـ) «إلى أماكن مُتَّهَمَةٍ بالخمر وبيع الحشيش، فكسروا أشياء كثيرة من أواني الخمر، وأراقوا ما فيها، وأتلفوا شيئاً كثيراً من الحشيش وغيره»[2] كما حكى ابن كثير.

ثانياً: تَعَرُّض الكثيرين من أبناء الشعب لألوان من الظلم: من ضرائب ومُكُوسٍ[3] باهظة، وهضم للحقوق، وغير ذلك.

ففي شهر جمادى الأولى من سنة (711هـ) ذكر ابن كثير أنه «قُرِّرَ على أهل دمشق ألف وخمسمائة فارس، لكل فارس خمسمائة درهم، وضُربت على الأملاك والأوقاف فتألم الناس من ذلك تَأَلُّمًا عظيماً»[4].

---

(1) ينظر حول ذلك: "العصر المماليكي في مصر والشام"، مصدر سابق، ص312 – 325.

(2) البداية والنهاية: ج14/ ص269.

(3) جمع مَكْس، وهو الجباية، مصدر، ثم سُمِّي المأخوذ (مكساً) تسمية بالمصدر، وقد غلب استعمال المكس فيما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع والشراء. لسان العرب، ج6/ ص 220. والمصباح المنير، ج2/ ص577– مادة: "مكس".

(4) البداية والنهاية، اين كثير، ج18/ ص111.

أما في سنة (712هـ) – بعد ذلك بعام – فقد «تكلم وزير السلطان في البلد، وطلب أموالاً كثيرة، وصادر وضرب بالمقارع[1]، وأهان جماعة من الرؤساء»[2].

ويَحْكي ابن كثير في أحداث سنة (745هـ) أنه «دخل الشيخ أحمد الزُّرَعِيُّ على السلطان الملك الصالح، فطلب منه أشياء كثيرة: من تبطيل مظالم ومُكوسات...»[3].

ثالثاً: انتشار بعض الأمراض الاجتماعية الخطيرة، والعادات السيئة بين أفراد المجتمع، ومن أبرزها:

أ- الرشوة في الولاية وغيرها:

ويبدو أن هذا الأمر قد استشرى في المجتمع، وعمَّت به البلوى، حتى كانت سنة (712هـ) «وفيها قدم كتاب من السلطان إلى دمشق: أن لا يُولَّى أحدٌ بمالٍ ولا برشوة، فإن ذلك يفضي إلى ولاية من لا يستحق الولاية، وإلى ولاية غير الأهل ... وكان سبب ذلك الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله»[4].

ب- سفور النساء وتبرجهن: يقول ابن كثير: «نادى مناد من جهة نائب السلطنة -حرسها الله تعالى- في البلد: أن النساء يمشين في تَسَتُّر، ويلبسن أُزْرهنَّ إلى أسفل من سائر ثيابهن، ولا يُظْهرن زينة ولا يداً، فامتثلن لذلك ولله الحمد والْمِنَّة»[5].

رابعاً: انعدام الأمن في أنحاء المجتمع.

---

(1) البداية والنهاية: ج18/ ص126. والمقارع جمع مِقْرَعَة، وهي خشبة يُضرب بها، وكل ما قَرَعْتَ به، وهي أيضاً ما تُقرع به الدابة. مختار الصحاح، الرازي،: قرع، ص251، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج2/ ص729.

(2) البداية والنهاية: ج14/ ص69.

(3) المرجع السابق: ج14/ ص224.

(4) المرجع السابق: ج14/ ص68.

(5) المرجع السابق: ج14/ ص293.

وقد أدى ذلك إلى انتشار السرقة والنهب وقطع الطريق، حكى ابن كثير أن نائب السلطان أمر مرة «بجماعة انتهبوا شيئاً من الباعة، فقطعوا أحد عشر منهم، وسمر عشرة تسميراً، تعزيراً وتأديباً»[1].

قال: «وفي سنة (746هـ) وفي عشية يوم الاثنين رابع عشر جمادى الأولى قطع نائب السلطنة –ممن وجب قطعه في الحبس– ثلاثة عشر رجلاً، وأضاف إلى قطع اليد قطع الرِّجْلِ من كل منهم، لِمَا بلغه أنه تكرر من جناياتهم»[2].

ولقد كان يكثر السطو والنهب والسرقة في أوقات الفتن والقلاقل والاضطرابات الداخلية، أكثر من غيرها من الأوقات.

خامساً: نزول الْجَدْبُ والقحط بالمجتمع، ونقصُ السلع، وغلاء الأسعار، وقد ذكر ابن كثير: في أحداث شهر ذي الحجة من سنة (743هـ) «غلا السعر جداً، وقل الخبز، وازدحم الناس على الأفران زحمة عظيمة، وبيع خبر الشعير المخلوط بِالزُّوَانِ[3] والنُّقَارَةِ.[4].. فإنَّا لله وإنا إليه راجعون»[5].

وقال في أحداث سنة (748هـ) «عُمِلَت ليلة النصف على العادة من إشعال القناديل ولم يشعل الناس لما هم فيه من الغلاء وتأخر المطر وقلة الغَلَّة»[6].

سادساً: انتشار الأمراض والأوبئة الفَتَّاكة التي كانت تهلك الآلاف من الناس.

---

(1) البداية والنهاية: ج14/ ص228.

(2) المرجع السابق: ج14/ ص237.

(3) الزُّوان والزِّوان: ما يخرج من الطعام فيرمى به... وقيل: هو حب يخالط البر. لسان العرب، ابن منظور: ج8/ ص156، مادة: "زون".

(4) النُّقَارة: ما يتساقط من نقر الحجارة والخشب. المعجم الوسيط، مرجع سابق، نقر ج2/ ص 945.

(5) البداية والنهاية: ج14/ ص220.

(6) المرجع السابق: ج14/ ص235.

ولعل أشد ما رأته البلاد من ذلك، هو الطاعون العام، أو الطاعون الأعظم في سنة (749هـ)..

قال ابن كثير: «ففي ربيع الأول منه كثر الموت في الناس بأمراض الطواعين، وزاد الأموات كل يوم على المائة ... وإذا وقع في أهل بيت لا يكاد يخرج منه حتى يموت أكثرهم»[1].

وفي شهر رجب من السنة نفسها «بلغ الْمُصَلَّى عليهم في الجامع الأموي إلى نحو المائة وخمسين وأكثر من ذلك، خارجاً عمن لا يؤتى بهم إليه من أرجاء البلد... أما حواضر البلد وما حولها فأمرٌ كثيرٌ، يقال إنه بلغ ألفاً في كثير من الأيام»[2].

قال: «واستهل شهر شعبان والفناء في الناس كثيرٌ جداً، وربما أَنْتَنَت البلد»[3].

وكان ذلك قبل وفاة ابن القيم بعامين.

ويربط ابن القيم بين هذه الأوبئة الفتاكة وبين شيوع بعض المنكرات التي تسود المجتمع، فيقول: «ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة... واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة»[4].

المطلب الثالث:

الحالة العلمية والدينية في عصر ابن القيم

كانت الحالة العلمية لمصر والشام خاصة في عهد ابن القيم مشرقةً إلى حد

---

(1) البداية والنهاية، الموضع السابق.

(2) المرجع السابق: ج14/ ص237.

(3) المرجع السابق: ج14/ ص240.

(4) المرجع السابق: ج14 ص281.

كبير، وذلك على العكس الحالة السياسية والاجتماعية، فإنه لا يخفى على المتتبع للحركة العلمية وسيرها في العالم الإسلامي وقد أبحت مصر والشام مقصداً لكثير من أهل العلم الوافدين من سائر أقطار العالم الإسلامي، ولا أدلَّ على صدق ذلك من هذا التراث العلمي الهائل الذي أثمرته جهود العلماء في تلك الحقبة.

يقول الحافظ الذهبي عن طفرة العلم في دمشق أيام ابن القيم وشيخيه "ابن تيمية والمزي": «تناقصَ العلم بها في المائةِ الرابعة والخامسة ... ثم كثر بعد ذلك بابن تيمية، والمزي وأصحابهما ولله الحمد»[1].

عوامل ازدهار الحركة العلمية آنذاك:

ومن أهم تلك العوامل:

1- رعاية سلاطين الدولة وملوكها للعلم وأهله، وتشجيعهم

للنهضة العلمية؛ فقد كان الملك الأشرف «شهماً، شجاعاً كريماً جواداً لأهل العلم، لا سيما أهل الحديث»[2].

وأما الملك الكامل فقد جاء في وصفه أنه كان يحب العلماء[3].

وكان من سلاطين المماليك وأمرائهم من اشتغل بالفقه والحديث، حتى تصَدَّر بعضهم للإقراء والتدريس[4].

2- ذهاب صفوة علماء الأمة الإسلامية ومفكريها في أثناء الهجمة التترية الغاشمة، وضياع كثير من الكتب والمؤلفات، وقد وَلَّدَ ذلك شعوراً لدى علماء الأمة

---

(1) الأمصار ذوات الآثار، الذهبي، تحقيق محمود الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير، دمشق، ط:1، 1405هـ، ص26 ، 27.

(2) البداية والنهاية، ابن كثير،: ج13/ ص158.

(3) المرجع السابق: ج13/ ص160.

(4) العصر المماليكي في مصر والشام: ص229 ، 230.

بضرورة تحمل المسؤولية في إحياء ما فقدته أمتهم من تراث ومعرفة، وانتقل النشاط العلمي إلى مصر والشام محل بغداد.

3- انتشار النزاعات العقدية والمذهبية وبروز بعض الفرق الضالة التي تنتسب - كذباً - إلى الإسلام، مع شدة عداوتها وحربها لأهله، وعلى رأس هذه الفرق: الرافضة، والنُّصَيْرِيَّة [1] وغيرهما، ولاشك أن ذلك يشكل دافعاً للعلماء والناصحين بتبصير الناس ووأد الباطل، وقد كان كثير من مؤلفات ذلك العصر تتسم بالردود على المخالف، ويقول الذهبي: «وما زال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث، وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالم، وتتبرهن له المشكلات»[2].

أما عن أهم مظاهر الحركة العلمية وازدهارها فيتمثل فيما يلي:

أولاً: كثرة معاهد العلم ودوره.

وقد اهتم بإنشائها ورعايتها الملوك والسلاطين وغيرهم من الأعيان والموسرين، فكانوا يبنون تلك الدور ويقفون الأوقاف للإنفاق على مدرسيها، وطلابها، وخدَّامها، وقد تمثلت هذه المعاهد والدور فيما يأتي:

أ- المدارس:

ولقد كان لها في ذلك الوقت دور فعال في خدمة العلم وطلابه، وتخريج نخبة من خيرة العلماء آنذاك، وتجري على معلميها وطلابها الرواتب والأرزاق، مما أتاح لهم

---

(1) النُّصَيْرِيَّة من الفرق الباطنية، يُنْسبون إلى محمد بن نصير النميري، وكان من أصحاب الحسن العسكري، فادعى أناه باب الإمام الغائب، محمد بن الحسنالعسكري، المهدي النتظر عند الشيعة الاثني عشرية، ثم ادَّعى النبوة، ثم الربوبية. وهي طائفة موجودة حتى اليوم في سوريا وتركيا، ويُعرفون بالعلويين، ومن اعتقاداتهم: أن الله كان يَحلُّ في علي، ويجمعها مع الفرق الباطنيَّة القول بأنَّ للنصوص الشرعيَّة ظاهراً وباطناً، وأنَّ الباطن غير مراد، والقول بالتناسخ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص91 - 92، والشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، نشر: إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان، ط: 10، 1415هـ - 1995م، ص255 - 259، وطائفة النصيرية، د/ سليمان الحلبي ص 36 - 39.

(2) سير أعلام النبلاء، الذهبي ج12/ ص500.

فرصة أكبر للتفرغ لتحصيل العلم، فتخرج من هذه المدارس علماء جهابذة.

وربما حضر الأعيان والأمراء دروسها[1].

وقد كان من هذه المدارس بالشام آنذاك عدد كبير، وهذه نبذة عن أهم تلكم المدارس.

1- المدرسة الجوزيَّة:

منسوبة إلى واقفها: محي الدين يوسف بن الشيخ جمال الدين ابن أبي الفرج بن الجوزي، المولود (580هـ) وهو والد الإمام عبد الرحمن ابن الجوزي صاحب كتاب "تلبيس إبليس" الذي هو موضع هذه الدراسة، وقد كان من أهل العلم والفضل، وعظ في موضع أبيه بعد وفاته فأجاد وأفاد، ثم لم يزل متقدماً في المناصب حتى وليَ أستاذ دار الخلافة، ثم قتل مع الخليفة المستعصم بالله على يد التتار سنة (656هـ)[2].

قال عنها ابن كثير: «وهي من أحسن المدارس»[3].

وقد كان والد ابن القيم قيِّماً عليها فيما بعد، وقد أمَّ ولده ابن القيم للصلاة بها.

ولا يزال محل هذه المدرسة معروفاً حتى الآن بدمشق حي "البزورية" الذي كان يعرف قديماً بسوق القمح[4]، ثم اختلسها جيرانها وبقيت منها بقية، ثم صارت محكمة في سنة (1327هـ)[5]، ثم أقفلت مدة إلى أن فتحتها جمعية الإسعاف الخيري وجعلتها مدرسة لتعليم الأطفال. وقد احترقت في أول الثورة السورية ضد الفرنسيين، ثم أعيد

---

(1) انظر –مثلاً– البداية والنهاية: ج14/ ص228.

(2) البداية والنهاية: ج13/ ص223 – 224.

(3) المرجع السابق: ج13/ ص224.

(4) وتسميته بذلك عرفت قبل عهد ابن كثير، فإنه قال في أحداث سنة (728هـ): "وقد كان سوق البزروية اليوم يسمى سوق القمح". البداية والنهاية: ج14/ ص138.

(5) منادمة الأطلال، عبد القادر بن بدران، تحقيق: زهير الشاويش، نشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ط2، 1985م، (ص239).

بناؤها مرة أخرى، ولكنها لم تعد مدرسة بعد إعادة بنائها، وإنما جُدِّدَ مكانها مخازن ومُصَلًّى بسيط[1].

2- المدرسة الصدرية:

نسبة إلى واقفها: صدر الدين أسعد بن المنجاة بن بركات بن مُؤمَّل التنوخي المغربي، ثم الدمشقي، الحنبلي، "أحد المعدلين، ذوي الأموال والمروءات، والصدقات الدارّة البارة". كما يقول ابن كثير، وقد وقفها للحنابلة[2]، وقد درس بها ابن القيم أيضاً.

وقال عبد القادر بن بدران[3]: «والْمُحَقَّق: أن الصَّدْرِية مُحِيت آثارها وصارت دُوراً»[4].

3- المدرسة العادلية الكبرى:

وهي داخل دمشق، أنشأها نور الدين محمود بن زنكي، وكانت تتخذ أحياناً داراً للقضاء، وبها دور للقرآن وأُخرى للحديث[5].

ب- الجوامع:

لم تكن الجوامع تقل أهمية عن المدارس في الإسهام في ازدهار الحركة العلمية

---

(1) ابن قيم الجوزية – حياته وآثاره، بكر بن عبد الله أبو زيد، مطابع دار الهلال للاوفست – الرياض ، ط1 1400هـ – 1980م. ص13. وانظر أخبارها في كتاب "الدارس في تاريخ المدارس"، عبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، ط: 1، 1410هـ . 1990م، ج2، ص23 – 49"

(2) البداية والنهاية: ج13/ ص229.

(3) عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن بدران، (ت 1346)، عالم حنبلي أصولي معاصر، له اهتمامات بالتاريخ والآثار، ولد في «دومة» بقرب دمشق، وعاش وتوفي في دمشق، له من المؤلفات: "المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل". "نزهة الخاطر العاطر شرح روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي" و"تهذيب تاريخ ابن عساكر". الأعلام، الزركلي، ج4/ ص37 ، 38.

(4) منادمة الأطلال، مصدر سابق، ص239.

(5) انظر أخبارها في "الدارس في تاريخ المدارس"، النعيمي، ج2، ص271 – 278.

آنذاك. وما قيل عن اهتمام الملوك والأمراء ببناء المدارس، ورعاية أمرها، والإنفاق عليها، يقال مثله بالنسبة للجوامع والمساجد التي كانت كثيرة منتشرة في ذلك العصر بدمشق[1]، وأشهر الجوامع بدمشق في ذلك الوقت هو: "الجامع الأموي" الذي ما يزال قائماً حتى يوم الناس هذا.

وقد كان لهذا الجامع في عصر أثرٌ كبيرٌ في الحركة العلمية، وقد جاء في وصف هذا الجامع في زمان ابن القيم عدة مدارس، منها: الغزالية، والأسدية، والقوصية، والسيفية وغيرها، وكان له تسعة أئمة، وفيه إحدى عشرة حلقة للتدريس في الفنون المختلفة، وثلاث حلقات للاشتغال بالحديث، وكان به بيت للخطابة، خزانة للكتب[2].

ثانياً: كثرة المؤلفات النافعة القيمة في ذلك العصر.

فقد كان من مظاهر ازدهار الحركة العلمية أيضاً كثرة المؤلفات القيمة التي أنتجتها جهود العلماء في تلك الفترة في الحديث، والفقه، والتفسير، واللغة، والتاريخ وغير ذلك.

فوجدت في ذلك العصر كتب الشروح الحديثية، كـ"شرح البخاري" لقطب الدين الحلبي، و"شرح الترمذي" لابن سيد الناس، وكلاهما لم يكمل.

ووجدت كتب الرجال، وعلى رأسها "تهذيب الكمال" للحافظ المِزي، و"ميزان الاعتدال" للحافظ الذهبي.

وكذا وجدت كتب الأطراف الحديثية، وأهمها في ذلك العصر: "تحفة الأشراف" للحافظ المِزّي.

وكتب علم رجال الإسناد، وعلى رأسها أيضاً كتاب "تهذيب الكمال" للمزي،

---

(1) يُنظر أمثلة من عمارة الأمراء للمساجد في دمشق: البداية والنهاية: ج13/ ص153، وج14/ ص83.

(2) انظر: منادمة الأطلال، مصدر سابق ص: 363.

واكتاب "الكاشف في أسماء الرجال" للذهبي.

ووجدت كذلك الكتب التاريخية التي جمعت حوادث تلك الفترة وتواريخها وما قبلها، وعلى رأسها "تاريخ الإسلام للذهبي، و"البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير.

كما أُلفت كتب جامعة في اللغة، وأهمها: "لسان العرب" للعلامة ابن منظور. إلى غير ذلك من المؤلفات الكثيرة النافعة[1].

وقد وجدت –إلى جانب ما تقدم– بعض المختصرات، وكذا كتب النكت والتعليقات، إلى جانب ما وُضع في بعض العلوم من منظومات، إلى غير ذلك من فنون التصانيف المختلفة.

فهذه هي أوضاع العصر الذي عاش فيه ابن القيم وأحواله، وتلك هي ظروفه: السياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية.

---

(1) مؤلفوا هذه الكتب إما من شيوخ الن القيم، أو تلامذته، سبقت تراجم بعضهم، وسيأتي بعضهم مع ذكر مراجع ترجمتهم.

المبحث الثالث

الإمام ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ونشأته، ودراسته

المطلب الثاني: شيوخ ابن القيم وتلاميذه

المطلب الثالث: ثناء العلماء على ابن القيم، ومؤلفاته، ووفاته

المبحث الرابع

الإمام ابن قيم الجوزية، حياته وآثاره

المطلب الأول:

اسمه، ونسبه، وكنيته، ونشأته، ودراسته

المسألة الأولى: اسم ابن القيم، ونسبه، وكنيته

أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزُّرعي الأصل ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية أو ابن القيم اختصاراً.

وسببُ تسميته بـ"ابن قيم الجوزية" أن والده كان قَيِّماً على المدرسة الجوزية، والتي سبق الحديث عنها في "الحياة العلمية"، والقيم هو الناظر والوصي عليها، وقد شاركه بعض أهل العلم بهذه التسمية، وهو أشهرهم[(1)].

المسألة الثانية: نشأة ابن القيم ودراسته

ولد ابن القيم في زرع، وقيل في دمشق في السابع من صفر عام 691هـ[(2)]، ونشأ في أسرة معروفة بالعلم، سيما والده قيم المدرسة الجوزية، وقد بدأ طلب العلم وعمره أقل سبع سنوات، حيث أشار إلى رواية له عن شيخه الشهاب العابر[(3)]، وقد توفي هذا الشيخ ولما يبلغ هو السابعة بعد[(4)].

وكان ابن القيم في أولِ حياته قد تأثّر ببعض أقوال أهل الكلام إلى أن التقى

---

(1) ابن القيم حياته وآثاره، مرجع سابق، ص28.

(2) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج2/ ص195، وبغية الوعاة، السيوطي، ج1/ ص62.

(3) تأتي ترجمته في الأشياخ.

(4) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ /1994م، ج3/ 537.

بشيخه ابن تيمية على ما ذكر هو في "النونية" حيث قال[1]:

يـا قـومُ واللهِ العظـيم نصـيحةٌ	مـن مشـفق وأخٍ لكـم مِعـوانِ
جرّبـت هـذا كلَّـه ووقعـت فـي	تلك الشباك وكنت ذا طيرانِ
حتـى أتـاح لـي الإلـه بفضـله	من ليس تجزيه يدي ولساني
حبرٌ أتـى من أرض حرّان فيا	أهلا بمن قد جاء من حـران

وكانت ملازمته لشيخه بعدما عاد تقى الدين ابن تيمية من الديار المصرية في سنة 712 وأخذ عنه علماً جمَّاً إلى أن مات الشيخ.

وقد درس في عدة مدارس، أشهرها مدرستان مر ذكرهما في "الحياة العلمية"، وهما: المدرسة الجوزية، والمدرسة الصدرية.

المطلب الثاني:

شيوخ ابن القيم وتلاميذه:

المسألة الأولى: شيوخ ابن القيم

أما شيوخه، فقد جمع الشيخ بكر أبو زيد[2] في كتابه: "ابن قيم الجوزية – حياته وآثاره" أسماء أشهر المشايخ الذين تتلمذ عليهم ابن القيم، فبلغوا خمسة وعشرين إماماً، أشهرهم:

1- قيم الجوزية: والده، أبو بكر بن أيوب، (ت 723هـ)، الفرضي العابد[3].

---

(1) الكافية الشافية، ابن قيم الجوزية، نشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: 2، 1417هـ، ص143.

(2) هو بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان القضاعي نسباً، (1365هـ – 1429هـ)، عالم بحاثة معاصر، رئيس مجمع الفقه الإسلامي الدولي، عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية، له كثير من المؤلفات، منها: "فقه النوازل"، "الحدود والتعزيرات"، "معجم المناهي اللفظية"، "ابن القيم: حياته، آثاره، موارده"، مقدمة فتاوى اللجنة الدائمة، موقع الشبكة الإسلامية، وملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com على الشبكة العنكبوتية.

(3) انظر ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1/ ص 527.

2- ابن تيمية، تقي الدين، تقدمت ترجمته، أخذ عنه ابن القيم التفسير والأصول، ولازمه ستة عشر عاماً حتى وفاة الشيخ.

3- ابن تيمية، شرف الدين: عبد الله أبو محمد بن عبد الحليم بن تيمية النميري أخو تقي الدين ابن تيمية، (666 - 727هـ)، إمام الفقه والعربية[1].

4- جمال الدين الْمِزِّي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف الدمشقي الشافعي، أبو الحجاج جمال الدين المزي، (654 - 742هـ) الحافظ، البارع، صاحب المصنفات السائرة، كتهذيب الكمال في أسماء الرجال، وتحفة الأشراف في معرفة الأطراف[2].

5- بدر الدين بن جماعة، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي (639 - 733هـ)[3]، ولي القضاء مرات في: القدس، ثم مصر، ثم دمشق.

6- شمس الدين الذهبي، تقدمت ترجمته.

7- الشهاب العابر[4]، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سرور المقدسي، المعروف (628 - 697هـ) الفقية البارع في تعبير المنام، تعلم بنابلس ومصر ودمشق، وتوفي بهذه. له من المؤلفات: "البدر المنير في علم التعبير". قال عنه ابن القيم: «وسمّعت عليه عدّة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه؛ لصغر السِّن، واخترام المنية له»[5].

---

(1) انظر ترجمته في: "المعجم المختص بالمحدثين"، الذهبي، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة، نشر: مكتبة الصديق، الطائف، ط: 1، 1408 هـ - 1988م ص122 ، 123، و"الدرر الكامنة"، ج2/ ص266.

(2) انظر: تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج4 ص193، وطبقات الشافعية الكبرى، السبكي، ج10/ ص395 - 401، وشذرات الذهب ج10ص 237.

(3) انظر ترجمته في: "البداية والنهاية": ج14/ ص171، والدرر الكامنة: ج3/ ص367.

(4) انظر ترجمته في: "البداية والنهاية": ج17/ ص707، وشذرات الذهب، ابن العماد، ج7/ 764 ، 765 الأعلام، الزركلي، ج1/ ص 147.

(5) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ج3/ ص538.

المسألة الثانية: تلاميذ ابن القيم

أما تلاميذه ومن أخذ عنه فقد قال ابن رجب: «أخذ عنه العلم خلقٌ كثير، وانتفعوا به، وكان الفضلاء يعظمونه، ويتتلمذون له، كابن عبد الهادي وغيره»[1]، وقد ذكر منهم الشيخ بكر إحدى عشر تلميذاً، إليك أشهرهم:

1- ابن رجب الحنبلي، وقد صرح بأنه شيخه، قال: «لازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السّنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها»[2].

2- ابن كثير، قال: «وكنت من أصحب الناس له وأحبّ الناس إليه»[3].

3- ابن عبد الهادي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة، المقدسي الحنبلي، (705هـ - 744هـ)، إمام في كثير من فروع العلم كالحديث والفقه والأصلين[4].

4- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم أبو طاهر، مجد الدين صاحب "القاموس المحيط"، كما قال الشوكاني: «ثم ارتحل إلى دمشق فدخلها سنة (755هـ) فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة عن مائة كابن القيم»[5].

5- عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام، تاج الدين السبكي،

---

(1) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب الحنبلي، ج5/ ص 173 - 174.

(2) المرجع السابق: ج5/ ص 173، وترجمته تقدمت ص 78.

(3) البداية والنهاية، ج18/ ص528، وترجمته تقدمت ص 17.

(4) انظر ترجمته في: البداية والنهاية: ج18، ص466 ، 467، وطبقات الحفاظ، السيوطي: نشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: 1، 1403 ص524.

(5) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني نشر: دار المعرفة - بيروت (بدون) ج2، ج2، ص280.

(727 – 771هـ)، الإمام الفقيه المؤرخ وقاضي القضاة، صاحب كتاب "طبقات الشافعية"[1].

المطلب الثالث:

ثناء العلماء على ابن القيم، ومؤلفاته، ووفاته

المسألة الأولى: ثناء العلماء عليه

قال ابن كثير: «سمع الحديث، واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة، ولا سيما علم التفسير والحديث الأصلين، ولما عاد الشيخُ تقي الدين ابن تيمية من الدّيار المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جماً، مع ما سلف له من الاشتغال؛ فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطَّلَب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال، وبالجملة كان قليل النظير في مجموعه وأموره وأحواله»[2].

وقال ابن رجب: «وتفقه في المذهب وبرع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدين وأخذ عنه، وتفنَّن في علوم الإسلام، وكان عارفاً بالتفسير لا يجارى فيه، وبأصول الدين، وإليه فيهما المنتهى، والحديث معانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق في ذلك، وبالفقه وأصوله وبالعربية، وله فيها اليَدُ الطولى، وتعلم الكلام والنَّحو وغير ذلك، وكان عالماً بعلم السّلوك، وكلام أهل التّصوف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كل فَنّ من هذه الفنون اليد الطولى ... ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرف بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله»[3].

---

(1) انظر ترجمة في شذرات الذهب، ابن العماد: ج8/ ص378 – 380، والأعلام، الزركلي، ج4/ ص184.

(2) البداية والنهاية: ج18/ ص207 باختصار

(3) ذيل طبقات الحنابلة، مرجع سابق، ج5/ ص171 – 173 باختصار.

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي[1]:«وكان ذا فنون في العلوم، وخاصة التفسير والأصول في المنطوق والمفهوم».

وقال ابن حجر[2]: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلاَّ تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف لكان غاية في الدلالة على عظم منزلته»[3].

وقال السيوطي: «قد صَنَّفَ وناظر واجتهد وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية».

وقال القاضي برهان الدين الزُّرْعي[4] عنه: «ما تحت أديم السماء أوسع علماً منه»[5].

---

(1) هو محمد بن عبد الله أبي بكر بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي، شمس الدين، ابن ناصر الدين الدمشقي (777 – 842هـ)، حافظ مؤرخ شافعي المذهب، ولد في دمشق وفيها قُتل شهيداً، له من المؤلفات: "الرد الوافر"، عقود الدرر في علوم الأثر. شذرات الذهب ج1/ ص72 ، 73، الأعلام، الزركلي، ج6/ ص237.

(2) هو أحمد بن علي المصري الشافعي، شهاب الدين أبو الفضل العسقلاني، (773 – 852هـ)، الحافظ العلامة، طلب الحديث وبرع فيه، وقيل إنه شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ، له من المؤلفات: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، و"المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية"، و"تهذيب التهذيب"، و"الإصابة في معرفة الصحابة"، وغيرها كثير، طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1403، ص552، 553، وشذرات الذهب لابن العماد ج9/ ص295.

(3) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، حقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: 1، 1419هـ – 1999م.. ج/2 ص736.

(4) هو إبراهيم بن أحمد بن هلال بن بدر، (688 – 741هـ)، حنبلي فقيه، واشتغل على ابن بيمية وابن الزملكاني، ومهر وتقدم في الفتيا، ودرَّس في المدرسة الحنبلية عوضاً عن ابن تيمية لما سُجن، الدرر الكامنة، ابن حجر: ج5/ ص154.

(5) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، مرجع سابق: ج2/ ص449.

المسألة الثانية: مؤلفات ابن القيم

ضرب ابن قيم الجوزية بحظ وافر في علوم شتى، يظهر هذا الأمر جلياً لمن استقصى كتبه التي كانت للمتقين إماماً، وأفاد منها الموافق والمخالف.

قال ابن كثير: «وله من التصانيف الكِبار والصغار شيءٌ كثير، وكتب بخطه الحسنِ شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف»(1).

وتقدم قريبا قول ابن حجر: «صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف»(2).

وقد بلغ بها الشيخ بكر أبو زيد في كتابه: "ابن قيم الجوزية – حياته وآثاره" 98 مؤلفاً، هذه أشهرها مرتَّبة على حروف المعجم:

1- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية.

2- أحكام أهل الذمة.

3- إعلام الموقعين عن رب العالمين.

4- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان.

5- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان.

6- بدائع الفوائد.

7- تحفة المودود في أحكام المولود.

8- تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته.

9- جلاء الأفهام في ذكر الصلاة والسلام على خير الأنام وبيان أحاديثها

(1) البداية والنهاية، ابن كثير: ج18/ ص 524.

(2) الجواهر والدرر، السخاوي، ج2/ ص736.

وعللها.

10- الجواب الكافي، وهو المسمى "الداء والدواء".

11- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.

12- حكم تارك الصلاة.

13- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.

14- الروح.

15- زاد المعاد في هدي خير العباد.

15- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.

16- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.

17- طريق الهجرتين وباب السعادتين.

18- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.

19- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين.

20- الفروسية.

21- الفوائد.

22- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، وهي "القصيدة النونية".

23- مدارج السالكين شرح منازل السائرين بين إياك نعبد وإياك نستعين.

24- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة.

25- المنار المنيف في الصحيح والضعيف.

26- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى.

27- الوابل الصيب في الكلم الطيب.

المسألة الثالثة: وفاة ابن القيم

توفي -رحمه الله- ليلة الخميس وقت أذان العشاء، في الثالث والعشرين من رجب سنة (751هـ)، وبه كمل من العمر ستون سنة، وصلي عليه في الجامع الأموي ثم بجامع جراح من الغد عقيب صلاة الظهر، وشيَّعه خلقٌ كثير، ودفن بمقبرة الباب الصغير عند والده، ورؤيت له منامات كثيرة حسنة.

الفصل الثالث

التعريف والموازنة بين الكتابين

وفيه مبحثان

المبحث الأول: التعريف بكتابي: (تلبيس إبليس) و(إغاثة اللهفان)

المبحث الثاني: الموازنة بين الكتابين

المبحث الأول

التعريف بكتابي: "تلبيس إبليس" و"إغاثة اللهفان"

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بكتاب تلبيس إبليس

المطلب الثاني: التعريف بكتاب إغاثة اللهفان

المبحث الأول

التعريف بكتابي: "تلبيس إبليس" و"إغاثة اللهفان"

المطلب الأول:

التعريف بكتاب تلبيس إبليس

المسألة الأولى: اسم الكتاب وموضوعه

كتاب "تلبيس إبليس" هو كتاب حاول فيه مؤلفه أن يستقصى تلبيسات الشيطان ومكايده على ابن آدم، وقد سماه بذلك مؤلفه في مقدمتة[1]، وكذلك سماه كل من ترجم لابن الجوزي تقريباً كما سيأتي ذكرهم في نسبة الكتاب للمؤلف.

وقد جاء في بعض النسخ تسميته بـ"كشف تلبيس إبليس" و"الناموس في تلبيس إبليس" أو "كشف الناموس" وليس لهذه التسميات ذكر في كتب ابن الجوزي، ولا من ترجم له من المتقدمين.

وللإمام الغزالي[2] كتاب بالعنوان نفسه كما ذكر في كتابيه: "إحياء علوم الدين"[3]، و"منهاج العابدين"[4]، وقد كان لابن الجوزي عناية بكتاب "الإحياء"؛ فقد اختصره ونقده من وجهة نظره في كتاب بعنوان "منهاج القاصدين"، وجزماً وقف على هذا الاسم عند الغزالي، ولعله اقتبسه اسماً لكتابه.

(1) انظر: مقدمة المؤلف ص12.

(2) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد (450 – 505هـ)، فيلسوف أصولي متصوف، له من المؤلفات نحو مئتا مصنف منها: إحياء علوم الدين، تهافت الفلاسفة. وفيات الأعيان، ج4/ ص216، شذرات الذهب، ابن العماد ج4/ ص10، الأعلام، الزركلي، ج7/ ص23.

(3) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ط: دار المعرفة – بيروت (بدون) ج3/ ص30.

(4) منهاج العابدين إلى رب العالمين إلى جنة رب العالمين، أبو حامد الغزالي، تحقيق د/ محمود محلاوي، دار البشاير الإسلامية بيروت، ط2، 1417 ، ص135.

ومن اسمه يتبين موضوعه، حيث يدور في "تلبيس إبليس" وشرح كيفية دخوله على النفس وخداعها، وتزيين الباطل على أنه الحق وغرور الخلق به على مختلف طبقاتهم..

والتلبيس -كما فسره المؤلف في كتابه هذا- هو: إظهار الباطل في صورة الحق[1].

وقد ركز المؤلف في هذا الكتاب على بيان الشبه التي يلبس بها إبليس الناس وضلالاته، فكشف زيفها وكرّ عليها بالتحليل والنقد، مستعيناً في ذلك بالنقل والعقل.

قال ابن الجوزي في مقدمة كتابه هذا: «فرأيت أن أحذر من مكايده، وأدل على مصايده، فإن في تعريف الشر تحذيراً من الوقوع فيه»[2].

كما أنه وقع في الطبعة المنيرية الآتي وصفها في المسألة الآتية تحت مسمى: "نقد العلم والعلماء"، ولعلها من تصرف المحقق، أو في نسخة خطية قديمة والله أعلم.

المسألة الثانية: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف وأهم طبعاته

يدل على صحة نسبة الكتاب لأبي الفرج بن الجوزي عدة أمور، منها:

ذِكره له في مؤلفاته الأخرى، كالمنتظم[3]، وصفة الصفوة[4]، وغيرهما، كما أنه ذكر في "التلبيس" عدداً من مؤلفاته المشهورة كـ "المنتظم"[5] و"أخبار النساء"[6]،

---

(1) انظر: ص280، وانظر كتاب "مختار الصحاح" ص278 مادة "لبس".

(2) تلبيس إبليس: ص 5.

(3) المنتظم، ابن الجوزي، مرجع سابق، ج14/ ص288، وج15/ ص148.

(4) صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، نشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط: 1421هـ - 2000م ج1/ ص11.

(5) تلبيس إبليس: ص100 ، 341.

(6) المرجع السابق ص 354.

و"الموضوعات"[1].

كما نسبه له غالب من ترجم له في كتبهم، ومنهم سبطه أبو المظفر في "مرآة الزمان"[2]، والذهبي في "سير أعلام النبلاء"[3]، وابن رجب في "الذيل على طبقات الحنابلة"[4]، وحاجي خليفة[5] في "كشف الظنون"[6].

وأهم طبعات الكتاب[7]:

- طبع الكتاب لأول مرة في الهند سنة 1323هـ

- ثم طبع في المطبعة المنيرية مرتين، الأولى سنة 1340هـ، والثانية بزيادات سنة 1360هـ، وقد اجتهد صاحبها في إخراجها حسب إمكانات ذلك الزمن، وحصل فيها سقط كثير، وطبعات الكتاب الموجودة جلها ترجع إلى هذه الطبعة الثانية للمنيرية، وأشهرها:

- طبعة دار الفكر ، بيروت – لبنان الأولى سنة ، 1421هـ – 2001م.

- طبعة دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، الأولى سنة، 1405 – 1985م.

---

(1) تلبيس إبليس: ص 606.

(2) مرآة الزمان، سبط ابن الجوزي، مرجع سابق، ج16/ ص341، وج20/ ص51، وج22/ ص98.

(3) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص368.

(4) ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، ج1/ ص419.

(5) هو مصطفى بن عبد الله كاتب حلبي المعروف بـ "حاجي خليفة" (1017 – 1067هـ)، مؤرخ بحاثة، تركي الأصل مستعرب تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني، مولده ووفاته في القسطنطينية، له من المؤلفات: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، ميزان الحق في التصوف"، "تحفة الكبار في إسفار البحار"، "كشف الظنون": المقدمة، و"الأعلام": ج7/ ص236.

(6) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، نشر: مكتبة المثنى – بغداد وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، 1941م ج1/ ص471.

(7) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دراسة وتحقيق د/ أحمد بن عثمان المزيد، ط: دار الوطن، الرياض، 1422هـ، مقدمة المحقق ص: 175.

– طبعة دار الوطن – الرياض، تحقيق أحمد بن عثمان المزيد، وهي أجود وأكمل الطبعات، 1422هـ.

المطلب الثاني:

التعريف بكتاب إغاثة اللهفان

المسألة الأولى: اسم الكتاب وموضوعه

كتاب إغاثة اللهفان هو أيضاً كتاب استقصى فيه المؤلف مصايد الشيطان ومكايده، ومهَّد لها بأبواب في أمراض القلوب وعلاجها.

قال محمود شكري الألوسي[1]:«أودعه مؤلفه رحمه الله مهمات المطالب، وأبطل به حبائل الشيطان ومصايده، ودسائسه ومكايده، فلا بِدع أن نفرت منه جنوده، واضطربت منه أعوانه وأولياؤه، والله لا يصلح عمل المفسدين»[2].

اسم الكتاب "إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان"، كما سماه بذلك مؤلفه في مقدمتة[3]، وكما هو مثبت بداخل جميع النسخ وعلى صفحة غلافها، وهي كذلك في بعض المصادر[4]، وتصحَّفت في معظم طبعات الكتاب إلى "مِن"، ولا وجود لها في

---

(1) هو أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، (1273. – 1342هـ)، العالم العراقي الأصولي المؤرخ، نشأ في بيت علم، له من المؤلفات: شرح مسائل الجاهلية، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، غاية الأماني في الرد على النبهاني، الأعلام، الزركلي، ج7/ ص172 ، 173.

(2) غاية الأماني في الرد على النبهاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله الألوسي، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1422هـ – 2001م ج2/ ص7.

(3) انظر: مقدمة المؤلف ص12، وسيأتي نص كلامه قريباً.

(4) كشف الظنون ج1/ ص129، وهداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد الباباني الباباني البغدادي طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ج2/ ص158، وغاية الأماني في الرد على النبهاني، الألوسي، ج2/ ص7.

المخطوطات ولا المصادر [1].

وهو مشهور بين أهل العلم باسم "الإغاثة الكبرى" تمييزاً له عن "الإغاثة الصغرى" في حكم طلاق الغضبان للمؤلف نفسه.

وهذه معاني غريب مفردات العنوان.

الإغاثة: غوث الرجل، واستغاث: صَاح: وَاغوثاه، الإغاثة: الإعانة[2].

اللهفان: لَهِفَ تعنى حزن وتحسر، ولَهَّفَ: استغاث، و"اللَّهْفان": الحزين المتحسر أو المكروب[3].

ومن اسمه يتبين موضوعه، حيث يدور في محور "مصايد الشيطان" وسبل الوقاية منها.

قال ابن القيم في مقدمة كتابه: «ولما من الله الكريم بلطفه بالاطلاع على ما اطلع عليه من أمراض القلوب وأدوائها، وما يعرض لها من وساوس الشياطين أعدائها، وما تثمر تلك الوساوس من الأعمال، وما يكتسب القلب بعدها من الأحوال، فإن العمل السيء مصدر عن فساد قصد القلب، ثم يعرض للقلب من فساد العمل قسوة، فيزداد مرضاً على مرضه حتى يموت، ويبقى لا حياة فيه ولا نور له، وكل ذلك من انفعاله لوسوسة الشيطان، وركونه إلى عدوه الذى لا يفلح إلى من جاهده بالعصيان: أردت أن أقيد ذلك في هذا الكتاب، لأستذكره معترفاً فيه لله بالفضل والإحسان، ولينتفع له من

---

(1) انظر تقدمة المحقق محمد عزيز شمس للكتاب، نشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط: 1، 1432هـ ص6، 7.

(2) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقبق: عبد الحميد هنداوي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1421 هـ – 2000م، ج6/ ص48، النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، ج3/ ص392.

(3) مختار الصحاح، مرجع سابق، ص286. المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج2/ ص842.

نظر فيه داعياً لمؤلفه بالمغفرة والرحمة والرضوان، وسميته "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان»[1].

المسألة الثانية: توثيق نسبة الكتاب للمؤلف وأهم طبعاته

يدل على صحة نسبة الكتاب لابن قيم الجوزية أمور، منها:

أنه ذكر في "الإغاثة" عدداً من مؤلفاته المشهورة وهي ثابتة النسبة، كإشارته لكتاب "إعلام الموقعين عن رب العالمين"[2]، وكتاب "الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة"[3]، وكتاب "مفتاح دار السعادة" في موضعين[4] وكتاب "شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل"[5].

وكذلك نسبه إليه كل من ترجم له تقريباً، ومنهم: الذهبي في سير أعلام النبلاء[6]، وابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة[7]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[8].

وأهم طبعات الكتاب[9]:

- طبع الكتاب لأول مرة بالهند سنة 1304هـ.
- ثم نشره الشيخ محمد حامد الفقي بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة

---

(1) إغاثة اللهفان ص6.

(2) إعلام الموقعين ج1/ ص 22.

(3) إغاثة اللهفان: ج1/ ص114.

(4) المرجع السابق: ج2/ ص125.

(5) المرجع السابق ج1/ ص56.

(6) سير أعلام النبلاء ج21/ ص368.

(7) ذيل طبقات الحنابلة ج1/ ص419.

(8) كشف الظنون، حاجي خليقة، مرجع سابق، ج1/ ص81.

(9) إغاثة اللهفان، مقدمة المحقق عزيز شمس، مرجع سابق، ص: 43 ، 46.

1357 – 1939م في جزئين، وفيها كثير من السقط والتحريف، وأغلب الطبعات التي صدرت بعد طبعة الفقي كانت عالةً عليها.

– وطبع أخيراً في: دار عالم الفوائد، الرياض – المملكة العربية السعودية، بتحقيق محمد عزيز شمس، وأهم ما يميز هذه الطبعة اعتماد المحقق على أهم النسخ الخطية الموجودة منه، وتصحيح الأخطاء التي وقعت في الطبعات السابقة.

المبحث الثاني

الموازنـة بين الكتـابيـن

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **الموازنة بين الكتابين من خلال الموضوعات**

المطلب الثاني: **الموازنة بين الكتابين من خلال السمات التي امتاز بها منـهج كل من الكتابين**

المبحث الثاني

الموازنة بين الكتابين

المطلب الأول:

الموازنة بين الكتابين من خلال الموضوعات

المسألة الأولى: موضوعات كتاب "تلبيس إبليس"

تطرق الإمام ابن الجوزي في كتابه "تلبيس إبليس" إلى قرابة أربعين صنفاً من طبقات الناس، وحسب ابن الجوزي فإن إبليس لبس على الجميع بصورة أو بأخرى، وعلى درجات متفاوتة، ولم يسلم من كيده إلاَّ الأنبياء والرسل، فابتدأ بمقدمة عامة للموضوع وهو كيد إبليس، اشتملت على ما أنعم الله على البشر من نعمة العقل، ثم تعزيزها بنعمة الشرع التي لا يقوى إبليس معها على إضلال بني آدم، كما اشتملت على ذكر بداية ضلال البشر، واختلافهم بسبب اتباعهم للهوى، واستجابتهم لداعي إبليس.

والمقدمة بهذا المضمون تعتبر موطئة للموضوع، ذكر بعدها عنوان الكتاب وأبوابه التي جعلها ثلاثة عشر باباً:

جعل الأربعة الأولى منها كمدخل لموضوع التلبيس، حيث ذكر فيها:

1- الأمر بلزوم السنة والجماعة.

2- ذم البدع والمبتدعين.

3- التحذير من فتن إبليس ومكايده عموماً.

4- بيان معنى التلبيس والغرور.

ثم ذكر في بقية الأبواب تلبيس إبليس على:

5- أصحاب العقائد والديانات، فذكر:

السوفسطائية[1]، والدهرية، والطبائعيين، والثنوية، والفلاسفة، وأصحاب الهياكل، وعبادة وعبادة الأصنام، وعابدي النار والشمس والقمر، والجاهلية، وجاحدي النبوات واليهود والنصارى، والصابئة، والمجوس، والمنجمين، وجاحدي البعث، والقائلين بالتناسخ، والخوارج، والرافضة، والباطنية.

ثم ذكر في الباب السادس[2] تلبيسه على:

6- العلماء في مختلف أنواع تخصصاتهم من: محدثين، وفقهاء، وقراء، وشعراء، ولغويين، وقصاص، ونحوهم.

7- الولاة والسلاطين.

8- العُبّاد.

9- الزهّاد.

10- الصوفية[3]، وتوسع فيه جداً، وهو أطول أبواب الكتاب.

---

(1) السوفسطائية: هم قوم يتعاطون السفسطة، وهي: نفي الحقائق الثابتة والمحسوسات مع العلم بها تمويها ومغالطة. انظر البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس السكسكي، ط. 1، 1408هـ. نشر: مكتبة المنار - الأردن، ص42، والتعريفات، الجرجاني، مرجع سابق. ص118- 119.

(2) تلبيس إبليس: ص 101.

(3) الصوفية: نسبة إلى لبس الصوف على الأرجح، إشارة إلى الزهد والأخلاق، الذي صار بعد ذلك علماً يسمى يسمى "علم التصوف"، «وأول ما ظهرت الصوفية من أصحاب عبد الواحد بن زيد بالبصرة، وكان فيها من المبالغة في الزهد والعبادة ما لم يكن في غيرها من الأمصار، ولهذا كان يقال: فقه كوفي، وعبادة بصرية» قاله ابن تيمية. وذهب البيروني إلى أنهم منسوبون إلى "السوفية" الحكماء القائلين بالوحدة، وأن الصوفية أول من أدخل ذلك في الإسلام فسموا باسمهم. ولعل ما قاله الإمامان يمثل مراحل مر بها التصوف، فبدأ بالزهد ثم دخل فيهم، من ليس منهم لغلبة العبادة عندهم على العلم، فقال بعضهم بالحلول ووحدة الوجود وبعضهم بإباحة المحرمات، ونزع بعضعم إلى الفلسفة المذمومة، وتحكيم الذوق والعقل، فمن لقي الله على ما كان عليه الأسلاف -أمثال الجنيد، والفضيل بن عياض، والحس البصري، والقشيري ونحوهم من أرباب التصوف الصالحين- فقد سلم دينه، ومن قال بغير ذلك فأمره إلى الله. مجموع فتاوى ابن تيمية، ج11/ ص6 وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، ص24، 24، ومقدمة ابن خلدون، الفصل الحادي

11- المتدينين بما يشبه الكرامات.

12- العوام.

13- جميع الناس بطول الأمل.

المسألة الثانية: موضوعات كتاب "إغاثة اللهفان"

بدأ ابن القيم بمقدمة تعريفية ليست بالطويلة، فذكر فيها أن الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً، بل جعلهم مورداً للتكليف، ومحلاً للأمر والنهى، وأعطاهم مواد العلم والعمل: من القلب، والسمع، والبصر، والجوارح، فمن استعملها في طاعته فقد شكر، ومن استعملها في إرادته وشهوته فقد خسر، وقد رام الشيطان غواية بني آدم بالوساوس وتزيين الشهوات والشبهات، فكتب المؤلف كتاب هذا وقاية لنفسه وغيره من مصائد الشيطان.

ثم رتب المؤلف كتابه على ثلاثة عشر باباً:

1 - انقسام القلوب إلى صحيح وسقيم وميت.

2 - ذكر حقيقة مرض القلب.

3 - انقسام أدوية أمراض القلب إلى طبيعية وشرعية.

4 - أن حياة القلب وإشراقه مادة كل خير فيه، وموته وظلمته مادة كل شر وفتنة فيه.

5 - أن حياة القلب وصحته لا تحصل إلّا بأن يكون مدركًا للحق مريدًا له مُؤثِرًا له على غيره.

6 - أنه لا سعادة للقلب ولا لذة ولا نعيم ولا صلاح إلّا بأن يكون إلهه هو معبوده وأحبَّ إليه من كل ما سواه.

عشر في علم التصوف، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص72.

7 – أن القرآن الكريم متضمن لأدوية القلب وعلاجه من جميع أمراضه.

8 – زكاة القلب.

9 – طهارة القلب من أدرانه وأنجاسه.

10 – علامات مرض القلب وصحته.

11 – علاج مرض القلب من استيلاء النفس عليه.

12 – علاج مرض القلب بالشيطان.

13 – مكايد الشيطان التي يكيد بها ابنَ آدم.

وقد قال عن هذا الأخير: «وهو الذى وضع لأجله الكتاب، وفيه فصول جمة الفوائد حسنة المقاصد»[1].

والأبواب السابقة تعتبر مدخلاً وتمهيداً للباب الأخير، وكلّها لا تزيد على ثُمن الكتاب تقريباً، والبقية في تفصيل الباب الثالث عشر، وقد توسَّع فيه كثيراً، فاستقصى عامة المكايد التي يكيد بها الشيطانُ الإنسانَ، والمصايد التي يصيده بها.

المطلب الثاني:

الموازنة بين الكتابين من خلال السمات التي امتاز بها منهج كل من الكتابين

المسألة الأولى: سمات المنهج التي امتاز بها كتاب "تلبيس إبليس"

1– الطريقة التي سار عليها الإمام ابن الجوزي في الكتاب كله تقريباً كانت في الغالب على نسق واحد، هو عرض المخالفات التي يسولها إبليس، ثم الكر عليها بالكشف والرد، سلاحه في ذلك نصوص الكتاب والسنة، وأقوال السلف، والحجاج العقلي.

2– جاء الكتاب كاشفاً لكثير من صور التلبيس التي من أجلها ألف الكتاب.

---

(1) إغاثة اللهفان، ابن القيم، ج2/ ص 7.

3- توثيق النقول، والحرص على نسبة الأقوال إلى قائليها في الكتب التي استقى منها في الغالب الأعم.

4- الاختيار والترجيح، فقد كان يقف عند المسائل المهمة، فيبدي رأيه ويستدرك على ما يراه محتاجاً لذلك.

5- كثرة استشهاد المصنف بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار الصحابة وأقوال السلف. وروايته لها بالأسانيد.

6- يورد في كتابه ما صح وغيره من الأحاديث، وإن كان الغالب الصحة؛ فالكثير منها في دواوين السنة المعتمدة، ولم يلتزم ذكر درجة الحديث أو الأثر، إلاَّ بقلة، سيما عند ردِّه على بعض أدعياء التصوف خاصة، وذلك أنه غالباً ما يؤدي العهده بسوقه سند الحديث إلى منتهاه.

7- الاختصار، حيث قال في آخر الكتاب: «وينبغي أن نكف عنان القلم اقتصاراً على هذه النبذة، فإن هذا الأمر يطول، ولو بسطنا النبذ المذكورة في هذا الكتاب، أو شيدنا ردنا على من رددنا عليه بالأحاديث والآثار لاجتمعت مجلدات»[1].

8- الإعراض أحياناً عن ذكر بعض ما يراه سخيفاً من أقوال الديانات الوضعية، وتجاهل الرد عليها إن ذكرها عمداً، وستأتي لذلك أمثلة.

9- نقده اللاذع للمتصوفة في عقائدها، وعباداتها، ورجالاتها، وكأن الكتاب كتب من أجل ذلك، ولكن لعل ذلك كان منه أقرب لذم أدعياء التصوف من ذم الصوفية أهل الزهد وتهذيب النفوس مع تحري السنة، والتي هي طائفة متقدمة في الزمن من طوائف المسلمين غير المعصومين، وربما كانت هناك إشارات من الشيخ في التفرقة بين الصوفية وأدعيائها، ومن ذلك -مثلاً- قوله: «وهذا الاسم الذي ظهر للقوم قبل 200 هجرية ولما ظهر أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة وحاصلها أن

---

(1) تلبيس إبليس: ص 355.

التصوف رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الآخرة»[1].

المسألة الثانية: سمات المنهج التي امتاز بها كتاب "إغاثة اللهفان"

1- جاء الكتاب كاشفاً لكثير من صور مصائد الشيطان التي من أجلها ألف الكتاب.

2- طول نفسه وصبره متى ما أراد أن يبسط الكلام في مسألة، وذكر الأمثلة الكثيرة والوجوه المتعددة فيها، وكثرة استشهاده بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف، والمعقول كذلك، وهي سمة عامة يمتاز بها الإمام في مصنفاته جميعاً، كل ذلك مع عذوبة في السياق، وجذالة في اللفظ.

4- الاختيار والترجيح، فقد كان يقف عند المسائل الكبيرة والصغيرة، فيبدي رأيه ويستدرك على ما يراه محتاجاً لذلك.

5- استطراده الموعب جداً في بعض المسائل كما تقدم في المطلب السابق.

6- الإعراض أحياناً عن ذكر بعض ما يراه سخيفاً من أقوال الديانات الوضعية، وتجاهل الرد عليها إن ذكرها عمداً، وستأتي لذلك أمثلة.

7- الإنصاف الذي تحلى به ابن القيم، وعدم تعنته في الحكم على المخالف، ومثاله ما سيأتي في آخر الحديث عن عباد النار.

المسألة الثالثة: المسائل المتشابهة والمختلفة بين الكتابين

رغم أن عنوان الكتابين يصب في اتجاه واحد في التحذير من تلبيسات الشيطان ومكايده، وقد تناول الإمامان كثيراً من الموضوعات المتشابهة والاعتقادات الفاسدة وضلالات الفرق والطوائف بالبحث والدراسة، وتوسّعا في معالجتها وردّ الشُّبه التي

---

(1) تلبيس إبليس: ص 147.

يتعلق بها رؤوس البدع والضلال، ولكن منهجيهما يختلف نوعاً في كثير من المسائل.

وأول ما يلاحظه القارئ للكتابين بتمعن هو أمران:

الأول: أن عدد أبواب الكتابين واحد، (ثلاثة عشر باباً لكل كتاب)، مع اختلاف كثير من القضايا، والطرح كذلك فيما اتفقاء فيه غالباً..

والثاني: بمراجعة تبويبات الشيخين التي سبق ذكرها نلاحظ أن غالب عناوين كتاب ابن الجوزي تركز على أعيان من لبَّس الشيطان، فكثيراً ما يستعمل عبارة "تلبيسه على طائفة كذا .."، بينما ابن القيم عنون لها في الغالب بأنواع المكايد والحيل الشيطانية والمعاصي نفسها، فيتكلم عن أمراض القلب، ويستعمل كثيراً عبارة "ومن كيده مسألة كذا..".

ومع ذلك، ومن خلال عناوين كل من الكتابين يمكن أن نخلص إلى عدة مسميات قارب مسماها لحد التطابق، ومنها ما انفرد به كل منهما:

فمن المسائل التي تشابهت مسمياتها:

- مسألة الوسواس في أمر الطهارة والصلاة(1).

- مسألة السماع والغناء(2).

- الصوفية(3)

- أصحاب العقائد والديانات الوضعية كالدهرية، والطبائعيين، والثنوية، والفلاسفة، وأصحاب الهياكل، وعبادة الأصنام، وعابدي النار والشمس والقمر، والجاهلية، وجاحدي النبوات واليهود والنصارى، والصابئة، والمجوس، والمنجمين،

---

(1) عند ابن الجوزي في "التلبيس" ص 123 – 126، وعند ابن القيم في "الإغاثة" ج1/ ص 126 – 182.

(2) عند ابن الجوزي ص 198 – 223 ، وعند ابن القيم ج1/ ص 224 – 268.

(3) عند ابن الجوزي ص 145 – 342، وعند ابن القيم ج1/ ص 119 – 126.

وجاحدي البعث، والقائلين بالتناسخ[1].

ولعل هذه الجزئية هي أكثر ما حصل فيها التشابه بين الإمامين، من حيث السياق والمضمون.

فمن حيث السياق: فكلا الشيخين تنوع قوله في الطائفة ما بين:

1/ التعريف بها.

2/ وبعقائدها ومقالتها.

3/ وعباداتها وشعائرها وشرائعها.

أحياناً وفق هذا الترتيب، وأحياناً بغير ترتيب لا يهمل هذه النقاط، وربما زاد بعضهما على بعض قليلاً كما سيتبين في الفصل الأخير.

ومن حيث المضمون فقد نقل ابن القيم كثيراً من مقالات الفرق والأديان بنفس عبارات ابن الجوزي، إلاَّ أن لكل منهما ميزة ليست عند الآخر في ذكر بعض الطوائف، ففي الحديث عن مذهب الفلاسفة –مثلاً– رغم ملاحظة بعض الشبه في طريقة تناول عند الشيخين، إلاَّ أن ابن الجوزي نجده يميل إلى الرد عقلاً على الفلاسفة، بينما يميل ابن القيم إلى عرض قولهم، ويسخر منه، ويحيل إلى غيره في الرد عليهم أكثر مما يرد بنفسه.

وفي ذكر الصابئة يلاحظ أن ابن القيم رتب كلامة في مقالاتهم جملة وتفصيلاً:

ففي حديثه عن جملة مقالاتهم قسمهم إلى طوائف حسب ما جاء القرآن، ثم حسب واقع حالهم لاحقاً، وما آلت إليه ديانتهم.

وفي تفصيل مقالاتهم تحدث عن طرف من عقائدهم في الإلهيات جملة، وفصل في النبوات أكثر.

---

(1) وهذه القضايا والملل هي موضوع هذا البحث.

أما ابن الجوزي فلم يرتب كلامه في عقائد القوم كما فعل ابن القيم كما سيأتي في فصل الديانات.

وأحياناً يصل النقل حد التطابق كما في ذكر طائفة "الزرادشتية" و"عبدة النار".

وفي طائفة "الثنوية" خاصة نقل ابن القيم كلام ابن الجوزي كله دون تنبيه وزاد عليه بعضاً، سيما في حديثه عن مذهب الرازي حيث لم يذكره ابن الجوزي!.

ولعل ابن القيم يعتبر ذلك من العلم المشاع الذي يتفق على قوله كل علماء تلك العصور كما يحصل اليوم تطابق بكثرة في مصنفات علوم الآلة خاصة، كعلم أصول الفقه والحديث والنحو والمنطق، أو لأنهما يكثران النقل من مصدر مشترك متقدم، ككتاب "الملل والنحل" للشهرستاني، وكتاب الآراء والديانات للنوبختي[1]، وهذا هو الأقرب والله أعلم.

وهذان مثلان يكتفي الباحث بهما؛ وذلك أن القارئ سيقف علي مثليهما جميعاً في الفصل الرابع إن شاء الله:

المثال الأول: قال ابن الجوزي في حديثه عن "الزرادشتية": «وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة، فأول من رسم لها بيتاً: أفريدون، فاتخذ لها بيتا بطرطوس وآخر ببخارى، واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان، واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى، وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها»[2].

وقال ابن القيم: «وسرى هذا المذهب في المجوس، فبنوا لها بيوتاً كثيرة واتخذوا لها الوقوف والسدنة والحجاب فلا يدعوها تخمد لحظة واحدة فاتخذ لها إفريدون بيتا بطوس وآخر ببخارى واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان واتخذ لها أبو قباذ بيتا بناحية

---

(1) هو الحسن بن موسى النوبختي: أبو محمد، (ت سنة 310هـ)، متكلم، فيلسوف. إمامي، له من المؤلفات: "الآراء والديانات"، "فرق الشيعة". "سير أعلام النبلاء"، الذهبي، ج15/ ص327، والأعلام، الزركلي، ج2/ ص224.

(2) تلبيس إبليس: ص 58

بخارى واتخذت لها بيوت كثيرة»[1].

المثال الثاني: قال ابن الجوزي أثناء حديثة عن "عابدي النار": «وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري أنه لما قتل قابيل هابيل وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس فقال له إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت نار، فهو أول من نصب النار وعبدها»[2].

وقال ابن القيم: «وقد قيل إن هذا كان من عهد قابيل كما ذكر أبو جعفر محمد بن جرير..»[3] الخ.

فقط ذكر ابن القيم القصة هنا بصيغة التمريض[4]، وذلك أنه يرى ضعف القصة وعدم ثبوتها.

وهناك نوع آخر من أمثلة التشابة بين الشيخين في محاورتها للأديان الوضعية، وهي عبارات الإعراض عن الرد أحياناً لضعف القول وسخافته.

وهذه أقوالهما جملة:

قال ابن الجوزي: «ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم أنهم رأوا في الأفعال خيراً وشراً؛ فسول لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر، فأثبتوا إلهين، وقالوا: أحدهما نور

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 234.

(2) تلبيس إبليس: ص 57.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 233.

(4) صيغة التمريض هي رواية الحديث بصيغة تشعر بضعفه، بذكره مبنياً على المجهول، كقولهم: "رُوى، ويُروى، وقيل، ويُقال ويُحكى". "شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي"، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين فحل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1423هـ – 2002م، ج1/ ص325، و"توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار" الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: 1، 1417هـ/1997م، ج1/ ص130.

حكيم لا يفعل إلاَّ الخير، والآخر شيطان هو ظلمة، لا يفعل إلاَّ الشر»[1].

وقال في ذكر "المجوس": «هذا الذي ذكره النهاوندي نقلته من نسخة بالنظامية قد كتبت منذ مائتين وعشرين سنة، ولولا أنه قد قيل ونقل في ذكره بيان ما قد فعل إبليس في تلبيسه لكان الأولى الإضراب عن ذكره تعظيماً لله عز وجل أن يذكر بمثل هذا، ولكن قد بينا وجه الفائدة في ذكره»[2].

ومثل هذه المذاهب لا يحتاج إلى تكلف في ردها؛ إذ هي دعاوى بلا دليل.

وقال في الفلاسفة: «وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه»[3].

وقال: «في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك، ونذكر ما انتهى تلبيس إبليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط ... وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان لذكرها فائدة ولا معنى»[4].

وقال: «في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة»[5].

وقال في الثنوية: «ولا ينبغي مد النفس في الكلام مع هؤلاء؛ فإن مذهبهم خرافات»[6].

وقال في المجوس: «وهذه الخرافات لولا التفرج فيما صنعه إبليس بالعقول ما كان

---

(1) تلبيس إبليس: ص 79.

(2) تلبيس إبليس: ص 45.

(3) المرجع السابق: ص 45.

(4) المرجع السابق: ص 42.

(5) المرجع السابق: ص 70.

(6) المرجع السابق: ص: 43.

لذكرها فائدة ولا معنى» [1].

ومن أقوال ابن القيم:

«ولولا أن الله سبحانه يحكي عن المشركين والكفار أقوالاً أسخف من هذا وأبطل لاستحيى العاقل من حكاية مثل هذا، ولكن الله سبحانه سن لنا حكاية أقوال أعدائه»[2].

وقال عن الثنوية: «ولهم مذاهب سخيفة جداً»[3].

وقال الفلاسفة: «وحسبك جهلاً بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله من يقول: إنه سبحانه لو علم الموجودات لحقه الكلال والتعب واستكمل بغيره، وحسبك خذلاناً وضلالاً وعمى السير خلف هؤلاء، وإحسان الظن بهم، وأنهم أولوا العقول»[4].

وقال عنهم أيضاً: «وحسبك عجباً من جهلهم وضلالهم ما قالوه في سلسلة الموجودات وصدور العالم عن العقول والنفوس، إلى أن أنهوا صدور ذلك إلى واحد من كل جهة لا علم له بما صدر عنه، ولا قدرة له عليه، ولا إرادة، وأنه لم يصدر عنه إلاَّ واحد. فذلك الصادر إن كان فيه كثرة بوجه ما فقد بطل ما أصلوه، وإن لم يكن فيه كثرة البتة لزم أن لا يصدر عنه إلاَّ واحد مثله، وتكثر الموجودات وتعددها يكذب هذا الرأي الذي هو ضحكة للعقلاء وسخرية لأولي الألباب، مع أن هذا كله من تخليط ابن سينا، وإرادته: تقريب هذا المذهب من الشرائع وهيهات، وإلاَّ فالمعلم الأول لم يثبت صانعاً للعالم البتة»[5].

ومما انفرد به ابن الجوزي المسائل التالية:

---

(1) تلبيس إبليس: ص: 70

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 263.

(3) المرجع السابق: ج2/ ص 244.

(4) المرجع السابق: ج2/ ص 262.

(5) المرجع السابق: ج2/ ص 263.

لزوم السنة والجماعة[1].

ذم البدع والمبتدعين[2]،

منكرو البعث[3].

الحديث عن بعض الفرق المنتسبة للإسلام، ومن ذلك:

فرقة الباطنية[4]..

فرقة الرافضة[5] ..

فرقة الخوارج[6]..

بعض المكايد التي كاد بها الشيطان بعض الفرق والطوائف من الناس كالعلماء في مختلف أنواع تخصصاتهم من: محدثين، وفقهاء، وقراء، وشعراء، ولغويين، وقصاص، ونحوهم، وتلبيسه على الولاة والسلاطين.

ومما انفرد به ابن القيم مسائل بخصوص:

- أمراض القلوب[7]، وقال بخصوصه في تمهيد الباب الثاني عشر في علاج مرض القلب: «هذا الباب من أهم أبواب الكتاب وأعظمها نفعاً، والمتأخرون من أرباب السلوك لم يعتنوا به اعتناءهم بذكر النفس وعيوبها وآفاتها، فإنهم توسَّعوا في ذلك

---

(1) تلبيس إبليس: ج2/ ص 8.

(2) المرجع السابق: ج2/ ص 13.

(3) يأتي الحديث عنهم في المبحث الأخير.

(4) تلبيس إبليس: ص 91 – 100.

(5) المرجع السابق: ص 87 – 91.

(6) المرجع السابق: ص81 – 86

(7) إغاثة اللهفان: ج1/ ص 18 وص 90.

وقصَّروا في هذا الباب»[1].

وذكر فصلاً في أسباب ومشخصات مرض البدن والقلب، ثم قال: «وذاكرتُ مرةً بعضَ رؤساء الطب بمصر بهذا، فقال: والله لو سافرتُ إلى المغرب في معرفة هذه الفائدة لكان سفراً قليلاً»[2].

- كيده لأبينا آدم وحواء حتى أخرجهما من الجنة[3].
- الحيل التي تتضمن تحليلَ ما حرَّم الله، وإسقاطَ ما فرضَه[4]، ومنها:
- مباحث في طلاق الثلاثة، وتحليل "التيس المستعار"[5].

ومسألة (الحِيل) هذه أطال النفس فيها جداً، وضرب لها الأمثال المتكاثرة، واعتبرها أعظم أسباب الفساد على الإطلاق فقال:

«لعلك تقول: قد أطلتَ الكلام في هذا الفصل جداً وقد كان يكفي الإشارة إليه. فيقال: بل الأمر أعظم مما ذكرنا، وهو بالإطالة أجدر، فإن بلاء الإسلام ومحنته عظمت من هاتين الفرقتين: أهل المكر والمخادعة والاحتيال في العمليات، وأهل التحريف والسفسطة والقرمطة في العلميات، وكل فساد في الدين -بل والدنيا- فمنشؤه من هاتين الطائفتين. فبالتأويل الباطل قُتِل عثمان رضي الله عنه، وعاشت الأمة في دمائها، وكفَّر بعضُها بعضاً، وتفرقت على بضع وسبعين فرقة، فجرى على الإسلام من تأويل هؤلاء وخداع هؤلاء ومكرِهم ما جرى"[6].

---

(1) إغاثة اللهفان: ج1/ ص 90.

(2) المرجع السابق: ج1/ ص 17.

(3) المرجع السابق: ج1/ ص 111 -115.

(4) المرجع السابق: ج1/ ص 338.

(5) المرجع السابق: ج1/ ص 161.

(6) المرجع السابق،، ج2/ ص121 ، 122.

- توسع في ذكر الفتنة بالقبور[1].

- توسع في مسألة العشق والفتنة بالصور، والمحبة الفاسدة بخلاف ابن الجوزي حيث تحدث فيه بإشارات أثناء حديثه عن الصوفية[2].

- توسع في الرد على النصارى واليهود بخلاف ابن الجوزي الذي اختصر القول فيهما[3].

---

(1) إغاثة اللهفان: ج1/ ص 182 – 224.

(2) المرجع السابق، ج2/ ص، 121 – فما بعد، وص141 إلى صفحة 164.

(3) المرجع السابق: ص 270 – 367 وهي آخر صفحة في الكتاب.

الفصل الرابع

الأديان الوضعية

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الفلاسفة

المبحث الثاني: الدهريون والطبائعيون

المبحث الثالث: المجوس والثنوية والزرادشتية

المبحث الرابع: الصابئة

المبحث الخامس: البراهمة

المبحث السادس: جاحدو البعث والقائلون بالتناسخ

المبحث الأول

الفلاســـفـــة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعريف بالفلسفة وموضوعاتها وأقسامها وسماتها**

المطلب الثاني: **الفلاسفة عند الإمامين**

المبحث الأول

الفـلاسفــة

المطلب الأول:

التعريف بالفلسفة وموضوعاتها وأقسامها وسماتها

الملاحظ أن الفلسفة هي أهم الموضوعات التي تكلم عنها الشيخان (ابن الجوزي وابن الجوزية) في كتابيهما؛ ولعله ما من دين وضعي إلاَّ والفلسفة بابه كما سيتبين؛ ولهذا كان البدء بالتعريف بها، وتفصيل مذهب أهلها مقدماً على بقية الأديان:

المسألة الأولى: تعريف "الفلسفة" لغة واصطلاحاً[1]:

تعريف "الفلسفة" لغة:

من حيث الاشتقاق هي كلمة معرَّبة عن اليونانية، نشأ أصلها أول ما نشأ في بلاد اليونان، مركب من كلمتين هما:

1- فيلو أو فيلا، ومعناهما: المحبة، أو الإيثار.

2- سوفيس، أو سوفيا ومعناهما: الحكمة.

ومن خلال ما ذُكر يتبين أن الفلسفة باعتبار الوضع الأصلي يمكن أن تعرف بـ: "مَحبة الحكمة، أو إيثار الحكمة".

ويعرَّفُ الفيلسوف بأنه: مُحب الحكمة، أو الشخص المؤْثر للحكمة.

تعريف "الفلسفة" اصطلاحاً:

---

(1) انظر: المصطلح الفلسفي عند العرب، د/ عبد الأمير الأعسم، نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 2، 1997م، ص197، والمعجم الفلسفي، جميل صليبا، نشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت ط: 1، 1979م، ج2/ ص160 – 162، والمدخل إلى معاني الفلسفة، عرفان عبد الحميد، دار الجيل بيروت، دار عمار لبنان، ط: 1، 1409هـ، 11 – 74،

مر مصطلح "الفلسفة" بعدة أطوار، يختلف تعريفها باختلاف هذه الأطوار التي مر بها، وباختلاف الفلاسفة الذين وضعوا لها حدوداً وتعريفات، ولكن يُلحظ في مجملها أنها تُطلق على آراء محددة، ونظرات خاصة تجاه الكون والوحي والنبوات والإلهيات والأخلاق، ومنظومة الحياة عامة.

وهذه نماذج من عدة تعريفات للفلسفة:

1. عرفها الكندي[1] بقوله: «هي علم الأشياء بحقائقها بقدر طاقة الإنسان»[2]، نسب ذلك لإفلاطون[3].

2. وعرفها الفارابي[4] بأنها: «هي العلم الذي يعطي الموجودات معقولية ببراهين عقلية»[5].

---

(1) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الصباح، (ت 260هـ) أحد أبناء ملوك كندة، اشتهر بالطب والفلسفة والموسيقى والهندسة، نشأ في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، ضُرب زمن المتوكل وأُخذت كتبه لاتهامه في الدين، ثم رُدت إليه، وأصاب عند المأمون منزلة عظيمة. له من المؤلفات: "رسالة في الحدود"، "إلهيات أرسطو". لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط: 2، 1390هـ ، 1971م، ج6/ ص305، والأعلام، مرجع سابق: ج8/ ص195.

(2) انظر: المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقيه، د/ محمد الفيومي، دار الثقافة، مصر 1410هـ، ص124.

(3) هو أفلاطون، ويقال: فلاطن وأفلاطن بن أرسطون (429 – 348 ق.م)، من كبار فلاسفة اليونان، وهو تلميذ سقراط ومعلم أرسطو، وصفه ابن القيم بقوله: "كان معروفاً بالتوحيد". إغاثة اللهفان: ج2/ ص266، المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص55، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي، تحقيق: د/ نزار رضا، نشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، (بدون)، ص80.

(4) هو محمد بن محمد بن طرخان، أبو نصر الفارابي، (257 – 339هـ)، تركي الأصل، ولد في فاراب، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، يلقب بالمعلم الثاني لشرحه مؤلفات المعلم الأول "أرسطو". وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج4/ ص239، والبداية والنهاية ج15/ ص207، والأعلام ج7 / ص242 – 243.

(5) المدرسة الفلسفية في الإسلام، الفيومي، مرجع سابق، ص126.

3. وعرفها ابن سينا[1] بقوله: «استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعلمية على قدر الطاقة الإنسانية»[2].

4- يطلق علم الفلسفة على علم العقيدة عند الفلاسفة ومن سلك سبيلهم، وهو إطلاق لا يجوز في العقيدة لأن الفلسفة مبناها على الأوهام والعقليات الخيالية، والتصورات الخرافية عن أمور الغيب المحجوبة[3].

5- وعرفتها "الموسوعة الميسرة" بقولها: «هي النظر العقلي المتحرر من كل قيد وسلطة تفرض عليه من الخارج، بحيث يكون العقل حاكماً على الوحي والعرف، ونحو ذلك»[4].

من خلال ما سبق يتبين أن ركيزة الفلسفة الأساس هي العقل، حيث إنها تُعنى به وتقدمه في تصور الإلهيات وخفايا الكون والحياة، بل أصبح العقل عند الفلاسفة إلهاً في مصدر التلقي لفهم الكون وتسيير دفة الحياة من حيث التشريع!، ولهذا السبب عرفها بعضهم بأنها: "التشبه بأفعال الله حسب طاقة الإنسان"[5]!.

ثم صارت في عرف المتأخرين مصطلحاً يقصد به أتباع أرسطو[6]، وهم

---

(1) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، (370 – 428هـ) الفيلسوف والطبيب المشهور، الملقب بالرئيس، قال ابن القيم: وكان ابن سيناء كما أخبر عن نفسه، قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم. إغاثة اللهفان ح2/ ص266، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج1/ ص419، ولسان الميزان، ابن حجر، ج2/ ص291. الأعلام ج2/ ص241.

(2) المدرسة الفلسفية في الإسلام، الفيومي، مرجع سابق، ص125.

(3) الموسوعة العقدية، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ: عَلوي بن عبد القادر السقاف، نشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت "dorar.net".

(4) انظر الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ج2/ ص1109.

(5) انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، د/ آمال بنت عبد العزيز العمرو، ص28.

(6) هو أرسطو، ويقال أرسطاطاليس بن نيقوماخوس المقدوني، (322 – 384ق.م)، فيلسوف وطبيب، يعد أبرز تلامذة أفلاطون، ولقب بالمعلم الأول لأنه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل، قال ابن

المشاؤون[1] خاصة، الذين هذّب ابن سينا طريقتهم وبسطها، واشتهر بها. ومهما أطلقت الكلمة في العصور المتأخرة فالمقصود: الفلسفة التي يرجع أصلها لأرسطو.

قال ابن القيم: «وإن كان المعروف عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم: هم فلاسفة اليونان»، ثم حكي –في كلام طويل– انتقال النوبة من أرسطو لابن سينا، ثم إلى النصير الطوسي[2]، وقال عن هذا الأخير: «والفلسفة التي يقرؤها أتباع هؤلاء اليوم هي مأخوذة عنه وعن إمامه ابن سينا، وبعضها عن أبي نصر الفارابي، وشيء يسير منها من كلام أرسطو»[3].

أما في العصر الحديث فقد توسع الباحثون في إطلاقها، ولم يعد الاستعمال حكراً لعلماء الأديان، فقد جاء في المعجم الوسيط ما نصه: «واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما وراء الطبيعة»[4]، فزادوا علم الجمال!.

وقال ديكارت[5]: "لفظ الفلسفة هذا معناه: دراسة الحكمة وليس معنى الحكمة

القيم: «يعظمونه فوق ما يعظم به الأنبياء»، إغاثة اللهفان: ج2/ ص259، الملل والنحل، ج2/ ص119، المعجم الفلسفي د/ جميل صليبا ج2/ ص373.

(1) نسبة إلى رائدها أرسطو، وذلك أنه كان يعلِّم أتباعه وتلاميذه، ويلقي عليهم الدروس وهو يمشي. انظر المراجع السابقة.

(2) هو محمد بن محمد بن الحسن، أبو جعفر، نصير الدين الطوسي (597 – ت سنة 672هـ)، وزير هولاكو، له صلة بالإسماعيلية والفلاسفة. قال ابن القيم: "نصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب عز وجل، وقال عن إشارات إمام الملحدين ابن سينا: هي قرآن الخواص وذاك قرآن العوام وكان ساحراً يعبد الأصنام". إغاثة اللهفان: ج2/ ص268، فوات الوفيات للكتبي، ج3/ ص246، شذرات الذهب لابن العماد ج5/ ص339.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ 268.

(4) المعجم الوسيط ج2/ ص700.

(5) هو رينيه ديكارت، (1596 –1650م) فيلسوف ورياضي وفيزيائي فرنسي، يعرف بأنه أبو الفلسفة الحديثة، وتعرف فلسفته بالديكارْتيَّة. له ن المؤلفات: "مقال عن المنهج"، و"تأملات في الفلسفة الأولى"، "رسالة في منهج التَّصرُّف العقلي السليم"، "مبادئ الفلسفة". انظر: الموسوعة العربية العالمية، مرجع سابق، ج10/

قاصراً على الحيطة والتبصر في الأمور، بل تفيد أيضاً معرفة كاملة لجميع الأشياء التي يستطيع الإنسان معرفتها: إما لهداية حياته، أو للمحافظة على صحته، أو لاختراع جميع الفنون"[1].

المسألة الثانية: موضوعات الفلسفة وأقسامها

قال الغزالي: «اعلم أنهم –على كثرة فرقهم، واختلاف مذاهبهم– ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الدهريون: جحدوا الصانع المدبر..

والطبيعيون: زنادقة، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته..

والإلهيون: علومهم ستة أقسام: رياضية، ومنطقية، وطبيعية، وإلهية، وسياسية، وخلقية»[2].

ويقول الأستاذ "أندريه كرسن"[3]: «إن الفلسفة بمعناها الخاص قد دارت، ولا تزال تدور حول طائفتين أساسيتين من المسائل:

(1) المسائل النظرية، "الميتافيزيقية" (ما وراء الطبيعة):

– ما الكائن؟..

– ما أصله؟..

.573 ، 572

(1) مبادئ الفلسفة، رينيه ديكارت، ترجمة د/ عثمان أمين، نشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، (بدون) ص13.

(2) المنقذ من الضلال أبو حامد الغزالي، نشر: دار الكتب الحديثة، مصر (ص128 – 138) –باختصار–.

(3) هو أندريه كرسن، فيلسوف فرنسي، لم أجد له ترجمة غير أن الإمام الأكبر (عبد الحليم محمود) ترجم له – بالاشتراك مع الاستاذ أبو بكر ذِكري– كتاباً بعنوان: "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة"، يدل على تعمقه في هذا الباب، ولم يترجما له، ولعله أحد رواد جامعة باريس التي تخرج فيها الإمام وقد طبع كتابه بمطابع الشعب بالقاهرة سنة 1399هـ – 1979م.

- ما المصير الذي ينتظره هو وما تفرع منه؟..

أفي طوق عقل الإنسان أن يضع حلولاً لهذه المسائل، أم أن ذلك في حكم المستحيل؟.

(2) المسائل العلمية، التي تتوقف عليها الأخلاق أو تستمد هي من الأخلاق:

- كيف يجب أن يكون مسلكناً في الحياة؟..
- كيف نربي الناشئين تربية حسنة؟..
- ماذا يجب لقيادة الدولة حتى تسير على النهج المستقيم؟»[1].

ويقول الدكتور عبد الحليم محمود[2] في تقسيم جامع يوضح ما سبق: «تختلف الفلسفة بحسب موضوعاتها ويمكن أن تقسم كما يلي:

أ. الفلسفة الحسية: وهي تتحصل بالحواس وموضوعها عالم الطبيعة، ومنها العلوم الرياضية، والعلوم الطبيعية.

ب . الفلسفة النظرية العقلية: وهي تتم بالاستدلال البرهاني، أو النظر الاستنباطي. وتسمى هذه الفلسفة أو المدرسة: الفلسفة المشائية.

3. الفلسفة الإشراقية: وتسمى المشرقية، من الإشراق - أي إشراق النفس واستعدادها، وهذه تنال بالحدس، والإلهام، وموضوعها العلوم الإلهية»[3].

---

(1) مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ع5/ ص130 - 131 مقال بعنوان "الفلسفة" (بتصرف).

(2) هو عبد الحليم محمود (1910 - 1978م)، الإمام الأكبر، وشيخ الأزهر من سنة 1973م حتى وفاته، ولد ببلبيس وتوفي بالقاهرة في مصر. له من المؤلفات: "فتاوى الإمام عبد الحليم محمود"، موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة، "إمام السائرين، الحارث المحاسبي"، وغيرها انظر موقع الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، http://abdel-halim.org.

(3) مجلة البحوث الإسلامية، مرجع سابق، ع5/ ص135 - 141، ومقاله هذا تهذيب من تقدمته لكتاب "المشكلة الأخلاقية والفلاسفة" لأندريه كرسن، ص8 - 31.

والملاحظ أن موضوع الفلسفة في جانبها العقلي والنفسي هو نفسه موضوع الدين، حسب التعريف الذي سبق لمفهوم كلمة "دين" في الفصل الأول، والذي يشير إلى أنه "منهج الحياة" في: التصورات والعقائد والشرائع والعبادات والأخلاق، بل ومن الفلاسفة –كالفارابي– يصرح بأن الفلسفة على الحقيقة إنما معناها وثمرتها، والغرض المقصود من تعلُّمها ليس شيئاً غير إصلاح النفس[1]، وهذا بالطبع هو نفسه غاية الرسالات السماوية، وقد كان شعار الأنبياء جميعاً: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾[2]، وقال تعالى في حق الرسالة المحمدية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

فقط الفرق هو أن الفلسفة حاولت أن تصل لحقيقة الكون، ومن وراءه، وأصل الإنسان وما يصلحه عن طريق العقل، أما الرسالات فقد أجابت عن هذه الأسئلة عن طريق الوحي.

المسألة الثالثة: سمات الفلسفة

لما كانت الرسالات تبني الحياة على تصورات وأعراف من تشريعات وأخلاق مستمدة من الوحي المعصوم، وهو قطعاً لم يأت بما تحيله العقول، وإن جاء بما تحار فيه العقول، وكانت الفلسفة تستمد نفس الأمر من العقل المجرد الذي يخطئ ويصيب، كانت النتيجة أن نشأت خصومة بين علماء الشريعة وبين المنتسبين للفلسفة بمعناها الوضعي، وإنما فقط يُلحظ قبول علماء الدين للفلسفة في جانب العلوم المادية: مثل الطبيعة، والكيمياء والفلك، وبقيت معارضتهم لها في جانب الإلهيات والأعراف الشرعية.

---

(1) انظر المدرسة الفلسفية في الإسلام، محمد الفيومي، دار الثقافة، مصر 1410هـ، ص 75، و141، و151 ، 152.

(2) سورة هود، آية: 88.

(3) سورة الجمعة، آية: 2.

والفلسفة في مجالها الرئيس، أو على حد تعبير أندريه كرسن السابق (معناها الخاص)، أي في جانب الإلهيات، تتسم بسمات تبين تهالكها وضعف بنيتها، طالما كان الحَكَم هو العقول المتفاوته بتفاوت البشر عدداً وتركيبة ووجداناً ومعرفة وقصوراً، ومن ذلك[1] أنه:

لا مقياس لها للتفرقة بين الحق والضلال، وبين الصواب والخطأ، فإذا اختلف فيلسوفان في أمر من أمور الفلسفة فإنهما لا يجدان مقياساً عقلياً بحتاً يرجعان إليه للحسم بينهما..

وتظل نظرياتها ظنية وإن عجنت بمنطق أرسطو، أو خبزت بمنهج ديكارت..

وسيستمر اختلاف الآراء فيها إلى الأبد..

ويختلف أهلها حتى في المدرسة الواحدة، بل إن الأمر يصل بالشخص الواحد إلى أن يختلف مع نفسه بحسب تطور حياته، أو اختلاف بيئته، أو اختلاف ما يقرأ من مصادر ثقافته، وكل فيلسوف يأتي يهدم آراء سابقيه ولا يعترف بوصول أحدهم للحق، ولو لم يكن الأمر كذلك لأخذ بآرائهم، واكتفى بما أخبروه، أو بما أنشأه أحدهم من قبل، وشاهد ذلك أن المسائل التي هي موضوع الفلسفة تستمر هي المواضيع نفسها، ولم تتغير على مدى سبعة وعشرين قرناً تقريباً مثار بحث وجدل، ولم يصل الفلاسفة في واحدة منها إلى اليقين، ولم توضع واحدة منها موضع الاتفاق، مما خلق انطباعاً لدى العقلاء أن الفلسفة لا رأي لها، حتى قال ابن تيمية: «أنك تجدهم أعظم الناس شكاً واضطراباً، وأضعف الناس علماً ويقيناً، وهذا أمر يجدونه في أنفسهم، ويشهده الناس منهم... وإنما فضيلة أحدهم باقتداره على الاعتراض والقدح والجدل، ومن المعلوم: أن الاعتراض والقدح ليس بعلم، ولا فيه منفعة، وأحسن أحوال صاحبه أن يكون بمنزلة العامي، وإنما العلم في جواب السؤال؛ ولهذا تجد غالب حججهم

---

(1) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، ع5/ ص135 – 141، مرجع سابق. وبعض السمات المذكورة سيأتي ذكرها في قول ابن القيم في المطلب الآتي.

تتكافأ، إذ كل منهم يقدح في أدلة الآخر »[1].

المطلب الثاني

الفلاسفة عند الشيخين

البداية بذكر عناوين ما تناوله كل من الشيخين حول الموضوع، يعقبه التفصيل فيما تناولاه مع المقارنة بين كلاميهما تحت نقاط مستخلصة من مجموع ما ذكراه.

تناول ابن الجوزي الفلسفة والفلاسفة تحت عنوان: "ذكر تلبيسه على الفلاسفة وتابعيهم"[2] وذلك في عدة أمور، استقرأ الباحث عناوينها مفرقة –بغير ترتيب المؤلف– كالتالي:

– طوائفهم أو مقالاتهم والرد عليها:

– موقفهم من الإلهيات (الإيمان بالله وصفاته)..

– السمعيات (البعث)..

– فلاسفة المسلمين، وتناول فيهم حيرة المنتسبين للإسلام منهم وأثر الفلسفة عليهم.

أما ابن القيم فقد تناول الموضوع ضمن الحديث عن معطلة الدهرية بغير عنوان مستقل[3]، وتناوله –في الجملة– أوسع من تناول ابن الجوزي، وأكثر ترتيباً، وهذه رؤوس مواضيع ابن القيم الرئيسة:

– تعريف الفلسفة والفلاسفة..

– فرق الفلاسفة

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، مرجع سابق، ج4/ ص27.

(2) تلبيس إبليس: ص43.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص256.

- الإلهيات، (الإيمان بالله)..
- النبوات (الرسل عند الفلاسفة)..
- السمعيات (الملائكة، الكتب السماوية، اليوم الآخر)..

وفيما يلي بسط كلام الشيخين والتعليق عليه ببيان موضع اتفاقهما، وما زاد كلٌ منهما على الآخر، مرتباً الكلام فيه حسب ما أراه متماشياً مع السياق المنطقي لتوضيح الرؤية في شأن حقيقة الفلسفة والفلاسفة عندهما، وذلك تحت المسائل التالية:

- تعريف الفلسفة والفلاسفة..
- فرق الفلاسفة..
- موقف الفلاسفة في الإلهيات..
- موقف الفلاسفة من النبوات..
- موقف الفلاسفة من السمعيات..
- حال الفلاسفة المنتسبين للإسلام
- بعض الفلاسفة الذين انفرد ابن القيم بالحديث عنهم.

وهذا تفصيلها:

المسألة الأولى: تعريف الفلسفة والفلاسفة عند الشيخين

الفلسفة عرفها ابن القيم من حيث الاشتقاق والتركيب، ومن حيث العرف في اصطلاح المتأخرين فقال: «الفلسفة من حيث هي لا تعطي ذلك، فإن معناها محبة الحكمة، والفيلسوف أصله "فيلاسوفا"، أي محبة الحكمة فـ "فيلا" هي المحب، و"سوفا" هي الحكمة.

والحكمة نوعان: قولية وفعلية، فالقولية قول الحق، والفعلية فعل الصواب. وكل طائفة من الطوائف لهم حكمة يتقيدون بها.

والمقصود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يُحب الحكمة ويؤثرها»[1].

وفي تعريف الفلسفة في عرف المتأخرين قال: «صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلا لما يقتضيه العقل في زعمه»[2].

ويقصد بمن خرج عن الديانات: أرسطو وأتباعه.

قال ابن القيم: «وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لاتباع أرسطو، وهم المشاؤون خاصة وهم الذين هذَّب ابن سينا طريقتهم وبسطها وقررها وهي التي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين»[3].

ويرى الشيخ أن النصير الطوسى هو منتهى هذه الطائفة في زمانه، فقال:

«والفلسفة التي يقرؤها أتباع هؤلاء اليوم هي مأخوذة عنه وعن إمامه ابن سينا، وبعضها عن أبي نصر الفارابي، وشيء يسير منها من كلام أرسطو»[4].

ومذهبه ومذهب من ذكرهم يأتي في النقاط التي يأتي ذكرها لاحقاً.

وهل كانت أمة مستقلة بكتاب؟.

قال ابن القيم: «لم يكن هؤلاء الفلاسفة ولا الصابئة من الأمم المستقلة التي لها كتاب ونبي وإن كانوا من أهل دعوة الرسل، فما من أمة إلاَّ وقد أقام الله سبحانه عليها حجته وقطع عنها حجتها؛ لئَلاّ يكُونَ لِلنَّاسِ ﴿ **لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ**

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص257

(2) المرجع السابق، الموضع السابق نفسه.

(3) المرجع السابق، والموضع السابق نفسه.

(4) المرجع السابق: ج2/ 252.

﴿ٱلرُّسُلِ﴾»[1].

والمقصود: أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم:

فالحنفاء منهم شاركوا أهل الاسلام في الحنيفية..

والمشركون منهم شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب وأكثر هذه الأمة فلاسفة.

والفلاسفة يأخذون من كل دين بزعمهم محاسن ما دلت عليه العقول، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم، وبعضهم لا يوجب ذلك ولا يحرمه، وسفهاؤهم وسفلتهم يمنعون ذلك»[2].

هذا تعريف الفلسفة عند ابن القيم.

والملاحظ أن تعريفه لها مأخوذ أصله من كلام أبي يعقوب الكندي، وقد سبق في المبحث السابق.

أما ابن الجوزي فرغم أنه لم يُعرِّف الفلسفة صراحة –كما فعل ابن القيم– إلاَّ أنه أشار إلى ما يمكن أن يعرف بها أهلها، وهو أنها إعمال العقل لمعرفة الغيبيات، واعتماد أهلها على العقل في أمور لا تدرك بالعقل، وظنهم أن الذكاء وحده يكفي لمعرفة تفاصيل أمور الإلهيات، وهذه نصوصه في ذلك:

قال ابن الجوزي: «إنما تمكن إبليس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم وتكلموا بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء»[3].

وقال أيضاً في نفس السياق، متحدثاً عن سبب ضلال الفلاسفة الأول: «وهؤلاء

---

(1) سورة النساء، آية: 165.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص252.

(3) تلبيس إبليس: ص 43.

كانت لهم علوم هندسية ومنطقية وطبيعية، واستخرجوا بفطنهم أموراً خفية إلاَّ أنهم لما تكلموا في الإلهيات خلطوا؛ ولذلك اختلفوا فيها ولم يختلفوا في الحسيات والهندسيات، وقد ذكرنا جنس تخليطهم في معتقداتهم. وسبب تخليطهم أن قوى البشر لا تدرك العلوم إلَّا جملة والرجوع فيها إلى الشرائع»[1].

وذكر ابن الجوزي في سبب ضلال فلاسفة المسلمين خصوصاً سببين، يساعدان في مفهوم "الفلسفة" عنده:

الأول: هو نفس سبب ضلال أسلافهم، وهو الاكتفاء بالعقل دون الاهتداء بالوحي..

والثاني: هو الإعجاب والتقليد للأسلاف.

قال ابن الجوزي: «وقد لبس إبليس على أقوام من أهل ملتنا، فدخل عليهم من باب قوة ذكائهم وفطنتهم، فأراهم أن الصواب اتباع الفلاسفة لكونهم حكماء قد صدرت منهم أفعال وأقوال دلت على نهاية الذكاء وكمال الفطنة، كما ينقل من حكمة: سقراط[2]، وأبقراط[3]، وأفلاطون، وأرسطاطاليس، وجالينوس[4]»[1].

---

(1) تلبيس إبليس: ص 46.

(2) هو سقراط، (469 . 399 ق.م). فيلسوف وطبيب، يلقب بأبي الطب، أحد تلامذة فيثاغورس، قال ابن القيم: «كان من عبادهم ومتألهيهم وجاهرهم بمخالفتهم في عبادة الأصنام، فثار عليه العامة واضطروا الملك إلى قتله، فأودعه السجن، فسقاه السم بعد مناظرات طويلة جرت له معهم»: إغاثة اللهفان، وانظر الموسوعة العربية العالمية ج12/ ص347 ، 348.

(3) هو أبقراط بن أيراقليدس بن أبقراط بن غنوسيديقوس بن نبروس بن سوسطراطس بن ثاوذروس بن قلاوموطاداس بن قريساميس الملك (460 – 380 ق.م)، فيلسوف وطبيب، يلقب بأبي الطب، عاش خمساً وتسعين سنة، تتلمذ في الطب على أبيه وأسقليمبيوس، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص 43 – 45، الموسوعة العربية العالمية، ج1/ ص95 ، 96.

(4) هو جالينوس (129 – 210م تقريباً)، طبيب له اسهامات في علم التشريح، وكذلك في وظائف الأعضاء. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص109، والموسوعة العربية العالمية، ج8/ ص137 ، 138.

قال: «وقد حُكى لهؤلاء المتأخرين في أمتنا أن أولئك الحكماء كانوا ينكرون الصانع ويدفعون الشرائع ويعتقدونها نواميس وحيلاً؛ فصدقوا فيما حُكي لهم عنهم، ورفضوا شعار الدين، وأهملوا الصلوات، ولابسوا المحذورات، واستهانوا بحدود الشرع، وخلعوا ربقة الإسلام»[2].

وقال أيضاً في سياق التقليد في موضع آخر: «ولما كانت الفلاسفة قريباً من زمان شريعتنا والرهبنة كذلك مد بعض أهل ملتنا يده إلى التمسك بهذه، وبعضهم مد يده إلى التمسك بهذه، فترى كثيراً من الحمقى إذا نظروا في باب الاعتقاد تفلسفوا، وإذا نظروا في باب التزهد ترهبنوا! فنسأل الله ثباتاً على ملتنا، وسلامة من عدونا»[3].

كما أنه أشار إلى العلاقة بين الفلسفة والسفسطة[4].

ومن خلال التعريف السابق للفلسفة –من حيث تركيبها الأصلي غير المعني العرفي وكونها "الحكمة"–، يرى الشيخان أن الأنبياء كانوا حكماء، وكأنهما يشيران إلى إمكانية إطلاق مسمى "فلاسفة" عليهم من هذه الناحية، وحسب التعريف المشار إليه.

قال ابن الجوزي وهو يرد على بعض المنتسبين للإسلام الذين فضلوا آراء الفلاسفة الأول على الوحي: «أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة؟»[5].

ومثله قال ابن القيم يصف الأنبياء والقرآن بالحكمة: «وأصح الطوائف حكمة من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاءوا بها عن الله تعالى، قال تعالى عن

---

(1) تلبيس إبليس: ص46.

(2) المرجع السابق، الموضع السابق.

(3) المرجع السابق، ص 47.

(4) المرجع السابق، ص: 39.

(5) المرجع السابق، ص 46.

نبيه داود عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[1]، وقال عن المسيح عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾[2]، وقال عن يحيى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[3]، والحكم هو الحكمة، وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[4] وقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[5]، وقال لأهل بيت رسوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾[6].

فالحكمة التي جاءت بها الرسل هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع والعمل الصالح للهدى ودين الحق لإصابة الحق، اعتقاداً وقولاً وعملاً، وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله، وجمعها لمحمد ﷺ، كما جمع له من المحاسن ما فرقه في الأنبياء قبله، وجمع في كتابه من العلوم والأعمال ما فرقه في الكتب قبله، فلو جمعت كل حكمة صحيحة في العالم من كل طائفة لكانت في الحكمة التي أوتيها صلوات الله وسلامه عليه جزءاً يسيراً جداً لا يدرك البشر نسبته»[7].

المسألة الثانية: فِرق الفلاسفة عند الشيخين

لم يعدد ابن الجوزي فرقاً للفلاسفة بطريقة نمطية في كتابه، بخلاف ابن القيم الذي قال مشيراً إلى تعدادها: «وهم فرق شتى لا يحصيهم إلاَّ الله عز وجل، وأحصى

---

(1) سورة ص، آية: 20.

(2) سورة آل عمران، آية: 48.

(3) سورة مريم، آية: 12.

(4) سورة النساء، آية: 113

(5) سورة البقرة، آية: 269.

(6) الأحزاب، آية: 34

(7) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 257.

المعتنون بمقالات الناس منهم اثنتي عشرة، فرقة كل فرقة منها مختلفة اختلافاً كثيراً عن الأخرى، فمنهم:

أصحاب الرواق وأصحاب الظلة[1]، والمشاؤون، وهم شيعة أرسطو، وفلسفتهم هي الدائرة اليوم بين الناس، وهي التي يحكيها ابن سينا والفارابي وابن خطيب الري وغيرهم.

ومنهم الفيثاغورية، والأفلاطونية[2].

ولا تكاد تجد منهم اثنين متفقين على رأي واحد، بل قد تلاعب بهم الشيطان كتلاعب الصبيان بالكرة، ومقالاتهم أكثر من أن نذكرها على التفصيل.

وبالجملة: فملاحدتهم هم أهل التعطيل المحض فإنهم عطلوا الشرائع، وعطلوا المصنوع عن الصانع، وعطلوا الصانع عن صفات كماله، وعطلوا العالم عن الحق الذي خلق له وبه، فعطلوه عن مبدئه ومعاده، وعن فاعله وغايته»[3].

وأما مقالاتها، فقال ابن القيم عن جملتها: «ومذاهبهم وآراؤهم كثيرة جداً قد حكاها أصحاب المقالات، كالأشعري[4] في مقالاته الكبيرة، وأبي عيسى الوراق، والحسن بن

---

(1) أصحاب الرواق والظلة هم أهل المظال في مقابل المشائين. الملل والنحل ج2/ ص160.

(2) الفيثاغورية نسبة لفيثاغورث، وسيأتي التعريف به وبمذهبه، والأفلاطونية نسبة لإفلاون، وقد تقدم التعريف به.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 268.

(4) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، (260 – 324هـ)، إمام المتكلمين، نشأ على الاعتزال ثم تبرأ منه. قال الفقيه أبو بكر الصيرفي: «كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى نشأ الأشعري فحجرهم في أقماع السمسم». له من المؤلفات: "مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلِّين"، "الإبانة في أصول الديانة"، و"رسالة إلى أهل الثغر" وغيرها. "تبيين كذب المفتري"، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 3، 1404هـ، ص 34 – 146، سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج15 ص85، البداية والنهاية، ج11/ ص199.

موسى النوبختي، وأبو الوليد بن رشد[1] يحكي مذهب أرسطو غير ما حكاه ابن سينا، ويغلطه في كثير من المواضع، وكذلك أبو البركات البغدادي[2] يحكي نفس كلامه على غير ما يحكيه ابن سينا.

والفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم بل هم موجودون في سائر الأمم»[3].

وبالنسبة المنتسبين منهم للإسلام:

قال ابن الجوزي عن أثر المنتسبين للإسلام منهم: «وقد رأينا من المتفلسفة من أمتنا جماعة لم يكسبهم التفلسف إلاَّ التحير! فلا هم يعملون بمقتضاه، ولا بمقتضى الإسلام؛ بل فيهم من يصوم رمضان ويصلي ثم يأخذ في الاعتراض على الخالق، وعلى النبوات، ويتكلم في إنكار بعث الأجساد ... والاعتراض على المقدَّر؛ حتى قال لي بعضهم: أنا لا أخاصم إلاَّ من فوق الفلك!»[4].

وفي فلاسفة المسلمين ومقارنتهم بأهل الكتاب ومشركي العرب:

قال ابن الجوزي في مقارنتهم بأهل الكتاب: «فاليهود والنصارى أعذر منهم لكونهم متمسكين بشرائع دلت عليها معجزات»[5].

---

(1) هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (الحفيد)، أبو الوليد (520 – 595)، فقيه مالكي وفيلسوف طبيب، من قرطبة الأندلس عني بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية وزاد عليه زيادات كثيرة. اتهم بالزندقة والإلحاد فنفي إلى مراكش، وأحرقت بعض كتبه، ومات بمراكش ودفن بقرطبة. له من المؤلفات: "تهافت التهافت"، و"الكليات" في الطب، و"بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، و"مناهج الأدلة". سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج21/ ص307، الأعلام، الزركلي ج5/ ص218.

(2) أبو البركات: هبة الله بن ملكا، (480 – 560هـ)، الفيلسوف والطبيب. كان يهودياً ثم أسلم، وحسن إسلامه، وخدم الملوك والخلفاء بصناعته، وخدم العامة بحسن تدبيره، له من المؤلفات: "المعتبر في الحكمة". و"النفس". عيون الأنباء، أبو العباس ابن أبي أصيبعة ص374 –376 وفيات الأعيان، ابن خلكان ج6/ ص74 – 77.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 263.

(4) تلبيس إبليس: ص:46 ، 47.

(5) تلبيس إبليس: ص 46.

وقال ابن القيم في مقارنتهم بمشركي العرب: «وخيار ما عند هؤلاء فالذي عند مشركي العرب من كفار قريش وغيرهم أهون منه؛ فإنهم يدأبون حتى يثبتوا واجب الوجود، ومع إثباتهم له فهو عندهم وجود مطلق لا صفة له، ولا نعت، ولا فعل يقوم به. لم يخلق السموات والأرض بعد عدمها، ولا له قدرة على فعل، ولا يعلم شيئاً. وعباد الأصنام كانوا يثبتون رباً خالقاً مبدعاً عالماً قادراً حياً، ويشركون به في العبادة، فنهاية أمر هؤلاء الوصول إلى شيء برز عليهم فيه عُباد الأصنام»[1].

المسألة الثالثة: مقالات الفلاسفة عند الإمامين والرد عليها

الفرع الأول: موقف الفلاسفة في الإلهيات

اصطلح المتكلمون –ولا مشاحة في الاصطلاح– على تقسيم مسائل العقيدة على ثلاثة أبواب[2]: إلهيات، ونبوات، وسمعيات، ويمكن حصر أركان الإيمان الستة[3] في الإسلام تحت هذه المسائل!.

فالمقصود بالإلهيات: التوحيد والكلام في الإله من حيث ما يستحقه ويجب له.

والمقصود بالنبوات: الكلام عن الرسل والأنبياء وما يجب عليهم، وما يجوز في حقهم ويستحيل وما يجب على أتباعهم، وما يتبع ذلك كخوارق العادات.

والمقصود بالسمعيات" أمور الغيب، كأشراط الساعة وتفاصيل البعث، ويمكن أن يدخل فيها: الملائكة والقدر.

وقد تناول الإمامان مذهب الفلاسفة في الإلهيات على النحو التالي:

1– وجود الصانع.

يُلاحظ من خلال عرض ابن الجوزي لأقوالهم في "مسألة الصانع" أن القوم على

---

(1) إغاثة اللهفان: ج/2 ص 268.

(2) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ج6/ ص246، الموسوعة العقدية، مرجع إلكتروني سابق.

(3) تقدم ذكرها في مبحث التعريف بالإسلام في الفصل الأول.

اضطراب شديد عجزوا معه على التوافق على تصور واحد ثابت المعالم والدلالة في تصور الصانع، فهم ما بين إنكار للصانع صراحة من قلة تبعوا الدهرية[1]، وبين جمهور يثبت الصانع بتصورات خاطئة، مآلها الإنكار أيضاً عند ابن الجوزي خاصة كما سنرى..

أما ابن القيم فقد شدَّد على أن المتقدمين من الفلاسفة يقرون بالصانع غير أرسطو.

وهذه جملة أقوالهم:

منهم من قال لا صانع للعالم[2] صراحة.

ومنهم من قال بقدم العالم، ولكنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له، ومساوياً غير متأخر عنه بالزمان[3].. نسبه النهاوندي إلى أرسطاطاليس وأصحابه.

قال ابن الجوزي: «وقد ستروا مذهبهم بأن قالوا: الله عز وجل صانع العالم. وهذا تجوُّز عندهم لا حقيقة؛ لأن الفاعل مريد لما يفعله، وعندهم أن العالم ظهر ضرورياً لا أن الله فعله»[4].

ومنهم من قال هو الفعال، وهو قول لسقراط، وعنده أن أصول الأشياء ثلاثة: علة فاعلة، والعنصر، والصورة، قال: والله تعالى هو الفعال[5]، والعنصر هو الموضوع الأول للكون، والفساد والصورة جوهر للجسم.

---

(1) تلبيس إبليس: ص 43، والدهرية سيأتي الحديث عنهم في المبحث الثاني.

(2) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(3) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(4) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(5) وفي نسخة هو العقل.

وقال آخر منهم: الله هو العلة الفاعلة والعنصر المنفعل[1]..

وقال آخر منهم: العقل رتب الأشياء هذا الترتيب[2]..

وقال غيره: بل الطبيعة فعلته[3]..

وقد كانت درجات إنكار طوائفهم للصانع على ثلاث طرق بحسب ابن الجوزي:

الأولى زعمت أنه فنى بعد خلقه العالم، والثانية ذهبت إلى أن العالم انفصل من ذاته وصار هو ضعيفاً، والثالثة على أنه تفرق في الكون بعد خلقه له!.

وهذا قول الشيخ: «واختلف هؤلاء في عدم الصانع المدبر على ثلاث فرق:

– فرقة عزمت أنه لما أكمل العالم استحسنه؛ فخشي أن يزيد فيه أو ينقص منه فيفسد، فأهلك نفسه، وخلا منه العالم، وبقيت الأحكام تجري بين حيواناته ومصنوعاته على ما اتفق!

– وقالت الفرقة الثانية: بل ظهر في ذات الباري تولول، فلم يزل تنجذب قوته ونوره حتى صارت القوة والنور في ذلك التولول، وهو العالم وساء نور الباري وكان الباقي منه سِنَّوْر!. وزعموا أنه سيجذب النور من العالم إليه حتى يعود كما كان، ولضعفه عن مخلوقاته أهمل أمرهم فشاع الجور.

– وقالت الفرقة الثالثة: بل الباري لما أتقن العالم تفرقت أجزاؤه فيه، فكل قوته في العالم فهي من جوهر اللاهوتية!»[4].

وقد رد ابن الجوزي علي مقالات المنكرين منهم للصانع بالآتي:

رد ابن الجوزي أولاً مقالة أرسطاطاليس في قول بقدم العالم، وكونه لم يزل موجوداً

---

(1) تلبيس إبليس: ص44.

(2) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(3) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(4) المرجع السابق، الموضع نفسه.

مع الله تعالى ومعلولاً له، ومساوياً، فقال: «يقال لهم: لم أنكرتم أن يكون العالم حادثاً بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه؟..

فإن قالوا: فهذا يوجب أن يكون بين وجود الباري وبين المخلوقات زمان..

قلنا: الزمان مخلوق، وليس قبل الزمان زمان..

ثم يقال لهم: كان الحق سبحانه قادراً على أن يجعل سمك الفلك الأعلى أكثر مما هو بذراع أو أقل مما هو بذراع..

فإن قالوا: لا يمكن فهو تعجيز، ولأن ما لا يمكن أن يكون أكبر منه ولا أصغر فوجوده على ما هو عليه واجب لا ممكن والواجب يستغني عن علة»[1].

ثم رد على مقولة جالينوس فقال: «وقد قال جالينوس: لو كانت الشمس مثلاً تقبل الانعدام لظهر فيها ذبول في هذه المدة الطويلة.

فيقال له:

قد يفسد الشيء بنفسه بغتة لا بالذبول..

ثم من أين له أنها لا تذبل؟ فإنها عندهم بمقدار الأرض مائة وسبعين مرة أو نحو ذلك! فلو نقص منها مقدار جبل لم يبنْ ذلك للحس..

ثم نحن نعلم أن الذهب والياقوت يقبلان الفساد وقد يبقيان سنين، ولا يحس نقصانهما، وإنما الإيجاد والإعدام بإرادة القادر، والقادر لا يتغير في نفسه، ولا تحدث له صفة؛ وإنما يتغير الفعل بإرادة قديمة»[2].

وكذلك تكلم ابن الجوزي عن صفة العلم عند هؤلاء، وإنكارهم علم الله تعالى فذكر عنهم قولين:

---

(1) تلبيس إبليس: ص 43.

(2) المرجع السابق، ص 44.

قول جمهورهم، وهو أنه تعالى يعلم نفسه فقط[1]!.

وقول ابن سينا، وهو أنه يعلم نفسه ويعلم الكليات دون الجزئيات[2].

ثم رد على الجمهور بقوله: «وقد ثبت أن المخلوق يعلم نفسه ويعلم خالقه، فقد زادت مرتبة المخلوق على رتبة الخالق، وهذا أظهر فضيحة من أن يتكلم عليه، فانظر إلى ما زينه إبليس لهؤلاء الحمقاء مع ادعائهم كمال العقل»[3].

ورد على ابن سينا بقوله: «وتلقف هذا المذهب منهم المعتزلة، وذهبوا إلى أن علم الله وقدرته هو ذاته؛ فراراً من أن يثبتوا قديمين»[4].

ثم رد على المعتزلة بقول: وجوابهم أن يقال: «إنما هو قديم موجودٌ واحدٌ موصوفٌ بصفات الكمال، وكأنهم استكثروا المعلومات[5]، فالحمد لله الذي جعلنا ممن ينفي عن الله الجهل والنقص ونؤمن بقوله: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** ﴾[6]، وقوله: ﴿ **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا** ﴾[7]»[8].

أما عقيدة الفلاسفة الأول في مسألة وجود الصانع عند ابن القيم، في أن القوم يقرون كلهم بالصانع دون أرسطو، ويثبتون له صفات والأفعال.

فبالنسبة لإقرارهم بالصانع يرى أن من ينسب إليهم عدم إقرارهم بالصانع أكثرهم

---

(1) تلبيس إبليس: ص 45.

(2) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(3) المرجع السابق،،الموضع نفسه.

(4) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(5) يعني استحالة علم الله بمعلومات كثيرة!.

(6) سورة الملك، آية: 14.

(7) سورة الأنعام، آية: 6.

(8) تلبيس إبليس: ص45.

المتطفلون من جهلة النقلة، فقال: «وهؤلاء فرقة شاذة من فرق الفلاسفة ومقالتهم واحدة من مقالات القوم حتى قيل إنه ليس فيهم من يقول بقدم الأفلاك غير أرسطو وشيعته فهو أول من عرف أنه قال بقدم هذا العالم، والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع ومباينته للعالم كما حكاه عنهم أعلم الناس في زمانه بمقالاتهم أبو الوليد بن رشد في كتابه "مناهج الأدلة"»[1].

وبالنسبة لإيمان القوم بصفات الصانع قال ابن القيم: «وكذلك الأساطين منهم[2] متفقون على إثبات الصفات والأفعال وحدوث العالم وقيام الأفعال الاختيارية بذاته سبحانه، كما ذكره فيلسوف الإسلام في وقته أبو البركات البغدادي وقرره غاية التقرير، وقال: لا يستقيم كون الرب سبحانه رب العالمين إلاَّ بذلك، وأن نفي هذه المسألة ينفي ربوبيته، قال: والإجلال من هذا الإجلال والتنزيه من هذا التنزيه أولى»[3].

وقد رد ابن القيم علي مقالات المنكرين منهم للصانع بالآتي:

أرسطو وعقيدته:

فبالنسبة لأرسطو حكي عنه ابن القيم العقائد التالية[4]:

- أول من عرف عنه القول بقدم هذا العالم.
- وله في الإلهيات كلام كله خطأ من أوله إلى آخره، وهذا بعد إنكاره الصانع.
- عبادة الأصنام.
- إنكار علم الله، بحجة أنه لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته ولم يكن كاملاً في نفسه، وبأنه كان يلحقه التعب والكلال من تصور المعلومات.

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 258.

(2) يعني الفلاسفة الأول قبل أرسطو.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 258.

(4) المرجع السابق، ج2/ ص 259.

– الكفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ونلاحظ أنه ذكر مذهب أرسطو بأوسع مما ذكر ابن الجوزي، ولكنه مع ذلك اكتفي برد مقالاته بالإحالة على كتابين[1]، هما: "مناهج الأدلة" لأبي الوليد ابن رشد، وكتاب "التعبير" لأبي البركات البغدادي، بخلاف ما فعل ابن الجوزي الذي رد باقتضاب على أتباع أرسطو في مسألة وجود الصانع بنفسه.

الفارابي وعقيدته:

أجمل ابن القيم عقيدة الفارابي في قوله: «وكان على طريقة سلفه من الكفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»[2].

والفارابي لم يذكره ابن الجوزي.

ابن سينا وعقيدته:

وحكي عنه العقائد التالية[3]:

– هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق.

– إنكار الصفات الثبوتية والفعلية وصفة العلم والكلام مطلقاً.

ثم وصفه بقوله: «الرجل معطل مشرك، جاحد للنبوات والمعاد، لا مبدأ عنده ولا معاد ولا رسول ولا كتاب»[4].

وأجمل ابن القيم الرد على ابن سينا بقوله: «ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له وإنما غايته ان يفرضه الذهن ويقدره كما يفرض الأشياء المقدرة

---

(1) انظر إغاثة اللهفان: ج2/ ص 263.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 260.

(3) سيأتي في النقل التالي.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص246.

وليس هذا هو الرب الذي دعت إليه الرسل وعرفته الأمم بل بين هذا الرب الذي دعت إليه الملاحدة وجردته عن الماهية وعن كل صفة ثبوتية وكل فعل اختياري وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا مباين له ولا فوقه ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله وبين رب العالمين وإله المرسلين من الفرق ما بين الوجود والعدم والنفي والإثبات فأي موجود فرض كان أكمل من هذا الإله الذي دعت إليه الملاحدة ونحتته أفكارهم بل منحوت الأيدي من الأصنام له وجود وهذا الرب ليس له وجود ويستحيل وجوده إلا في الذهن»[1].

مقارنه بين ارسطو وابن سينا:

قال ابن القيم: «وقول هؤلاء الملاحدة أصلح من قول معلمهم الأول أرسطو؛ فإن هؤلاء أثبتوا وجوداً واجباً ووجوداً ممكناً هو معلول له وصادر عنه صدور المعلول عن العلة، وأما أرسطو فلم يثبته إلاَّ من جهة كونه مبدأ عقلياً للكثرة، وعلة غائية لحركة الفلك فقط، وصرح بأنه لا يعقل شيئاً، ولا يفعل باختياره»[2].

فهذا ما عند هؤلاء من خبر الإيمان بالصانع حسب الشيخين.

الفرع الثاني: موقف الفلاسفة من النبوات

لم يتكلم ابن الجوزي في كتابه عن موقف الفلاسفة في النبوات بأكثر من الإشارة إلى أن معظمهم يثبتونها، فقال: «أكثر القوم يثبتون الصانع ولا ينكرون النبوات، وإنما أهملوا النظر فيها»[3].

أما ابن القيم فقد فصل قليلاً، حيث جعلهم:

- مؤمنين بها في الجملة، معظمين للرسل.

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص261.

(2) المرجع السابق: ج2/ ص 261

(3) تلبيس إبليس: ص 46.

- لها خصائص من استكملها فهو نبي!.

- تحصل بالاكتساب!.

فقال عن إيمانهم بالرسل: «وكذلك كان أساطينهم ومتقدموهم العارفون فيهم معظمين للرسل والشرائع، موجبين لاتباعهم، خاضعين لأقوالهم، معترفين بأن ما جاءوا به طور آخر وراء طور العقل، وأن عقول الرسل وحكمتهم فوق عقول العالمين وحكمتهم، وكانوا لا يتكلمون في الإلهيات، ويسلمون باب الكلام فيها إلى الرسل، ويقولون : علومنا إنما هي الرياضيات والطبيعيات وتوابعها، وكانوا يقرون بحدوث العالم»(1).

وقال عن خصائص النبوة عندهم: «وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص من استكملها فهو نبي:

أحدها: قوة الحدس، بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

الثانية: قوة التخيل والتخييل، بحيث يتخيل في نفسه أشكالاً نورانيةً تخاطبه، ويسمع الخطاب منها، ويخيلها إلى غيره.

الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم، وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة»(2).

وقال عن كونها تحصل بالاكتساب، أي ليست اختيارا ورحمة من الله، وإنما بمجرد المجاهدة: «وهذه الخصائص تحصل بالاكتساب ولهذا طلب النبوة من تصوف على مذهب هؤلاء كابن سبعين وابن هود وأضرابهما والنبوة عند هؤلاء صنعة من الصنائع بل من أشرف الصنائع كالسياسة بل هي سياسة العامة وكثير منهم لا يرضى

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ 259.

(2) المرجع السابق: ج2/ ص 262.

بها ويقول: الفلسفة نبوة الخاصة والنبوة : فلسفة العامة»[1].

ومما يمكن أن يكون تبعاً للحديث عن النبوات: الكتب السماوية:

ولم يتكلم ابن الجوزي عن موقف القوم من الكتب السماوية، وإنما تكلم عنهم ابن القيم، وخلاصة ذلك:

- ليس من كتب منزلة من الله.
- إنكار صفة الكلام.

وعند بعض يتقربون للإسلام هي: فيض فاض من العقل الفعال بلا حقيقة.

قال ابن القيم: «وأما الكتب فليس لله عندهم كلام أنزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئاً ولا يقول، ولا يجوز عليه الكلام، ومن تقرب منهم إلى المسلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني وتشكلت في نفسه، بحيث توهمها أصواتاً تخاطبه، وربما قوي الوهم حتى يراها أشكالاً نورانية تخاطبه، وربما قوي ذلك حتى يخيلها لبعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها، ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج»[2].

الفرع الثالث: موقف الفلاسفة من السمعيات

1- الملائكة:

وهي مخلوقات نورانية علوية خيرة، ترانا ولانراهم، لا يأكلون ولا يشربون، وهم أصناف مصطفون لعبادة الله تعالى، وتنفيذ أوامره بلا عصيان[3].

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 262.

(2) المصدر السابق، ج2/ 262.

(3) انظر تفاصيل أحوالهم في كتاب: الإيمان بالملائكة، د/ عمر سليمان الأشقر.

لم يتكلم ابن الجوزي عن موقف القوم من الملائكة تحديداً، وإنما تكلم عنهم ابن القيم، وملخص ذلك:

هي العقول، ولا حقيقة لها.

وعند بعض من يتقربون للإسلام منهم هي: القوى الخيرة في العبد، مقابل الشياطين التي هي القوى الشريرة.

قال ابن القيم: «وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة ولا يؤمنون بهم، وإنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبي –بزعمهم– في نفسه من أشكال نورانية هي العقول عندهم، وهي مجردات ليست داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق السموات ولا تحتها، ولا هي أشخاص تتحرك، ولا تصعد، ولا تنزل، ولا تدبر شيئاً، ولا تتكلم، ولا تكتب أعمال العبد، ولا لها إحساس ولا حركة البتة، ولا تنتقل من مكان إلى مكان، ولا تصف عند ربها، ولا تصلي، ولا لها تصرف في أمر العالم البتة، فلا تقبض نفس العبد، ولا تكتب رزقه وأجله وعمله، ولا عن اليمين ولا عن الشمال قعيد، كل هذا لا حقيقة له عندهم البتة.

وربما تقرب بعضهم إلى الإسلام فقال: الملائكة هي القوى الخيرة الفاضلة التي في العبد، والشياطين هي القوى الشريرة الرديئة، هذا إذا تقربوا إلى الإسلام وإلى الرسل»(1).

2- البعث

المقصود بالبعث حياة الإنسان بعد موته يوم القيامة للحساب والجزاء، وسيأتي الحديث عنه بالتفصيل في آخر فصول البحث.

وقد تناول الشيخان موضوع البعث عند الفلاسفة:

أما أبن الجوزي فاستفاض فيه، وخلاصة ما يراه عن القوم:

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 261.

- الإنكار ابتداءً.

- بقاء النفس بقاء سرمدياً في لذة أو في ألم.

قال ابن الجوزي: «وقد أنكرت الفلاسفة بعث الأجساد، ورد الأرواح إلى الأبدان، ووجود جنة ونار جسمانيين. وزعموا أن تلك أمثلة ضربت لعوام الناس ليفهموا الثواب والعقاب الروحانيين، وزعموا أن النفس تبقى بعد الموت بقاء سرمدياً أبداً: إما في لذة لا توصف –وهي الأنفس الكاملة– أو ألم لا يوصف –وهي النفوس المتلوثة– وقد تتفاوت درجات الألم على مقادير الناس، وقد ينمحي عن بعضها الألم ويزول»[1].

ثم رد عليهم، فقال: «فيقال لهم: نحن لا ننكر وجود النفس بعد الموت؛ ولذلك سمي عودها إعادة، ولا أن لها نعيماً وشقاء، ولكن ما المانع من حشر الأجسام؟، ولم ننكر اللذات والآلام الجسمانية في الجنة والنار وقد جاء الشرع بذلك؟ فنحن نؤمن بالجمع بين السعادتين وبين الشقاوتين: الروحانية والجسمانية. وأما الحقائق في مقام الأمثال فتحكمٌ بلا دليل.

فإن قالوا: الأبدان تنحل وتؤكل وتستحيل.. قلنا: القدرة[2] لا يقف بين يديها شيء، على أن الإنسان إنسان بنفسه، فلو صنع له البدن من تراب غير التراب الذي خلق منه لم يخرج عن كونه هو هو، كما أنه تتبدل أجزاؤه من الصغر إلى الكبر وبالهزال والسمن.

فإن قالوا: لم يكن البدن بدناً حتى يرقى من حالة إلى حالة إلى أن صار لحماً وعروقاً قلنا: قدرة الله سبحانه وتعالى لا تقف على المفهوم المشاهد، ثم قد أخبرنا نبينا ﷺ أن الأجسام تنبت في القبور قبل البعث، وأخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي البزار نا أبو محمد الجوهري نا عمر بن محمد بن الزيات ثنا قاسم بن زكريا المطرز ثنا أبو كريب

---

(1) تلبيس إبليس: ص45.

(2) يعني قدرة الله كما سيصرح في الرد الآتي.

ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: "ما بين النفختين أربعون، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوماً قال أبيت قالوا أربعون شهراً قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله ماء من السماء فينبتون كما ينبت البقل قال وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلاّ عظماً واحداً وهو عجب[1] الذنب منه خلق ومنه يركب الخلق يوم القيامة"[2] أخرجاه في الصحيحين»[3].

أما عقيدة القوم عند ابن القيم، فخلاصتها:

- الإنكار ابتداءً.
- فيثاغورث كلامه أقرب إلى الإيمان.

قال ابن القيم: «وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون بانفطار السموات وانتثار الكواكب وقيامة الأبدان ولا يقرون بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام وأوجد هذا العالم بعد عدمه، فلا مبدأ عندهم ولا معاد»[4].

وقال عن فيثاغورث[5]: «وكلامه في المعاد والصفات والمبدأ أقرب إلى كلام الأنبياء من كلام غيره، وبالجملة فهو أقرب القوم إلى تصديق الرسل؛ ولهذا قتله قومه»[6].

(1) هو بفتح العين وإسكان الجيم العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب وهو رأس العصعص

(2) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب "يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً"، ج6/ ص165، رقم: 4935، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، ج4/ ص2270، رقم: 2955. واللفظ لمسلم، ورواية البخاري المسئول فيها هو النبي ﷺ. ومعنى "أبيت": امتنعت عن الأخبار بما لا أعلم.

(3) تلبيس إبليس: ص 46.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 262.

(5) هو فيثاغورث، يعرف فقط بذلك، (ت في القرن 6 ق.م) فيلسوف ورياضي يوناني زاهد، يقول بتناسخ الأرواح. قال ابن القيم: "كان مذهبه في الصفات قريباً من مذهب أهل الإثبات". إغاثة اللهفان: ج2/ ص264 ، 265. وانظر المنجد في الإعلام، مرجع سابق، ص535.

(6) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 265.

المبحث الثاني

الدهريــون والطبــائـعيــون

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان مذهب الدهريين والطبائعيين

المطلب الثاني: الدهريون والطبائعيون عند الإمامين

المبحث الثاني

الدهريون والطبائعيون

المطلب الأول:

بيان مذهب الدهريين والطبائعيين

المسألة الأولى: تعريف "الدهريين والطبائعيين" وطوائفهم ومقالاتهم

الفرع الأول: تعريف "الدهريين والطبائعيين"

الدهر لغة:

قال الجوهري: «الدهر الأبد، والجمع آباد، بوزن "آمال" و"أبود" بوزن فلوس، والأبد أيضاً: الدائم»[1].

وقال ابن الأثير: «والدهر اسم للزمان الطويل، ومدة الحياة الدنيا»[2].

الدهريون اصطلاحاً:

قال الغزالي: «وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالِم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً وهؤلاء هم الزنادقة»[3].

وهم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ

---

(1) مختار الصحاح، مرجع سابق ص: 11.

(2) النهاية في غريب الحدبث، ابن الأثير، مرجع سابق، ج2/ ص144.

(3) المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، نشر: المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان، تحقيق: محمد محمد جابر (بدون) ص18.

﴿إِلَّا ٱلدَّهۡرُ ﴾[1] حيث أنكروا وجود الخالق، وزعموا بأن العالم قديم لم يزل ولا يزال، وما ثم إلاّ أرحام تدفع، وأرض تبلع، وسماء تقلع، ومن ثم أنكروا البعث والإعادة، كذلك[2].

والطبائعيون لغة:

قال الرازي[3]: «"الطبع" السجية التي جبل عليها الإنسان. وهو في الأصل مصدر و"الطبيعة" مثله وكذا "الطباع" بالكسر و"الطبع" الختم وهو التأثير في الطين ونحوه. و"الطابع" بالفتح الخاتم والكسر فيه لغة. و"طبع" على الكتاب ختم. وطبع السيف والدرهم عملهما وطبع من الطين جرة»[4].

ويقول الجرجاني: «الطبيعة عبارة عن القوة السارية في الأجسام، بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي»[5].

الطبائعيون اصطلاحاً

الطبائعيون: هم القائلون بأن طبائع أربعاً متضادة هي أصل كل شيء، وأنها

---

(1) سورة الجاثية، الآية: 24.

(2) انظر أيضاً: الفصل، ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، نشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، ج1/ ص47، الملل والنحل، الشهرستاني ج3/ ص79، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان السكسكي الحنبلي ص 88.

(3) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي بن علي القرشي البكري، أبو عبد الله فخر الدين الرازي، (544 – 606هـ) المفسر، المتكلم، ويقال له: ابن خطيب الري، له من المؤلفات "مفاتيح الغيب في التفسير"، و"محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين"، و"اعتقادات فرق المسلمين والمشركين". "الكامل" لابن الأثر: ج12/ ص288، و"البداية والنهاية": ج17/ ص11، و"الأعلام": ج6/ ص313.

(4) مختار الصحاح، ص: 18، وانظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مرجع سابق، ج3/ ص438.

(5) التعريفات، الجرجاني، ص 140.

قديمة مدبرة لما في العالم وهي: النار والماء والتراب والهواء[1].

وقال الغزالي مبيناً سبب ضلالهم: «الطبيعيون، وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطبيعة وعن عجائب الحيوان والنبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته، مما اضطروا معه إلى الاعتراف بفاطر حكيم، إلاَّ أن ذهبوا إلى أن النفس تموت ولا تعود فجحدوا الآخرة، وأنكروا الحساب، فلم يبق عندهم للطاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب، فانحل عنهم اللجام، وانهمكوا إنهماك الأنعام. وهؤلاء أيضاً زنادقة، لأن أصل الإيمان هو: الإيمان بالله واليوم الآخر، وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته»[2].

هذان قولان في مصطلح "الطبائعيون"، أحدها يعتبر أن الطبيعة هي خالق الوجود، والآخر يعتبر أن القوم يثبتون الصانع، ولكن كان ذلك في بدايات ضلالهم كما يشير إليه قول الغزالي، أو في صنف لحقهم المسمى بسبب بحثهم في عالم الطبيعة، وليسو أصحاب المصطلح المعروف.

ولعل فيما قاله الدكتور ناصر العقل ما يعتبر كالشرح لحقيقة القولين، حيث قال: «الطبائعيون الذين يزعمون أن الطبيعة بذاتها هي التي تسير نفسها بنفسها، أو أن الطبيعة ركبت على أنها تحدث أحداثاً ليس لله عز وجل فيها دخل، أو الذين يرون أن الأمور تنبني على ما طبعت عليه، وهم صنفان: الأول: الذين يرون أن الطبيعة هي الخالق، وهي المخلوق، ولا فرق في ذلك، وعلى هذا فهم يرون أنها بذاتها هي التي تسير نفسها بنفسها.

الثاني: وهؤلاء يزعمون أن الكون ركب على طبع، أي: أنه ركب على نظام، وهذا النظام يجعله يسير نفسه بنفسه، دون أن يكون للرب عز وجل فيه دخل، أو أن بعض

---

(1) انظر: الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص269، وشرح الشفا للقاضي عياض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1421هـ.

(2) المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، مرجع سابق، ص19.

أجزاء الكون ركبت وطبعت على أنها تنشئ أفعالها أو أفعال غيرها من دون تقدير الله»[1].

فإن كان الآخرون يعتقدون أن الذي ركب هذا النظام هو الطبيعة نفسها بنفسها لنفسها فلا فرق بين قولهم وقول من سبقهم، والطبائعيون أنفسم يصعب عليهم جداً شرح مقالتهم، فضلا عن التدليل عليها، أو لعل هناك قوم من الفلاسفة يقولون بطبيعة على نحو ما ذكر الغزالي، غير أصحاب المسمى الأصلي.

والخلاصة في تعريف الدهريين والطبائعيين في رأي معظم أرباب علوم الأديان أن الدهريين ينكرون أن الخالق هو صانع الوجود، والطبائعيون يوافقونهم في إنكار أن يكون الصانع هو الله، ولكنهم ينسبون الصنعة للطبائع الأربع الآتي المذكورة، والدهريون ينسبونها للدهر..

والفرق بينهما –في رأي الشهرستاني– أن الطبع عندهم هو المحيي، والدهر هو المفني، والجامع هو الطبع، والملك هو الدهر[2]، ومآل قول الطائفتين واحد، وهو تعطيل الصانع.

الفرع الثاني: طوائف الدهرية والطبائعيين

يمكن تقسيم القوم إلى قسمين:

دهرية طبائعية قدماء، ودهرية طبائعية محدثين.

أما القدماء فقد صنفهم بعض العلماء إلى قسمين: «صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

والصنف الثاني من الدهرية طائفة يقال لهم الدورية، وهم منكرون للخالق أيضاً،

---

(1) شرح العقيدة التدمرية لابن تيمية، ناصر العقل، درس رقم 25 "صوتي".

(2) الملل والنحل، الشهرستاني، مرجع سابق، ج3/ ص79.

ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلي ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول قبحهم الله تعالى.

وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾(1)»(2).

ولعله لم يبق اليوم من مقالة "الدورية" شيء، أما الأولون فما زال يقول بقولهم طوائف من المحدَثين، يجمعهم مسمى "الوجودية"، نسبة للإيمان بالوجود المطلق، الذين يتخذون من الإلحاد والشيوعية(3) مذهباً.

الفرع الثالث: أهم مقالات الطبائعيين المُحْدَثين (الملحدين)(4).

– الإلحاد، والمقصود إنكار وجود الله سبحانه الخالق المصور، وقد قال بعضهم مستهزئاً: «الإله موجود، والإنسان عدم» يقصد أن الإنسان هو الله، تعالى عن قولهم،

---

(1) سورة الجاثية، الآية: 24

(2) انظر: معارج القبول معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر: دار ابن القيم – الدمام، ط: 1، 1410هـ – 1990م، ج2/ ص 776.

(3) الشيوعية حركة فكرية اقتصادية إباحية وضعها اليهودي "كارل ماركس"، تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوارث، وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حد سواء. ومن مبادىء الشيوعية أن المادة هي أصل الحياة وليس لها خالق ولا مبدع ولا متصرف فهي بهذا المبدأ تحارب جميع الأديان، وكذلك محاربتها للرأسمالية ومحاربة للحشمة والفضيلة والتمسك الاجتماعي والبناء الأسري، وإثارة حقد الفقراء والعمال ضد أصحاب الأموال والسلطات. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، أ. د. ناصر القفاري، أ. د، و"معجم ألفاظ العقيدة" أبو عبد الله عامر عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1420هـ، ص 248، والمراجع الآتي ذكرها عن "الوجودية".

(4) انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، نشر: دار القلم، دمشق، ط: 2، 1412هـ – 1991م ص 362 – 378، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، د/ غالب بن علي عواجي، نشر: المكتبة العصرية الذهبية – جدة، ط: 1، 1427هـ – 2006م ، ج2ص 857 – 872، والموسوعة الميسرة، ج2/ ص 888 ، 891. والموجز في المذاهب والأديان، للعقل والقفاري، مرجع سابق ص117_118.

أو هو الذي خلق فكرة الإله.

– إن المادة أزلية أبدية وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

– يرون أن الأديان عوائق أمام الإنسان تقف في طريقه نحو المستقبل.

عدم الاعتراف بالمفاهيم الأخلاقية، ولا بالحق والعدل، ولا بالأهداف السامية، ولا بالروح والجمال.

– الحاجات هي التي تحدد الأفكار، وليست الأفكار هي التي تحدد الحاجات.

– ومن أهم أسس الإلحاد في العالم: نظريات، ماركس[1] المزدكي في الاقتصاد والتفسير المادي للتاريخ، ونظرية فرويد[2] في علم النفس، ونظرية دارون[3] في أصل الأنواع، ونظرية دوركايم[4] في علم الاجتماع. وجميع هذه النظريات هي مما أثبت العلماء أنها حدس وخيالات وأوهام شخصية ولا صلة لها بالعلم.

---

(1) كارل ماركس، (1818 – 1883م) يهودي ألماني، مؤسس الشيوعية، حذف من جدلية هيجل نظرتها المثالية المرتبطة بالله، وأضاف إليها نظرته المادية ليصبح مذهبه الفلسفي: "المادية الجدلية". كواشف زيوف حبنكة الميداني، مرجع سابق، ص540 – 545، والمعجم الفلسفي، إصدار مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة 1399م، ص164.

(2) هو سيجموند فرويد (1856 – 1939م) يهودي من أبوين نمساويين، وهو مؤسس مدرسة التحليل النفسي. كواشف زيوف ص289 – 315.

(3) هو شارلز داروين، (1809 – 1882) فيلسوف يهودي جاء بنظرية التطور التي تقول: إن أصل المخلوقات كائن صغير تطور مع مرور السنين إلى سلالات أخرى أرقى إلى أن وصلنا إلى الإنسان، وألف لذلك كتاباً سماه "أصل الأنواع". الموسوعة الميسرة، ج2/ ص 329 – 337، والشبكة العنكبوتية، "وكيبيديا" (شارلز داروين).

(4) هو إميل دوكايم يهودي فرنسي عاش ما بين (1858 _ 1917م) تخصص في علم الاجتماع. قالوا: وقد صار رائد علم الاجتماع بعد أوجست كونت. المنجد في الاعلام، مجموعة من المؤلفين، ص290، وكواشف زيوف، حبنكة، ص 335 _ 348.

المسألة الثانية: أدلة وجود الله تعالى والرد على الدهريين والطبائعين والملحدين

الشواهد التي تدل على وجود الله بمكن تفريعها على أربعة أنواع[1]، هي: الفطرة والعقل والحس والشرع، وهي متعاضدة متداخلة، سيما الثلاثة الأول، وإليك أدلتها:

الفرع الأول: دلالة الفطرة على وجود الله تعالى

الفطرة لغة[2] قال الخليل[3]: "وفطر الله الخلق، أي خلقهم، وابتدأ صنعة الأشياء، وهو فاطر السماوات والأرض، والفطرة التي طبعت عليها الخليقة من الدين، فطرهم الله على معرفته بربوبيته.. وانفطر الثوب وتفطر أي انشق، وتفطرت الجبال والأرض انصدعت".

والمقصود بها هنا الجِبلَّة والضرورة التي أودعها الله في نفس كل شخص، وما طبعت عليها الخليقة من معرفة الربوبية التي يصعب مدافعتها على الحقيقة. وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ**»[4].

---

(1) انظر: "شرح العقيدة الواسطية"، محمد صالح العثيمين، نشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط: 6، 1421هـ. ج1/ ص55، وكل الأدلة التي يسوقها النظار والمتكلمون هي داخلة في هذه الأدلة الأربعة، أو في واحد منها مهما تعددت.

(2) كتاب العين، الخليل بن أحمد، تحقيق د/ مهدي المخزومي، و د/ إبراهيم السامرائي نشر: دار ومكتبة الهلال (بدون). ج7/ ص418. وانظر: عامة معاجم اللغة، مادة "ف ط ر"، وقد ناقش معناها بتوسع الإمامان: ابن عبد البر النميري، في كتاب "التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد" تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387هـ، ج18/ ص57 – 97 وابن تيمية: في كتابة: "درء تعارض العقل والنقل" ج8/ ص 359 – 448.

(3) هو: الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليحمدي، (100 – 170هـ) كان رأساً في لسان العرب والأدب، وهو أستاذ سيبويه، وأول من استخرج العروض وحصّن به أشعار العرب، ولد ومات بالبصرة. له من المؤلفات: "كتاب العين في اللغة"، "كتاب الشواهد". سير أعلام النبلاء ج7/ ص429 – 431، وطبقات النحويين واللغوين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، أبو بكر الإشبيلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 2، نشر: دار المعارف، بيروت، ص47.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ج2/ ص94، رقم: 135، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ج4، ص2047، رقم: 2658.

وشاهدها على وجود الله تعالى من القرآن قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[2].

والفرعون الذي هو أشهر من علم تجاهله للخالق سبحانه قال تعالى ذاكراً قول موسى عليه السلام له: ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾[3].

الفرع الثاني: دلالة العقل على وجود الله تعالى

العقل لغة: الحجر والنهى، وما يكون به التفكير والاستدلال[4].

ودلائل العقل: فهي دلائل بعدد مخلوقاته، كما قال الشاعر[5]:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

وقال جمال الدين القاسمي[6]: «اعلم أن البراهين في هذا المقام تفوق الحصر

---

(1) سورة الروم، آية: 30.

(2) سورة الأعراف، آية: 172، 173.

(3) سورة الإسراء، آية: 102.

(4) مختار الصحاح، مرجع سابق، ص: 215، والمعجم الوسيط مرجع سابق، ج2/ ص617.

(5) اختلف في نسبته، فنسبه الصفدي إلى أبي فراس، كما في: "الوفيات"، ج7/ ص138، ونسبه أبو الفرج الأصفهاني لأبي العتاهية كما في: "الأغاني" تحقيق: سمير جابر، نشر: دار الفكر – بيروت، ط: 2، ج4/ ص35.

(6) جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم الحلاق، (1283 – 1332هـ)، إمام الشام في عصره، ولد بدمشق ونشأ

والسبر، كما قيل: إن لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق»[1].

ثم عدد منها خمسة وعشرين دليلاً.

ويُروى عن الفخر الرازي أنه كان يقيم ألف دليل على وجود الله تعالى[2].

ولعل جميع الأدلة مما ذكره القاسمي وغيره يرجع إلى مسلمات ثلاث:

الأولي- لكل فعل فاعل، والعدم لا يُوجد شيئاً، وهو دليل المتكلمين اليتيم، ويسمونه "دليل الحدوث والقدم"، أو دليل الخلق[3]، الإبداع والاختراع، وهو الاستدلال على وجود الله بأن الكون حادث، وكل حادث لابد له من محدث قديم.

وهو مبني على أصلين:

أ- أن الموجودات مخترعة.

ب- كل مخترَع لا بد له من مخترِع[4].

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾[5]، وكما قال الأعرابي حينما سئل عن الله: «البعرة تدل على البعير، فهيكل علوي بهذه اللطافة،

ونشأ وتعلم بها. له من المؤلفات: محاسن التأويل، دلائل التوحيد، قواعد التحديث، إصلاح المساجد من البدع والعوائد. الأعلام، الزركلي ج2/ ص131.

(1) دلائل التوحيد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1405هـ. ص22.

(2) انظر: "نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب"، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر- بيروت - لبنان ط: 1، 1997، ج5/ ص263.

(3) وانظر مناهج الجدل ص 136 - 137.

(4) انظر: بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، مجموعة من المحققين، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: 1، 1426هـ ج1/ 494.

(5) سورة الطور، آية: 35.

ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على اللطيف الخبير؟»[1].

وقال ابن أبي العز[2]: «الموجودات لا بد أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته، قطعاً للتسلسل، فإنا نشاهد حدوث الحيوان والنبات والمعادن، وحوادث الجو كالسحاب والمطر وغير ذلك، وهذه الحوادث وغيرها ليست ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولا واجبة الوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجودها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه»[3].

فمعلوم بصريح العقل أن الموجود إما واجب بنفسه، وإما غير واجب بنفسه، وإما قديم أزلي، وإما حادث كائن بعد أن لم يكن، وإما مخلوق مفتقر إلى خالق، وإما غير مخلوق ولا مفتقر إلى خالق، وإما فقير إلى ما سواه.

وإما غني عما سواه، وغير الواجب بنفسه لا يكون إلاَّ بالواجب بنفسه، والحادث لا يكون إلا بقديم، والمخلوق لا يكون إلا بخالق، والفقير لا يكون إلا بغني عنه، فقد لزم على تقدير النقيضين وجود موجود واجب بنفسه، قديم أزلي خالق غني عما سواه، وما سواه بخلاف ذلك[4].

للرد على شبهة الطبيعيين نسألهم: ماذا تعنون بكلمة الطبيعة؟ هل تعنون بها ذات الأشياء أو صفاتها؟..

---

(1) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص40.

(2) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي، صدر الدين، (731 – 792)، تتلمذ على ابن كثير، ولي قضاء دمشق ومصر، وتوفي بدمشق، له من المؤلفات: "شرح العقيدة الطحاوية". "شذرات الذهب"، ج8/ ص 557.

(3) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، نشر: دار السلام، ط: 1، 1426هـ – 2005م، ص111.

(4) انظر: شرح الطحاوية، ابن جبرين (صوتي).

فإن عنوا بالطبيعة ذات الأشياء فيكون على قولهم كل شيء خلق نفسه، فالسماء خلقت السماء، والأرض خلقت الأرض، فيصبح كل شيء هو الخالق والمخلوق بنفس اللحظة، وبما أن المخلوق مفتقر إلى الخالق فيكون هذا الشيء مفتقرًا لنفسه وهو موجود فيجتمع فيه النقيضان بنفس الوقت؛ لاستحالة أن يكون موجوداً معدوماً بنفس الوقت كما يستحيل أن يكون خالقًا ومخلوقاً، وبهذا يظهر بطلان هذا الادعاء وتهافته.

وإن عنوا بكلمة الطبيعة صفات الأشياء وقابلياتها من حرارة وبرودة وملاسة وخشونة، فقولهم هذا أكثر تهافتاً من سابقه؛ لأن من البدهيات أن الصفات والقابليات لا تقوم إلا بذات الأشياء، فهي مفتقرة للأشياء، فالصفة دائماً مفتقرة إلى الموصوف لأنها لا تظهر إلاَّ به، وإذا كانت الأشياء الموصوفة ذاتها عاجزة عن إيجاد نفسها فعجز الصفة والقابلية عن إيجاد موصوفاتها من باب أولى –بل إن الصفة نفسها بحاجة إلى موجد يوجدها في موصوفها؛ لأن–الموصف كما هو عاجز عن إيجاد نفسه فهو عاجز عن إيجاد صفته»(1).

ويقول ابن القيم في حديثه عن عجائب خلق الإنسان: "من أين للطبيعة هذا الاختلاف والفرق الحاصل في النوع الإنساني بين صورهم، فقلّ أن يرى اثنان متشابهان من كل وجه وذلك من أندر ما في العالم، بخلاف أصناف الحيوان كالنعم والوحوش والطير وسائر الدواب.. فمن الذي ميز بين صورهم وأصواتهم وفرق بينها بفروق لا تنالها العبارة ولا يدركها الوصف، فسل المعطِّل أهذا فعل الطبيعة؟ وهل في الطبيعة اقتضاء هذا الاختلاف والافتراق في النوع؟ وأين قول الطبائعيين أن فعلها متشابه لأنها واحدة في نفسها لا تفعل بإرادة ولا مشيئة فلا يمكن اختلاف أفعالها؟ فكيف يجمع المعطل بين هذا وهذا؟ فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي

---

(1) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د/ محمد ملكاوي، نشر: مكتبة دار الزمان ط: 1، 1405هـ – 1985م، ص144، 145.

في الصدور »[1].

الثانية- الفعل أثر من آثار فاعلة ومرآة لصفاته، والكون كله بما فيه من مخلوقات وحركة وإحكام لهو دليل على وجود مهيمن حكيم ورب قدير، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[2].

«ويحكى أن طائفة من السمنية من أهل الهند جاءوا إلى الإمام أبي حنيفة النعمان فناظروه في إثبات الخالق عز وجل، فواعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، قالوا: ماذا قلت؟ قال: أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى أرسلت في الميناء ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمالون. قالوا: تفكر بهذا؟ قال: نعم، قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتترك وتنصرف؟! هذا ليس معقول! قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟ فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، وعجزوا عن جوابه»[3].

الثالثة- لا ينسب فعل إلى عاجز عن مثله[4]، كما قال تعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢ ﴾[5].

وهي طريقة إبراهيم عليه السلام في مناظرته للنمرود كما قال تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى

---

(1) مفتاح دار السعادة 267/1 وانظر كذلك ص 261 – 262 باختصار.

(2) سورة الروم، آية: 50.

(3) شرح العقيدة الطحاوية ص523.

(4) ينظر في أصل المسلمات الثلاث كتاب: "ما لا يسع المسلم جهله" لعبد الله المصلح، وصلاح الصاوي (ص: 30 – 33).

(5) سورة الأعراف، آية: 191 ، 192.

﴿ ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

ومن المسلَّمتين الأخيرتين: (كون الفعل أثر من آثار فاعلة، وكونه لا ينسب فعل إلى عاجز عن مثله) يسوق المتكلمون ما يسمونه: "دليل التمانع"، ويسمى "دليل النظام أو التناسق"، وهو امتناع صدور العالم عن اثنين[2] كذلك، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَـٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَـٰزِنِينَ ﴾[3].

ويستدل له البعض كذلك بقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[4].

قال ابن القيم: «إذا تأملت العالم وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع آلاته ومصالحه؛ وكل ما يحتاج اليه، فالسماء سقفه المرفوع عليه، والأرض مهاد وبساط وفراش ومستقر للساكن، والشمس والقمر سرجان يزهران فيه، والنجوم مصابيح له وزينة وأدلة للمنتقل في طرق هذه الدار، والجواهر والمعادن مخزونة فيه كالذخائر والحواصل المعدة المهيأة كل شيء منها لشأنه الذي يصلح له، وضروب النبات مهيأ لمآربه،

---

(1) سورة البقرة، آية: 258.

(2) انظر: درء تعارض العقل والنقل"، ابن تيمية، مرجع سابق: ج9/ ص354.

(3) سورة الحجر: الآيات: 19-22.

(4) سورة الأنبياء، آية: 22.

وصنوف الحيوان مصروفة لمصالحه، فمنها الركوب، ومنها الحلوب، ومنها الغذاء، ومنها اللباس والامتعة والآلات، ومنها الحرس الذي وُكل بحرس الانسان، يحرسه وهو نائم وقاعد، مما هو مستعد لإهلاكه وأذاه؛ فلولا ما سلط عليه من ضده لم يقر للإنسان قرار بينهم، وجعل الانسان كالملك المخول في ذلك المحكَّم فيه، المتصرف بفعله وأمره، ففي هذا اعظم دلالة واوضحها على ان العالم مخلوق لخالق حكيم قدير عليم، قدره احسن تقدير، ونظمه احسن نظام، وان الخالق له يستحيل أن يكون اثنين، بل الاله واحد، لا إله إلاَّ هو، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا، وإنه لو كان في السموات والأرض إله غير الله لفسد أمرهما، واختل نظامهما، وتعطلت مصالحهما، وإذا كان البدن يستحيل أن يكون المدبر له روحان متكافئان متساويان، ولو كان كذلك لفسد وهلك، مع إمكان ان يكون تحت قهر ثالث، هذا من المحال في أوائل العقول وبداية الفطر »[1].

الفرع الثالث: دلالة الحس على وجود الله تعالى

الحس لغة قال الرازي[2]: «"الحس" و"الحسيس" الصوت الخفي. ومنه قوله تعالى: ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾[3] وحسوهم استأصلوهم قتلاً، وبابه: رد. ومنه قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾[4] و"حس" الدابة فرجنها وبابه أيضاً: ردَّ، و"المِحسة" بكسر الميم: الفرجون. و"الحواس": المشاعر الخمس، وهي: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. و"أحس" الشيء: وجد حسه. قال الأخفش: أحس معناه ظن ووجد، ومنه قوله

---

(1) مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون) ج1، ص: 206.

(2) هو محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، زين الدين (توفي بعد 666هـ)، إمام في اللغة والفقه على المذهب الحنفي، له من المؤلفات: "مختار الصحاح"، و"شرح المقامات الحريرية"، و" الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز". الأعلام، الزركلي، ج5/ ص 55.

(3) سورة الأنبياء، آية: 102.

(4) سورة آل عمران، آية: 152.

تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾[1]»[2].

والمقصود: المعرفة والشعور الظاهر بالحواس من حول الإنسان، وما يحصل من عجائب في الكون.

ومن شواهد ذلك:

- إجابة الداعين، وغوث المكروبين، والانتقام من الظالمين كما جاء في سيرة سيد المرسلين وصحابته الميامين، والتابعين من الصالحين كما في قصة الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار، وقصة جريج العابد، وقصة الغلام والساحر[3]. ومن العلماء من كتب في أمثالها كتباً ذكر فيها العجب بالأسانيد وما رآه، منها كتاب "مجابو الدعوة" لابن أبي الدنيا، و"الفرج بعد الشدة" للتنوخي.

ومن أمثلة ذلك:

عن جابر بن سمرة ﵁ قَالَ: «شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ ﵁، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ "فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ"، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفاً، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى

---

(1) سورة آل عمران، آية: 52.

(2) مختار الصحاح، ص: 72.

(3) انظر قصة جريج العابد في صحيح البخاري، ج2/ ص137، رقم: 2482، كتاب المظالم والغصب، باب إذا هدم حائطا فليبن مثله، وصحيح مسلم، باب في المدينة حين يتركها أهلها، كتاب الحج، ج2/ 1009، رقم: 498، وقصة الغلام والساحر في صحيح مسلم، ، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام ج4/ ص 2299، رقم: 3005.

أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ»[1].

2- كان أبو مسلم الخوْلاني[2] إذا دخل منزله سلم، فإذا بلغ وسط الدار كبر، وكبرت امرأته، قال: فيدخل فينزع رداءه وحذاءه، فتأتيه بطعامه فيأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم أتى باب البيت فكبر وسلم فلم تجبه، وإذا البيت ليس فيه سراج، وإذا هي جالسة بيدها عود في الأرض تقلب به فقال لها: ما لك؟ فقالت: الناس بخير، وأنت أبو مسلم، لو أنك أتيت معاوية فيأمر لنا بخادم، ويعطيك شيئاً نعيش به؟ فقال: "اللهم من أفسد علي أهلي فأعم بصره قال: وكانت معها امرأة فقالت لها: أنت امرأة مسلم، فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم قال: فبينا هذه المرأة في منزلها، والسراج يزهر، إذ أنكرت بصرها، فقالت: سراجكم طفيء؟ قالوا لا، قالت: إنا لله، ذهب بصري، فأقبلت كما هي إلى أبي مسلم، فلم تزل تناشده الله عز وجل وتطلب إليه، قال: فدعا الله عز وجل، فرد عليها بصرها، ورجعت امرأته إلى حالها الذي كانت عليه[3].

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، ج1/ ص151 رقم: 755.

(2) هو عبد الله بن ثُوَب، أبو مسلم الخولاني، (ت 62هـ) تابعي، أصله من اليمن. أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، قال الذهبي: "سيد التابعين، وزاهد العصر، كان مجاب الدعوة"، وذكر في ترجمته عجائب في ذلك، منها قصته المشهورة مع المتنبئ العنسي لما ألقاه في النار ولم يحترق!. "سير أعلام النبلاء"، مرجع سابق ج5/ ص7 – 14 و"الأعلام"، مرجع سابق ج4/ ص75.

(3) مجابو الدعوة، أبو بكر ابن أبي الدنيا: تحقيق: الشيخ زياد حمدان، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1413هـ – 1993م ص: 85، وحلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، نشر: السعادة – مصر، 1394هـ – 1974م ج2 ص129.

- ومن شواهد الحس أيضاً آيات الأنبياء التي تسمى "المعجزات"، وما يراه الناس من كرامات الصالحين[1].

- كما يدخل في ذلك عجائب الكتاب العزيز، مثل الإعجاز العلمي في الوحي الشريف في مجال اللغة والحساب والطب والفلك والجيولوجيا، ومثل عظيم أثر القرآن في علاج الأمراض حتى العضوية منها، وفي أثره في التصرف على تغيير بعض ما جرت به العادات، كأخذ البصر عن الأعداء لمن قرأ آيات مخصوصة، كما حصل للإمام القرطبي مع الفرنجة[2]، وبمثلها لبعض الصالحين أيام جهاد أهل خراسان ضد السوفييت في الأمس القريب[3].

- وكذلك ما يشاهده الإنسان في نفسه ومن حوله من تغيرات وحركات منتظمة؛ إذ تنعدم أشياء وتوجد أخرى في حركة مستمرة، كما يشاهد دقة وتنظيماً في كل ما يرى ويلمس؛ فيصل من هذا عن طريق الإدراك الحسي إلى أن لهذه الأشياء موجداً أوجدها ومنسقاً يسيرهاً.

الفرع الرابع: دلالة الشرع على وجود الله تعالى

الشرع: لغة:

قال الرازي: «الشريعة: مشرعة الماء، وهي مورد الشاربة. والشريعة أيضاً: ما شرع الله لعباده من الدين، وقد شرع لهم أي: سن، وبابه "قطع".

و"الشارع" الطريق الأعظم. و"شرع" في الأمر أي خاض، وبابه خضع. و"الشرعة"

---

(1) انظر: كرامات الأولياء، اللالكائي، وهو جزء من كتابه: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة حبة الله اللالكائي، وكتاب: كرامات الأولياء، يوسف النبهاني.

(2) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، ج10/ ص270.

(3) كتب الشيخ عبد الله عزام الأزهري كتاباً بعنوان: "آيات الرحمن في جهاد الأفغان"، نشر فيه بعضاً من مثل هذه العجائب، والله أعلم!.

الشريعة، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[1]»[2].

والمقصود الخبر، أي الوحي الشريف..

ومن أدلته على وجود الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ»**[4]، **وفي رواية قال: «فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ثُمَّ لِيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا وَلْيَسْتَعِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ»**[5].

ونصوص القرآن كله، وكذلك السنة كلها شاهدة على دلالة الشرع على وجود الصانع عز وجل، وقد تقدم في الأدلة السابقة عددٌ من شواهد القرآن والحديث على ذلك.

وإنما كان تأخير دليل الشرع لاعتبار أن المخاطب يشك في وجود الله عز وجل، فكان لا بد من تقديم دليل الفطرة والعقل والحس قبل الخبر.

وبالجملة فقد قال الإمام ابن القيم: «فأما الاستدلال بالصنعة فكثير، وأما

---

(1) سورة المائدة، آية: 48.

(2) مختار الصحاح، ص: 164.

(3) سورة الإخلاص، الآيات: 1 – 4.

(4) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ج4/ ص123 رقم 3276، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ج1/ ص120، رقم: 214.

(5) أخرجهما أبو داود: كتاب السنة، باب في الجهمية، ج4 ص231، رقم: 4722.

الاستدلال بالصانع فله شأن، وهو الذي أشارت إليه الرسل بقولهم لأممهم ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1] أي أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول؟ فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى؟ ثم نبهوا على الدليل بقولهم ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2]، وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية قدس الله روحه يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل»[3].

المطلب الثاني:

الدهريون والطبائعيون عند الإمامين

تناول ابن الجوزي طائفة الدهريين تحت عنوان "ذكر تلبيسه على الدهرية"[4] عدة أمور في ذلك، استقرأ الباحث عناوينها كالتالي:

1/ تعريف الدهرية

2/ سبب إنكار الدهرية وجود الله تعالى

3/ الرد عليهم

كما تناول ابن الجوزي باقتضاب شديد طائفة الطبائعية تحت عنوان "ذكر تلبيسه على الطبائعيين"[5] في عناوين كالتالي:

---

(1) سورة إبراهيم، آية: 10.

(2) سورة إبراهيم، آية: 10.

(3) مدارج السالكين شرح منازل السائرين، ابن القيم، ج: 1/ ص59 ، 60.

(4) تلبيس إبليس: ص40.

(5) تلبيس إبليس: ص 41.

1/ تعريف الطبائعيين

2/ سبب ضلالهم

3/ الرد عليهم

أما ابن القيم فقد تناول الموضوع باختصار تحت عنوان: "في ذكر تلاعبه بالدهرية"[(1)]، وتناول فيه الآتي:

1/ تعريف الدهرية

2/ فرقهم وأقوالهم

3/ تعليق حول مذهبهم!

ولم يتناول ابن القيم الطبائعيين كما فعل ابن الجوزي، ولعله اكتفى بذكر طائفة الدهريين، فالدهريون ينكرون أن الخالق هو صانع الوجود، والطبائعيون يوافقونهم في إنكار أن يكون الصانع هو الله، ولكنهم ينسبون الصنعة للطبائع الأربع الآتي ذكرها قريباً، والدهريون ينسبونها للدهر. ومآل قول الطائفتين واحد، وهو تعطيل الصانع.

ويمكن جمع أزمة القول تحت المسائل الآتية:

تعريف الدهرية

فرقهم وأقوالهم

الرد على الدهرية

تعريف الطبائعيين

الرد على الطبائعيين

وهذا محصلة ما جاء في الكتابين:

---

(1) إغاثة اللهفان: ج 2/ ص 255.

المسألة الأولى: تعريف الدهرية والطبائعية عند الإمامين.

الفرع الأول: تعريف الدهرية عند الإمامين

يمكن استخلاص تعريف ابن الجوزي بطائفة الدهرية في قوله: «قد أوهم إبليس خلقاً كثيراً أنه لا إله ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا مكون»[1].

ويعني أن الدهرية هم الذين ينكرون وجود الله جل وعلا.

وقال ابن القيم: «وهؤلاء قوم عطلوا المصنوعات عن صانعها وقالوا ما حكاه الله عنهم ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾[2]»[3].

الفرع الثاني: تعريف الطبائعيين

عرف ابن الجوزي الطبائعيين بأنهم الذين ذهبوا إلى «أن هذه المخلوقات فعل الطبيعة، وقالوا[4]: ما من شيء يخلق إلاَّ من اجتماع الطبائع الأربع فيه؛ فدل على أنها الفاعلة!»[5].

ولم يذكرهم ابن القيم كما سبق.

المسألة الثانية: فِرق الدهرية وأقوالهم والرد عليهم عند الإمامين

الفرع الأول: فِرق الدهرية وأقوالهم

فِرق الدهرية ذكرها ابن القيم ولم يذكرها ابن الجوزي.

وقد جعلهم ابن القيم على قسمين:

---

(1) تلبيس إبليس: ص ص40.

(2) سورة الجاثية، الآية: 24

(3) إغاثة اللهفان: ج 2/ ص 255.

(4) في الأصل: "وقال"، والسياق يقتضي الجمع.

(5) تلبيس إبليس: ص 41.

قسم يؤمن بوجود الصانع ابتداءً، ولكنه –الصانع– احترق!.

وقسم ينكره ابتداءً، وقد وصفهم ب "فحول المعطلة".

قال ابن القيم: «وهؤلاء فرقتان:

فرقة قالت: إن الخالق سبحانه لما خلق الأفلاك متحركة أعظم حركة دارت عليه فأحرقته، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركاتها.

وفرقة قالت: إن الأشياء ليس لها أول ألبتة، وإنما تخرج من القوة إلى الفعل، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى الفعل تكونت الأشياء مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شيء آخر.

وقالوا: إن العالم دائم لم يزل ولا يزال، لا يتغير ولا يضمحل، ولا يجوز أن يكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل إلاَّ وهو يبطل ويضمحل مع فعله، وهذا العالم هو الممسك لهذه الأجزاء التي هي فيه.

وهؤلاء هم المعطلة حقاً، وهم فحول المعطلة، وقد سرى هذا التعطيل إلى سائر فرق المعطلة على اختلاف آرائهم وتباينهم في التعطيل، كما سرى داء الشرك تأصيلاً وتفصيلاً في سائر فرق المشركين على اختلاف مذاهبهم فيه، وكما سرى جحد النبوات تأصيلاً وتفصيلاً في سائر من جحد النبوة، أو صفة من صفاتها، أو أقر بها جملة وجحد مقصودها وزبدتها، أو بعضه»[1].

الفرع الثاني: الرد عليهم في مسألة وجود الصانع عند الإمامين

ذكر ابن الجوزي أربعة أسباب لضلال من أنكر وجود الله تعالى، هي:

1- اشتراط الحس به، ويقصد أن البعض لا يؤمن بوجود الله ما لم يحسه بجارحة كاليد والعين مثلاً، فقال: «وهؤلاء لما لم يدركوا الصانع بالحس، ولم

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 256.

يستعملوا في معرفته العقل جحدوه».

وقال: «وإنما يخبط الجاحد لأنه طلبه من حيث الحس»[1].

2- عدم إعمال العقل، وهو مذكور في السبب قبله.

3- اشتراط معرفته بالتفصيل، فقال: «ومن الناس من جحده؛ لأنه لما أثبت وجوده من حيث الجملة لم يدركه من حيث التفصيل، فجحد أصل الوجود»[2].

4- قولهم: لا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها، فقال: «وللملحدين اعتراض يتطاولون به على قولنا: "لا بد للصنعة من صانع"، فيقولون: إنما تعلقتم في هذا بالشاهد، وإليه نقاضيكم، فنقول: كما أنه لا بد للصنعة من صانع فلا بد للصورة الواقعة من الصانع من مادة تقع الصورة فيها، كالخشب لصورة الباب، والحديد لصورة الفأس. قالوا فدليلكم الذي تثبتون به الصانع يوجب قدم العالم»[3].

الرد عليهم بالعقل

أما رده عليهم فقد صاغ ابن الجوزي ثلاثة حجج عقلية في إثبات وجود الصانع والرد على الدهرية، ولم يفصل ابن القيم في الرد عليهم.

أما حجج ابن الجوزي في إثبات وجود الصانع فهي: وجود الأثر، والتفكر في النفس، ودليل الحدوث، ثم رد بالخصوص على من اشترط معرفته بالتفصيل لإثباته، وشبهة الصورة، وهذه هي بالتفصيل:

فقال في الأثر:

---

(1) تلبيس إبليس: ص 40.

(2) المرجع السابق، الوضع السابق.

(3) المرجع السابق: ص 41.

1- «وهل يشك ذو عقل في وجود صانع؛ فإن الإنسان لو مر بقاع ليس فيه بنيان ثم عاد فرأى حائطاً مبنياً علم أنه لا بد له من بان بناه.

فهذا المهاد الموضوع، وهذا السقف المرفوع، وهذه الأبنية العجيبة والقوانين الجارية على وجه الحكمة أما تدل على صانع؟.

وما أحسن ما قال بعض العرب: إن البعرة تدل على البعير، فهيكل علوي بهذه اللطافة، ومركز سفلي بهذه الكثافة، أما يدلان على اللطيف الخبير؟»[1].

وقال في التفكر في النفس:

2- «ثم لو تأمل الإنسان نفسه لكفت دليلاً، ولشفت غليلاً؛ فإن في هذا الجسد من الحكم ما لا يسع ذكره في كتاب، ومن تأمل تحديد الأسنان لتقطع، وتقريض الأضراس لتطحن، واللسان يقلب الممضوغ وتسليط الكبد على الطعام ينضجه، ثم ينفذ إلى كل جارحة قدر ما تحتاج إليه من الغذاء، وهذه الأصابع التي هيئت فيها العقد لتطوي وتنفتح فيمكن العمل بها، ولم تجوف لكثرة عملها، إذ لو جوفت لصدمها الشيء القوي فكسرها، وجعل بعضها أطول من بعض لتستوي إذا ضمت، وأخفي في البدن ما فيه قوامه، وهي النفس التي إذا ذهبت فسد العقل الذي يرشد إلى المصالح، وكل شيء من هذه الأشياء ينادي ﴿**أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ**﴾[2]»[3].

وقال في دليل الحدوث:

«ومن الأدلة القطعية على وجوده: أن العالم حادث، بدليل أنه لا يخلو من الحوادث، وكل ما لا ينفك عن الحوادث حادث، ولا بد لحدوث هذا الحادث من مسبب،

---

(1) تلبيس إبليس: ص40.

(2) سورة إبراهيم، آية: 10.

(3) تلبيس إبليس: ص 40.

وهو الخالق سبحانه»[1].

وأما رده بالخصوص على من اشترط معرفته بالتفصيل لإثباته، فقال:

«ولو أعمل هذا فكره لعلم أن لنا أشياء لا تدرك إلاَّ جملة، كالنفس والعقل. ولم يمتنع أحد من إثبات وجودهما، وهل الغاية إلاَّ إثبات الخلق جملة؟ وكيف يقال: كيف هو، أو: ما هو، ولا كيفية له، ولا ماهية؟»[2].

وقال في رد شبهة الصورة: «فالجواب أنه لا حاجة بنا إلى مادة، بل نقول إن الصانع اخترع الأشياء اختراعاً، فإنا نعلم أن الصور والأشكال المتجددة في الجسم كصورة الدولاب ليس لها مادة وقد اخترعها ولا بد لها من مصور فقد أريناكم صورة وهي شيء جاءت لا من شيء ولا يمكنكم أن ترونا صنعة جاءت لا من صانع»[3].

قال ابن الجوزي: «وجواب هذا نقول اجتماع الطبائع على وجودها لا على فعلها..

ثم قد ثبت أن الطبائع لا تفعل إلاَّ باجتماعها وامتزاجها، وذلك يخالف طبيعتها؛ فدل على أنها مقهورة.

وقد سلَّموا أنها ليست بحية ولا عالمة ولا قادرة، ومعلوم أن الفعل المنسق المنتظم لا يكون إلاَّ من عالم حكيم، فكيف يفعل من ليس عالماً وليس قادراً؟.

فإن قالوا: ولو كان الفاعل حكيماً لم يقع في بنائه خلل، ولا وجدت هذه الحيوانات المضرة؛ فعلم أنه بالطبع.

قلنا: ينقلب هذا عليكم بما صدر منه من الأمور المنتظمة المحكمة التي لا يجوز

---

(1) تلبيس إبليس: ص 40.

(2) المرجع السابق، الموضع السابق.

(3) المرجع السابق: ص41.

أن يصدر مثلها عن طبع. فأما الخلل المشار إليه فيمكن أن يكون للابتلاء والردع والعقوبة، أو في طية منافع لا نعلمها.

ثم أين فعل الطبيعة من شمس تطلع في نيسان على أنواع من الحبوب فترطب الحصرم والخلالة، وتنشف البرة وتيبسها؟ ولو فعلت طبعاً لأيبست الكل أو رطبته، فلم يبق إلاَّ أن الفاعل المختار استعملها بالمشيئة في يبس هذه للادخار، والنضج في هذه للتناول. والعجب أن الذي أوصل إليها اليبس في أكنة[1] لا يلقى جرمها، والذي رطبها يلقى جرمها. ثم إنها تبيض ورد الخشخاش، وتحمر الشقائق، وتحمض الرمان، وتحلي العنب والماء واحد وقد أشار المولى إلى هذا بقوله: ﴿ **يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ** ﴾[2]»[3].

---

(1) الأكنة: الأغطية واحد الأكنان. مختار ص 274.

(2) سورة الرعد، آية: 4.

(3) تلبيس إبليس: ص41.

المبحث الثالث

المجوس والثنوية والزرادشتية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: المجوسية: أصلها وخلفيتها العقائدية

المطلب الثاني: الثنوية

المطلب الثالث: الزرادشتية

المطلب الرابع: المجوس والثنوية وعباد النار عند الإمامين

المبحث الثالث

المجوس والثنوية والزرادشتية

المطلب الأول:

المجوسية أصلها وخلفيتها العقائدية

المسألة الأولى: تعريف المجوسية لغة واصطلاحاً

المجوس لغة:

ذهب عامة أهل اللغة إلى أنَّ الكلمة فارسية قديمة، كـ"صبور" معرب، من:

"منج كوش"، وهو رجل صغير الأذنين، وضع ديناً، ودعا إليه[1]..

أو من كلمة "مغوس" "Maghos" التي تعني "عابد النار.

وذهب آخرون إلى أن أصلها "مگوس" (بالجيم المصرية)، كلمة فهلويه أو من الفارسية القديمة، وتعني الشخص الذي يُفسر الرؤى والأحلام، ويُخبر أخبار الغيب، كالمنجم والتنجيم"[2].

وفي المعجم الوسيط: «تمجس: صَار من الْمَجُوس.

الْمَجُوس: قوم كَانُوا يعْبدُونَ الشَّمْس وَالْقَمَر وَالنَّار، وَأطلق عَلَيْهِم هَذَا اللقب مُنْذُ الْقرن الثَّالِث للميلاد.

الْمَجُوسِيّ: الكاهن عِنْد الأشوريين وقدامى الْفرس، والكاهن الَّذِي يقوم على النَّار والكاهن الَّذِي يُبَاشر أَعمال السحر.

---

(1) القاموس المحيط، الفيروزابادي، مرجع سابق، ص: 574، لسان العرب ج6/ ص214.

(2) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د/ جواد علي، نشر: دار الساقي ط: 4، 1422هـ/ 2001م، ج12/ ص268.

الْمَجُوسِيَّة: عقيدة الْمَجُوس فِي تقديس الْكَوَاكِب وَالنَّار، وَدين قديم جدده وأظهره وَزَاد فِيهِ زرادشت»[1].

والمجوس اصطلاحاً

هم الذين يقدسون الأنوار، ويقولون بأصلين؛ جعلوهما خالقين معبودين أحدهما: النور خالق الخير واسمه: "يزدان". وهو أزلي، والآخر: الظلمة خالق الشّر، واسمه: "أهرمن" وهو محدث، ويعبدون الكواكب باعتبار أنها أنوار، وقد قيل: بأن لهم شبهة كتاب[2].

قال الشهرستاني: «وأما المجوس فمذهبهم يدور على قاعدتين: أحديهما ذكر سبب امتزاج النور والظلمة، والثانية ذكر سبب خلاص النور من الظلمة.

والأولى هي المبدأ، والثانية هي المعاد. وذلك أنه لما ألزم عليهم أن النور إذا كان ضد الظلمة جوهراً وطبعاً وفعلاً وحيزاً وهما متنافران ذاتاً وطبيعةً فكيف امتزجا؟ وما الموجب لاجتماعهما حتى حصل الامتزاج، وحصل بحصول الامتزاج صور هذا العالم؟ ثم هل يبقى هذا الامتزاج أبد الدهر؟ ويلزم عليهم كون أجزاء النور معذبةً أبد الآبدين أو تتخلص يوماً ما فما الموجب للخلاص؟.

فصار مدار المسألة معهم على تقرير هذين الركنين»[3].

المسألة الثانية: خلفيتها العقائدية

اهتم الفرس منذ القديم بالدين، وأحلوه المرتبة الأولى في حياتهم، ويدلنا على ذلك تسلسل الطبقات الاجتماعية عندهم، حيث قدموا رجاله على بقية طبقات المجتمع.

ويذهب معظم العلماء إلى أن "مزدا الحكيم" هو إله القبائل المستقرة والمتمدنة في

---

(1) المعجم الوسيط، ج2 ص855.

(2) انظر الملل والنحل، الشهرستاني، ج1/ ص233، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ص57.

(3) نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، حرره الفرد جيوم مكتبة، الثقافة الدينية (بدون)، ص: 22

بلاد الفرس، بل يعتقدون أنه إله العالم والناس جميعاً[1].

ونقل أبو الكلام[2] بعض الكتابات المنحوتة في الصخر، والتي لازالت موجودة حتى الآن ما ترجمته: «إن الإله العلي، أهورامزدا، هو الذي خلق الأرض، ورفع السماء، وفتح سبل السعادة على البشر»[3].

فتقديس الإله "مزدا" هي مرجعية الأديان الفارسية من: مجوسية، ومانوية وزرادشتية، ولكن العلماء اختلفوا، هل تفرعت المانوية والزرادشتية عن طائفة المجوس قبلها، أم هما طائفتان مستقلتان بعدها؟.

ويُلتمس من خلال أقوال بعض العلماء التفرقة بينها وبين المجوسية كما سنرى في قول الشهرستاني الآتي في تعريف "الثنوية"، وعند غيرهم أنها من فروع المجوسية لشدة التقارب بين قول المجوس والثنوية من جهة، ولاستيلاء الزرادشتية على مسمى المجوسية بعد إدخال تعديلات عليها من جهة أخرى كما سيأتي.

المطلب الثاني الثنوية

المسألة الأولى: تعريف الثنوية لغة واصطلاحاً

معنى الثنوية في اللغة:

قال الخليل: "ثنَّيْتُ الشيء تثنية جعلته اثنين، وثَنَى رجله عن دابته ضم ساقه إلى فخذه فنزل عن دابته، وثنيّت الرجل فأنا ثانيه، وأنت أحد الرجلين لا يتكلم به إلاَّ كذلك.. لا يقال ثنيت فلاناً أي صرت ثانيه كراهية الالتباس، وتقول صرت له ثانياً، أو

---

(1) وجاء دور المجوس، د/ عبد الله محمد الغريب، نشر: دار الجيل – مصر، ص12.

(2) هو محيي الدين أحمد بن خير الدين، أبو الكلام آزاد، (1302 – 1377هـ) لقب بـ"بإمام الهند" وكان من كبار علماء عصره المبرزين في مجال العلم الشرعي والسياسة والأدب. درس في الأزهر، تولى رئاسة البرلمان، ثم وزارة المعارف في دلهي، له من المؤلفات: "ترجمة القرآن وتفسيره"، "التذكرة". الأعلام، الزركلي، ج1 ص122.

(3) من كتاب: "ويسألونك عن ذي القرنين"، أبو الكلام، بواسطة: الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية، سعيد حوّى نشر: دار السلام – القاهرة، ط: 2، 1412هـ – 1992م ج2، ص 846.

معه ثانياً ... والثني ضم واحد إلى واحد»[1].

وقال ابن فارس: «الثاء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو تكرير الشّيء مرّتين، أو جعلُه شيئين متواليَين أو متباينين، وذلك قولك ثَنَيْت الشّيءَ ثَنْياً. والاثنان في العدد معروفان. والثِّنَى والثنْيانُ الذي يكون بعد السّيِّد، كأنّه ثانِيهِ»[2].

والثنوية في الاصطلاح:

طائفة من المجوسية، قالوا بإلهين اثنين هما النور والظلمة، وقالوا بأزلية النور واختلفوا في أزلية الظلمة.

قال الشهرستاني: «هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس، فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه، وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر، والطبع، والفعل، والحيز، والمكان، والأجناس، والأبدان، والأرواح»[3].

وقال ابن تيمية: «وأما المجوس الثنوية فهم أشهر الناس قولاً بإلهين، لكن القوم متفقون على أن الإله الخير المحمود هو النور الفاعل للخيرات، وأما الظلمة التي هي فاعل الشرور فلهم فيها قولان: أحدهما: أنه محدث حدث عن فكرة رديئة من النور، وعلى هذا فتكون الظلمة مفعولاً للنور، لكنهم جهال أرادوا تنزيه الرب عن فعل شر معين فجعلوه فاعلاً لأصل الشر، ووصفوه بالفكرة الرديئة التي هي من أعظم النقائص، وجعلوها سبباً لحدوث أصل الشر.

والقول الآخر قولهم إن الظلمة قديمة كالنور، فهؤلاء أثبتوا قديمين، لكن لم

---

(1) العين، الخليل بن أحمد، ج8/ ص243.

(2) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1/ ص391.

(3) الملل والنحل للشهرستاني ج2/ ص49، وانظر: الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص269.

يجعلوهما متماثلين ولا مشتركين في الفعل، بل يمدحون أحدهما ويذمون الآخر »[1].

المسألة الثانية: فرق الثنوية

وقد افترقت الثنوية إلى عدة فرق، ذكرها الرازي فقال: «الثنوية وهم أربع فرق:

الفرقة الأولى: المانوية أتباع ماني[2]، قال إن للعالم أصلين نور وظلمة وكلاهما قديمان.

الثانية: الديصانية[3] وهم يقولون بالنور والظلمة أيضاً، والفرق بينهم وبين المانوية أنهم يقولون: إن النور والظلمة حيان والديصانية يقولون إن النور حي والظلمة ميتة.

الثالثة: المرقونية وهم يثبتون متوسطاً بين النور والظلمة، ويسمون ذلك المتوسط المعدل.

الرابعة: المزدكية[4] أتباع مزدك بن نامدان ادعى النبوة وأظهر دين الإباحة"[1].

---

(1) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج9/ ص346. وانظر في الرد على الثنوية –أيضاً–: التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، الباقلاني، تحقيق محمود الخضيري، ومحمد أبو ريدة، ط:1، لجنة التأليف والترجمة – القاهرة، 1366هـ – 1947م. ص68 – 75، والشامل في أصول الدين، أبو المعالي الجويني، تحقيق هلموت كلوبفر، دار العرب للبستاني، القاهرة، مصر (بدون)، ص129 – 130.

(2) ماني بن فاتك، ولد عام (215 أو 216 – 279)، وقد ظهر في زمان سابور بن أزدشير، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور عام (279) لأنه جنح نحو الزهد الذي لا يناسب دولة بهرام المحاربة، وكان في الأصل مجوسياً، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية. الملل والنحل، الشهرستاني: ج1/ ص244، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص138.

(3) الديصانية: أصحاب رجل يسمى (ديصان)، سمي باسم نهر ولد عليه. مقالات الإسلاميين، أبو الحسن أشعري، تحقيق: نعيم زرزور، نشر: المكتبة العصرية، ط: 1، 1426هـ – 2005م، ج2/ ص262، والملل والنحل ج1/ ص251.

(4) المزدكية: أتباع مزدك بن نامذان (عاش في القرن الخامس الميلادي)، وقد ظهرت حركة عام487م في بلاد فارس. وقول المزدكية كقول المانوية في الأصلين النور والظلمة إلا أن مزدك كان يقول: النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. أما دعوته الاجتماعية فقد قال الشهرستاني: "أحل النساء، وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها"، ولعلها أصل للشيوعية التي نادي بها كارل ماركس واحتضنها لينين.

المطلب الثالث

الزرادشتية ويقال: الزردشتية

المسألة الأولى: تعريف الزرادشتية

هم أتباع "زرادشت"[2] الحكيم، ادعى أنه نبي أرسله (مزدا)!.

ويزعم أتباعه أن لهم أنبياء وملوكاً، أولهم اسمه "كيومرث" حتى انتهى الملك إلى "بشتاسب بن لهراسب"[3] الذي ظهر في زمانه "زردشت" الحكيم.

وجاءهم زرادشت زاعماً الإصلاح في عقيدة المجوس وعباداتها.

وتعتمد عقيدة الزرادشتية –كما في كتابهم "الزندأفستا" أو "بستاه" كما يسميه المسعودي[4] في مروج الذهب[5]– على وجود معبودين: "أهورامازدا" (إله الخير) و"أهريمان" (إله الشّر)، وادعى نبيهم! أن النور والظلمة أصلان متضادان، وأن الخير والشر والصلاح والفساد، والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود العالم، وهما يتعاونان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة،

الملل والنحل ج1/ 249_250، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي ص134 ، 141.

(1) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص104 – 107، وانظر: الملل والنحل ج1/ ص244 – 254.

(2) هو زاردشت بن يورشب، وقيل بن أسبيمان (660 – 583 ق.م)، نبي المجوس! ولد في أذربيجان وأمه من الرى، وصنف كتاباً سماه: أشتا، أو بستاه، وشرحه في كتاب سماه "زند"، ومعناه: التفسير، ثم شرح الزند بكتاب سماه: "بازند"، يعني: تفسير التفسير، آمن بنبوته الملك "بشتاسب" الذي كان هو وآباؤه يدينون بدين الصابئة. الكامل، ابن الأثير جـ1، ص225 – 237، مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين المسعودي، ط. دار الشعب، القاهرة (بدون)، ج/ ص98 – 100.

(3) انظر: الكامل، ابن الأثير جـ1، ص238 – 240.

(4) على بن الحسين بن علي المسعودي، أبو الحسن، من ذرية عبد الله بن مسعود: (ت 346هـ)، مؤرخ، رحالة، شيعي، من أهل بغداد، له من المؤلفات: مروج الذهب، وأخبار الزمان ومن أباده الحدثان، والمقالات في أصول الديانات. سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج15/ ص569، والأعلام، الزركلي ج4/ ص277.

(5) انظر: مروج الذهب، مرجع سابق، ج1/ ص172.

والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى أعماله، والشر ينحط إلى أعماله، وذلك سبب الخلاص..[1].

والزردشتية جماعة منظمة ولها درجات ومراتب، وتطور أمرها بعد أن آمن بها أزدشير الأول وابنه سابور واتخذا منها دينا لدولتهم[2]، وسادوا حتى غلبوا على مسمى "المجوسية" وزادوا تقديس النار مع النور.

قال البيروني[3]: «وقد كانت خراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام في القديم على دين "السمنية" –نحلة هندية– إلى أن خرج نجم "زرداشت" في أذربيجان، ودعا ببلخ إلى المجوسية، وراجت دعوته عند "كشتاسب"[4]، وقام بنشرها ابنه "اسفنديار" في بلاد المشرق والمغرب قهراً وصلحاً، ونصب بيوت النيران من الصين إلى الروم، ثم استصفى الملوك بعده فارس والعراق لملتهم؛ فانجلت "الشمنية" عنها إلى مشارق بلخ، وبقي المجوس إلى الآن»[5].

---

(1) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني ج2/ ص41 فما بعد، الفصل في الملل والأهواء والنحل ج2/ ص77، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي ج1/ ص86.

(2) انظر: إيران في عهد الساسانيين، البروفيسور: آرتهر كرستنس، ترجمة يحيى الخشاب، ص: 155، ، ص: 183 – 233.

(3) هو محمد بن أحمد ابو الريحان البيروني الخوارزمي (262 – 440هـ)، فيلسوف رياضي مؤرخ، أقام في الهند وتوفي في خوارزم. له من المؤلفات: "الآثار الباقية عن القرون الخالية"، و"الجماهر في معرفة الجواهرو"، و"تاريخ الأمم الشرقية"، و"تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة". معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414 هـ – 1993م، ج/ 5، ص2330 – 2336، والموسوعة الاسلامية، مجموعة من المستشرقين، ط2، مكتبة بريل ليدن 1981 م1: 1236– 1238 والأعلام، الزركلي، مرجع سابق، ج5/ ص314.

(4) هو كشتاسب، ويقال: بشتاسب بن لهراسب، أحد ملوك الفرس، قتله رستم الشديد. تاريخ الأمم والملوك، الطبري: ج1/ ص561، الملل والنحل، الشهرستاني: ج1/ ص281، والكامل في التاريخ: ج1، ص298.

(5) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني، نشر: عالم الكتب، بيروت، ط: ط: 2، 1403هـ، ص19.

المسألة الثانية: مقالات الزرادشتية

الفرع الأول: في الإلهيات

– الشمس إله من آلهة الزردشتيين لأنها مصدر النور، كما أن الجدب عندهم من مصارد الظلمة.

– تقديس النار، وزرادشت هو أول من أدخلها على المجوسية.

وفي سبب تعظيمهم النار قال الدكتور: محمد إبراهيم الفيومي: «والمجوس إنما يعظمون النار لمعانٍ فيها، منها: أنها جوهر شريف علوي، ومنها: أنها ما أحرقت إبراهيم، ومنها: ظنهم أن التعظيم لها ينجيهم في "المعاد" من عذاب النار»[1].

– للنار والماء أهمية في الطقوس الزرادشتية والنصوص المقدسة تعتبر أن النار والماء يمثلان حياة مستقلة بحد ذاتها، ولا يخلو المعبد الزرادشتي من هذين العنصرين فالنار تعد الوسط الذي يزود الإنسان بالحكمة، وترمز إلى أهورامزدا، وأن الماء يعتبر مصدر هذه الحكمة، ولا يغسلون به وجوههم، وهو عندهم لا يستعمل إلاَّ للشرب أو ري الزرع، وهي تلى النار في التقديس، ثم يأتي بعدهما التراب والهواء[2].

الفرع الثاني: مقالاتهم في النبوات

«قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي: كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت»[3].

الفرع الثالث: مقالتهم في السمعيات

– للإنسان حياتان: حياة أولى تُحصى فيها أعماله، وحياة أخرى ينعم فيها أو

---

(1) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، الفيومي، نشر: دار الفكر العربي، ط: 4، 1415هـ–1994م، ص341. وسيأتي في المبحث القادم سببان آخران حسب رأي الشيخين.

(2) المرجع السابق،، الموضه نفسه.

(3) تلبيس إبليس: ص 69.

يشقى، وفي الحياة الثانية يتحدثون عن جهنم والصراط.

– الروح تهيم لمدة ثلاثة أيام بعد الوفاة قبل أن تنتقل إلى العالم الأخر.

يؤمن الزرادشتيون بالحساب، حيث أنهم يعتقدون أنَّ الزرادشتي الصالح سيخلد في الجنة إلى جانب زرادشت، في حين أنَّ الفاسق سيخلد في النار إلى جانب الشياطين.

– الجحيم عبارة عن منطقة باردة، وفيها حيوانات متوحشة تعاقب المذنبين في الدنيا.

– يعتقدون في غيبة (ساروشيانت بن زرادشت) وأنه سيرجع إلى الأرض لمناصرة (أهورامزدا) إله النور في صراعه مع (أهرمن) إله الظلمة، فيدحر إله النور إله الظلمة، ويكون الظفر له[1].

الفرع الرابع: طقوسهم وعباداتهم[2]

انقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس، وأصبحت الديانة عندهم عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنة خاصة.

ولدى الديانة الزردشتية العديد من الأعياد لكل السنة حسب التاريخ الفارسى، من أشهرها:

عيد النيروز، وهو عيد بداية العام، وأوانه الاعتدال الربيعي، وقد عرفته الأقوام الإيرانية منذ القدم، ولا يزال يعد عيداً قومياً في إيران اليوم وكردستان، إذ يكون بداية السنة الآرية، وكذلك بقية الدول التي يعيشون فيها.

---

(1) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، الفيومي، ص341.

(2) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408هـ – 1988م، ج2/ ص190، والزردشتية، موقع الموسوعة الحرة، مرجع سابق.

عيد المهرجان وأوانه الاعتدال الخريفي.

المطلب الرابع

المجوس والثنوية وعباد النار عند الإمامين

الملاحظ في هذا المبحث هو تداخل أقوال الطوائف الثلاث عند الإمامين:

فابن الجوزي وضع فصلاً للثنوية أولاً[1]، وكأنه –لاسمهم– يراهم الأصل باعتبار أنه لقب يشير لكل من قدس الإلهين: (النور والظلمة)، ثم وضع فصلاً لاحقاً للمجوس[2]، وطابق بينهم وبين الزرادشتية الذين لم يفردهم بفصل، ووضع فصلاً خاصاً لعباد النار[3]، واعتبر أن هذا المسمى يدخل فيه كثير من الطوائف، والزرادشتية طائفة كغيرها اتخذت النار معبوداً، وليس خاصاً بهم.

أما ابن القيم فوضع فصلاً للثنوية[4] وألحق المجوس بعده في أسطر[5] قليلة وكأنه يرى –كحال ابن الجوزي– أن مسمى الثنوية أوسع، أو لأن مسمى "المجوس" عنده انحصر في الزرادشتية لاحقاً، كما قال في كتابه "هداية الحيارى": «وأما المجوس فهم أهل مملكة فارس وما اتصل بها»[6]، ولعل ذلك لما آل إليه حالهم بعد استيلاء الملوك على الدولة الفارسية، وكانوا يؤمنون بزرادشت، فصار استعمال كلمة "مجوس" حكراً على الزرادشتية.

---

(1) تلبيس إبليس: ص 42.

(2) المرجع السابق: ص 69.

(3) المرجع السابق: ص 57.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص244.

(5) المرجع السابق: ج2/ ص 247

(6) هداية الحيارى، ابن القيم تحقيق: محمد أحمد الحاج، نشر: دار القلم– دار الشامية، جدة – السعودية، ط: 1، 1416هـ – 1996م، ص: 11.

ثم ذكر فصلاً خاصاً في "عباد النار"[1] كما صنع ابن الجوزي، وقصد بهم ما قصد ابن الجوزي من توسيع المسمى.

وهذا تفصيل ما أُجمل في ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: المجوس عند الإمامين

تناول ابن الجوزي طائفة المجوس تحت عنوان "ذكر تلبيس إبليس على المجوس"[2]، وذلك في عدة أمور، رتب الباحث عناوينها كالتالي:

- أصلهم وبداية ظهورهم
- عقائدهم ومقالتهم
- شرائعهم

أما ابن القيم فاختصر الحديث عن المجوس جداً، وفي أسطر معدودات، فذكر:

- التعريف بهم.
- عقائدهم ومقالاتهم.

وذلك بعد أن توسع في "الثنوية".

وعليه، يمكن حصر قول الإمامين في المجوس كالتالي:

1/ التعريف بالمجوسية وأصلها..

2/ عقائد المجوسية ومقالاتهم..

3/ جملة الردود على مقالات المجوسية..

4/ عبادات المجوسية وشرائعهم.

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 233.

(2) تلبيس إبليس: ص 69.

الفرع الأول: تعريف المجوسية وأصلها عند الإمامين

عرفهم ابن الجوزي بمطابقة قولهم للثنوية في النور والظلمة، فقال: «ومن أظرف تلبيس إبليس عليهم أنهم رأوا في الأفعال خيراً وشراً؛ فسوَّل لهم أن فاعل الخير لا يفعل الشر، فأثبتوا إلهين، وقالوا أحدهما نور حكيم لا يفعل إلاَّ الخير، والآخر شيطان هو ظلمة لا يفعل إلاَّ الشر على نحو ما ذكرنا عن الثنوية»[1].

وعرف بهم الإمام ابن القيم، فقال: «المجوس تعظِّم الأنوار والنيران والماء والأرض، ويقرون بنبوة زرادشت، ولهم شرائع يصيرون إليها»[2].

كما ذكر ابن الجوزي في أصل نحلتهم قولين، يشير الأول منهما إلى أن أصل دينهم سماوي، ويشير الثاني إلى أن أصله وضعي:

فقال بخصوص القول الأول: «وذكر بعض العلماء أنه كان للمجوس كتب يدرسونها وأنهم أحدثوا ديناً فرفعت كتبهم»[3].

وقال بخصوص القول الثاني: «قال يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي: كان أول ملوك المجوس كومرث فجاءهم بدينهم ثم تتابع مدعو النبوة فيهم حتى اشتهر بها زرادشت»[4].

ويمكن الجمع بين القولين باعتبار أن الملك كومرث هو الذي حرَّف الكتب السماوية كما فعل الأحبار بالديانة اليهودية والمسيحية، ولعل هذا هو السبب الذي لأجله قال أرباب الأديان للقوم شبه كتاب كما في المبحث السابق.

---

(1) تلبيس إبلبيس، ص 70.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 247.

(3) تلبيس إبلبيس، ص 70.

(4) تلبيس إبليس: ص 69.

ولكن لابن القيم رأي في كتب المجوس هذه، حيث قال: «فإن المجوس من أخبث الأمم ديناً ومذهباً، ولا يتمسكون بكتاب ولا ينتمون إلى ملة ولا يثبت لهم كتاب ولا شبهة كتاب أصلاً»[1].

وقال: «وأما المجوس فلم يكونوا على كتاب أصلا، ولا دانوا بدين أحد من الأنبياء، لا في عقائدهم ولا في شرائعهم، والأثر الذي فيه أنه كان لهم كتاب فرفع ورفعت شريعتهم لما وقع ملكهم على ابنته لا يصح البتة، ولو صح لم يكونوا بذلك من أهل الكتاب، فإن كتابهم رفع وشريعتهم بطلت فلم يبقوا على شيء منها»[2].

الفرع الثاني: عقائدهم ومقالاتهم عند الإمامين

1- في الإلهيات:

قال ابن الجوزي أنهم:

- «يقولون أن الله -تعالى عن ذلك- شخص روحاني، ظهر فظهرت معه الأشياء روحانية تامة»[3].

قال: «وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان[4]، كان بينهما فضاء، وكانت الدنيا سليمة من آفة، والشيطان بمعزل عنها، فاحتال إبليس حتى خرق السماء بجنوده، فهرب الرب -عز وجل من فعلتهم وتقدس عن قولهم- فاتبعه إبليس حتى حاصره وحاربه ثلاث آلاف سنة، لا هو يصل إليه، ولا الرب عز وجل يدفعه. ثم

---

(1) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، نشر: رمادى - الدمام، ط: 1، 1418هـ - 1997م، ج1/ ص242.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ /1994م، ج5/ ص84.

(3) تلبيس إبليس: ص 69، وقد حكى هذا القول نقلاً عن "يحيى بن بشر النهاوندي".

(4) كونهما قديمان فهذا يوافق قول الثنوية.

صالحه على أن يكون إبليس وجنوده في الدنيا سبعة آلاف سنة، ورأى الرب أن الصلاح في احتمالِ مكروهِ إبليس إلى أن ينقضي الشرط فالناس في بلايا إلى انقضائه، ثم يعودون إلى النعيم.

وشرط إبليس عليه أن يمكنه من أشياء رديئة فوضعها في هذا العالم وأنهما لما فرغا من شرطهما أشهدا عدلين ودفعا سيفيهما إلى العدلين وقالا: من نكث فاقتلاه!. في هذيانات كثيرة يضيع الوقت لذكرها فتنكبناها لذلك ونذكر ما انتهى تلبيس إبليس إليه ما آثرنا ذكر شيء من هذا التخليط»[1].

ثم حكي كيفية ظهور فكرة الإلهين لاحقاً، فقال:

«زعم بعضهم أن الخالق هو النور، ففكر فكرة رديئة فقال: أخاف أن يحدث في ملكي من يضادني، وكانت فكرته رديئة، فحدث منها إبليس، فرضي إبليس أن ينسب إلى الرداءة بعد إثبات أنه شريك!»[2].

وبين نوع هذه الفكرة في عدة أقوال، فقال:

- «قال (يعني النور): لا يتهيأ لغيري أن يبتدع مثل هذه التي ابتدعتها، فتولد من فكرته هذه ظلمة؛ إذ كان فيها جحود لقدرة غيره، فقامت الظلمة تغالبه»[3].

- «وحكى النوبختي أن بعضهم قال: أن الخالق شك في شيء، فكان الشيطان من ذلك الشك»[4].

ومن أقوال المجوس أيضاً:

---

(1) تلبيس إبليس: ص 70.

(2) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(3) المرجع السابق: ص 69.

(4) المرجع السابق: ص 70.

أن الأرض لا نهاية لها من أسفلها..

وأن السماء جلد من جلود الشياطين..

والرعد إنما هو حركة خرخرة العفاريت المحبوسة في الأفلاك المأسورة في حرب والجبال من عظامهم والبحر من أبوالهم ودمائهم[1].

أما ابن القيم فلم يذكر من أقوالهم في الإلهيات بعد الذي تقدم في التعريف بهم سوي قول لطائفة الخُرَّمية[2] منهم، قال: «وهم شر طوائفهم لا يقرون بصانع ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام»[3].

الفرع الثالث: جملة الردود على قول الثنوية: "إن الصانع اثنان" عند الإمامين

قال ابن الجوزي: «وقد رد العلماء عليهم في قولهم إن الصانع اثنان!. فقالوا: لو كان اثنين لم يخل أن يكونا قادرين أو عاجزين، أو أحدهما قادر والثاني عاجز، لا يجوز أن يكونا عاجزين؛ لأن العجز يمنع ثبوت الألوهية ولا يجوز أن يكون أحدهما عاجزا فبقي أن يقال هما قادران فتصور فيها أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم في حالة يريد الآخر تسكينه ومن المحال وجود ما يريدانه فإن تم مراد أحدهما ثبت عجز

---

(1) تلبيس إبليس: ص 70.

(2) الخُرَّمية: خُرم لفظ أعجمي ينبي عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الإنسان له، ومقصود هذه الاسم تسليط الناس على اتباع اللذات وطلب الشهوات، والخُرمية صنفان: صنف منهم كانوا قبل دولة الاسلام، كالمزدكية الذين استباحوا المحرمات، وزعموا أن الناس شركاء فى الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء الى ان قتلهم انوشروان فى زمانه، والصنف الثانى خرمدينية، ظهروا في دولة الاسلام، وهم فريقان: بابكية، وما زيارية، وكلتاهما معروفة بالمحمِّرة، وقد اتخذت التشيع ملجأ لها، وقوي نشاطها في العهد العباسي، حيث ادعى بابك الخُرمي الألوهية، وتم القضاء عليه وعلى أتباعه سنة 220هـ. الفرق بين الفرق، البغدادي، مرجع سابق، ص251، فضائح الباطنية، الغزالي، نحقيق: عبد الرحمن بدوي، نشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت، ص14، وتلبيس إبليس: ص: 95.

(3) إغاثة اللهفان، ص 247.

الآخر»[1].

قال ابن الجوزي: «وردوا عليهم في قولهم إن النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر، فإنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير قد صدر من شر. ولا ينبغي مد النفس في الكلام مع هؤلاء؛ فإن مذهبهم خرافات»[2].

وقال: «فيقال لهم: إذا أقررتم أن النور خلق الشيطان فقد خلق رأس الشر»[3].

الفرع **الرابع:** عبادات المجوس وشرائعهم عند الإمامين

قال ابن الجوزي عن شرائع المجوس عامة وما سنه لهم زرادشت: «وكان ممَّا سنه زرادشت:

- عبادةُ النار..

- والصلاةُ إلى الشمس، يتأولون فيها أنها ملكة العالم، وهي التي تأتي بالنهار وتذهب بالليل، وتحيي النبات والحيوانات، وترد الحرارات إلى أجسادها..

- وكانوا لا يدفنون موتاهم في الأرض تعظيماً له؛ وقالوا: لأن به حياة كل شيء، إلاَّ أن يستعملوا قبله بول البقر ونحوه، ولا يبزقون فيه..

- ولا يرون قتل الحيوانات ولا ذبحها..

- وكانوا يغسلون وجوههم ببول البقر تبركاً به، وإذا كان عتيقاً كان أكثر بركة..

- ويستحلون فروج الأمهات، قالوا: الابن أحرى بتسكين شهوة أمه! وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة، فإن لم يكن له ابن كترى رجلاً من مال الميت..

- ويجيزون للرجل أن يتزوج بمائة وألف..

---

(1) تلبيس إبليس: ص 43.

(2) المرجع السابق: ص 43.

(3) المرجع السابق: ص 70.

- وإذا أرادت الحائض أن تغتسل دفعت ديناراً إلى الموبذ[1]، ويحملها إلى بيت النار ويقيمها على أربع وينظفها بسبابته»[2].

- وقال عن شرائع مزدك[3]:

«أباح النساء لكل من شاء، ونكح نساء قباذ لتقتدي به العامة فيفعلون في النساء مثله، فلما بلغ إلى أم أنو شروان قال لقباذ: أخرجها إلي، فإنك إن منعتني شهوتي لم يتم إيمانك! فهمَّ بإخراجها، فجعل أنو شروان يبكي بين يدي مزدك ويقبل رجله بين يدي أبيه قباذ، ويسأله أن يهب له أمه، فقال قباذ لمزدك: ألست تزعم أن المؤمن لا ينبغي أن يرد عن شهوته؟ قال: بلى، قال: فلم ترد أنو شروان عن شهوته؟ قال قد وهبتها له..

- ثم أطلق الناس في أكل الميتة»[4].

وحكى ابن القيم قول المزدكية فقط في شرائعهم، ونسبهم للمجوسية، فقال:

«منهم المزدكية: أصحاب مزدك الموبذ، والموبذ عندهم: العالم القدوة، وهؤلاء يرون الإشتراك في النساء والمكاسب، كما يشترك في الهواء والطرق وغيرها»[5].

المسألة الثانية: الثنوية عند الإمامين

يلاحظ التشابه الذي يصل لحد التطابق كثيراً في بيان هذه الطائفة عند الإمامين،

---

(1) المؤبذ: العالم القدوة عندهم، كما سيأتي في كلام ابن القيم.

(2) تلبيس إبليس: ص 69.

(3) تقدم في المبحث السابق أن المزدكية من فرق الثنوية المجوس!.

(4) تلبيس إبليس: ص 69.

(5) إغاثة اللهفان: ج2/ ص247، وقال أيضاً: «وأمة "المجوس" منهم، تستفرش الأمهات والبنات والأخوات، دع العمات والخالات، دينهم الزمر، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمر، ومعبودهم النار، ووليهم الشيطان، فهم أخبث بني آدم نحلة، وارداهم مذهباً، وأسوأهم اعتقاداً». "هداية الحيارى، ط: دار ابن زيدون، ج3/ ص6.

مما يشير إلى نقل الإمام ابن القيم عن سلفه ابن الجوزي، فقط ربما خالف ابن القيم ابن الجوزي في بعض الترتيب، كما أنه زاد من هنا وهناك، سيما في حديثه عن مذهب الرازي[1] حيث لم يذكره ابن الجوزي.

وقد تناول ابن الجوزي طائفة "الثنوية" تحت عنوان: "ذكر تلبيسه على الثنوية"[2]، وذلك في ذلك عدة أمور، رتب الباحث عناوينها كالتالي:

- التعريف بهم..
- عقائدهم ومقالتهم في الإلهيات والسمعيات..
- عباداتهم وشرائعهم.

أما ابن القيم فقد تناول موضوع "الثنوية" تحت عنوان: «فصل: ومن تلاعبه وكيده تلاعبه بالثنوية»[3]، وهذه رؤوس مواضيعه في الثنوية:

- تعريف الثنوية..
- شرائعهم..
- أقوالهم وعقائدهم في الإلهيات والسمعيات..

وعليه، يمكن حصر قول الإمامين في الثنوية كالتالي:

1/ التعريف بالثنوية وأصلهم..

2/ عقائدهم ومقالاتهم..

3/ مذهب بن زكريا الرازي خاصة.

---

(1) يأتي التعريف به قريباً.

(2) تلبيس إبليس: ص 42.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 244.

الفرع الأول: التعريف بالثنوية وأصلهم عند الإمامين

قال ابن الجوزي: «هم قوم قالوا صانع العالم اثنان: ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة»[1].

وقال ابن القيم: «هم طائفة قالوا الصانع اثنان: ففاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة»[2].

كما نجد أن ابن الجوزي وصف خلفيتهم بـ"القدرية"[3]، فقال: «انقسمت القدرية اثنتي عشرة فرقة: ...

والثنوية: وهي التي زعمت أن الخير من الله والشر من إبليس...»[4].

وسبب مقالتهم -كما ذكر ابن الجوزي-: «والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شراً واختلافاً، فقالوا: لا يكون من أصل واحد شيآن مختلفان، كما لا يكون من النار: التبريد والتسخين»[5].

قال ابن القيم: «وأصل عقد مذهبهم الذي عليه خواصهم: إثبات القدماء الخمسة: الباري، والزمان، والخلاء، والهيولي، وإبليس. فالباري: خالق الخيرات وإبليس: خالق

(1) تلبيس إبليس: ص 42

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 244.

(3) القدرية: من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الجبرية المثبتين للقدر لكنهم يقولون العبد مجبور في جميع حركاته، وتطلق أيضاً على من ينفون الإرادة عن الله تعالى، ويقولون بأن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعنيون في الأثر: "القدرية مجوس هذه الأمة". رسالة السنة، أحمد بن حنبل، بتصحيح إسماعيل الأنصاري، نشر: رئاسة البحوث العلمية، السعودية، ص81، وخلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د/ عبد الرحمن عميرة، نشر: دار المعارف السعودية – الرياض ص113، ومجموع فتاوى ابن تيمية، ج8/ ص256 – 261، وشرح الطحاوية، ابن أبي العز، ص524.

(4) تلبيس إبليس: ص 20.

(5) تلبيس إبليس: ص 43.

الشرور »[1].

قال: «وكان محمد بن زكريا الرازى[2] على هذا المذهب، لكنه لم يثبت إبليس، فجعل مكانه النفس، وقال بقدم الخمسة، مع ما رشحه به من مذاهب الصابئة والدهرية والفلاسفة والبراهمة، فكان قد أخذ من كل دين شر ما فيه، وصنف كتاباً فى إبطال النبوات، ورسالة فى إبطال المعاد، فركب مذهباً مجموعاً من زنادقة العالم»[3].

قال ابن القيم: «فدار مذهبهم على أصلين من أبطل الباطل:

أحدهما أن شر الموجودات وأخبثها وأردأها كفؤ لخير الموجودات، وضد له ومناوئ له، يعارضه ويضاده ويناقضه دائماً، ولا يستطيع دفعه!.

وهذا أعظم من شرك عباد الأصنام الذين عبدوها لتقربهم إلى الله تعالى؛ فإنهم جعلوها مملوكة له مربوبة مخلوقة، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلاَّ شريك هو لك تملكه ومالك.

والأصل الثاني أنهم نزهوا النور أن يصدر منه شر، ثم جعلوه منبع الشر كله وأصله ومولده، وأثبتوا إلهين وربين وخالقين، فجمعوا بين الكفر بالله تعالى وأسمائه وصفاته، ورسله، وأنبيائه، وملائكته، وشرائعه، وأشركوا به أعظم الشرك»[4].

الفرع الثاني: كيفية ظهور فكرة الإلهين عند الثنوية

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 246.

(2) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، (251 – 313هـ) الطبيب الفيلسوف الكبير، ولد بالري وتوفي ببغداد، له من المؤلفات: "الحاوي"، "خواص الأشياء"، "سر الصناعة"، وغيرها كثير، انظر ترجمته في: طبقات الأطباء، ابن جلجل والحكماء، ابن جلجل، تحقيق الأستاذ فؤاد السيد، ط. المعهد الفرنسي، القاهرة، 1955، ص 77، 78، والأعلام، الزركلي، ج6/ ص130.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص246.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 245.

قال ابن القيم: «واختلفوا هل الظلمة: قديمة أو حادثة:

فقالت فرقة منهم: هي قديمة، لم تزل مع النور.

وقالت فرقة: بل النور هو القديم، ولكنه فكَّر فكرة رديئة حدثت منها الظلمة»(1).

وقال: «وقال بعضهم: إن الباري سبحانه لما طالت وحدته استوحش ففكَّر فكرةَ سوء؛ فتجسمت فكرته، فاستحالت ظلمة، فحدث منها إبليس، فرام الباري إبعاده عن نفسه فلم يستطع، فتحرز منه بخلق الجنود والخيرات، فشرع إبليس في خلق الشر»(2).

وقال ابن الجوزي: «وذكر يحيى بن بشر النهاوندي أن قوماً منهم يقال لهم "الديصانية"، زعموا أن طينة العالم كانت طينة خشنة، وكانت تحاكي جسم الباري الذي هو النور زماناً، فتأذى بها، فلما طال عليه ذلك قصد تنحيتها عنه، فتوحل فيها واختلط بها، فتركب منها هذا العالم النوري والظلمي، فما كان من جهة الصلاح فمن النور، وما كان من جهة الفساد فمن الظلمة»(3).

وقال ابن القيم بنفس قول ابن الجوزي في فرقة الديصانية، وقولهم في ظهور إلـهين(4).

الفرع الثالث: مقالات الثنوية وعباداتهم عند الإمامين

1- عقائدهم في الإلـهيات عند الإمامين

قال ابن الجوزي عن إلـهيهما: «وهما قديمان، لم يزالا ولن يزالا قويين حساسين سميعين بصيرين، وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير،

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 245.

(2) المرجع السابق: ج2/ ص 246، ويلاحظ أنَّ هذه العقائد ذكرها ابن الجوزي سابقاً عن المجوسية.

(3) تلبيس إبليس: ص 43.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص244.

فجوهر النور فاضل حسن نير صاف نقي طيب الريح حسن المنظر، ونفسه نفس خيرة كريمة حكيمة نفاعة، منها الخير واللذة والسرور والصلاح، وليس فيها شيء من الضرر ولا من الشر.

وجوهر الظلمة على ضد ذلك من: الكدر والنقص ونتن الريح وقبح المنظر، ونفسه نفس شريرة بخيلة سفيهة منتنة ضرارة، منها الشر والفساد»[1].

وقال ابن القيم بنفس قول ابن الجوزي[2].

«قال[3]: وزعم بعضهم أن النور لم يزل فوق الظلمة..

وقال بعضهم: بل كل واحد إلى جانب الآخر..

وقال أكثرهم: النور لم يزل مرتفعاً في ناحية الشمال، والظلمة منحطة في ناحية الجنوب، ولم يزل كل واحد منهما مبايناً لصاحبه»[4].

وقال ابن القيم بنفس ما نقله قول ابن الجوزي عن النوبختي[5].

قال ابن الجوزي: «قال النوبختي: وزعموا أن كل واحد منهما له أجناس خمسة، أربعة منها أبدان، وخامس هو الروح.

وأبدان النور أربعة: النار، والريح، والتراب، والماء، وروحه الشبح! ولم تزل تتحرك في هذه الأبدان.

وأبدان الظلمة أربعة: الحريق، والظلمة، والسموم، والضباب، وروحها الدخان».

---

(1) تلبيس إبليس: ص 42.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص244.

(3) أي النوبختي.

(4) تلبيس إبليس: ص 42.

(5) إغاثة اللهفان: ج2/ ص244.

وقال ابن القيم بنفس ما نقله قول ابن الجوزي عن النوبختي[1].

قال ابن الجوزي عن النوبختي: «وأن النور لا يقدر على الشر، ولا يجوز منه، والظلمة لا تقدر على الخير، ولا تجوز منه»[2].

ونقل ابن القيم ذات الكلام الذي نقله ابن الجوزي[3].

2- عقائدهم في السمعيات عند الإمامين

ومن السمعيات ذكر ابن الجوزي عقيدة القوم في الملائكة والشياطين فقال:

«وسموا أبدان النور ملائكة، وسموا أبدان الظلمة شياطين وعفاريت.

وبعضهم يقول: الظلمة تتوالد شياطين، والنور يتوالد ملائكة»[4].

وبنحوه قال ابن القيم[5].

3- شرائعهم وعباداتهم عند الإمامين

قال ابن الجوزي: «وذكر لهم[6] مذاهب مختلفة فيما يتعلق بالنور والظلمة، ومذاهب سخيفة فمنها:

- أنه فرض عليهم ألاَّ يدخرون إلاَّ قوت يوم..
- وقال بعضهم على الإنسان صوم سبع العمر..
- وترك الكذب والبخل والسحر وعبادة الأوثان والزنى والسرقة..

---

(1) إغاثة اللهفان،ج2/ ص244.

(2) تلبيس إبليس: ص 42.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص244.

(4) تلبيس إبليس: ص 42.

(5) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 244.

(6) يعني النوبختي.

- وأن لا يؤذي ذا روح..

في مذاهب طريفة اخترعوها بواقعاتهم الباردة»[1].

وقال ابن القيم بنفس قول ابن الجوزي[2].

ومن طقوسهم ما ذكره ابن الجوزي عن "الديصانية"، فقال: «وهؤلاء يغتالون الناس، ويخنقونهم، ويزعمون أنهم يخلصون بذلك النور من الظلمة! مذاهب سخيفة»[3].

وقال ابن القيم بنفس قول ابن الجوزي[4].

المسألة الثالثة: عباد النار عند الإمامين

تناول ابن الجوزي "عباد النار" تحت عنوان: "ذكر تلبيسه على عابدي النار ..."[5]، وذلك في العناوين التالية:

- سبب عبادة القوم للنار
- بداية عبادة النار (قابيل)..
- زرادشت، وأثره في المجوسية..
- بيوت النار في العالم..

أما الإمام ابن القيم فقد تناول الديانة تحت عنوان: "فصل ومن كيده وتلاعبه ما

(1) تلبيس إبليس: ص 42.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 245.

(3) تلبيس إبليس: ص 43.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 246.

(5) تلبيس إبليس: ص 57.

تلاعب بعباد النار حتى اتخذوها إلها معبودة"[1]، وفيه ذكر النقاط التالية:

- بداية عبادة النار..
- أصناف عبدة النار..
- سبب عبادتهم لها وتفضيلها على التراب..
- كيفية عبادتها..

ويمكن تلخيص قوليهما معاً تحت المسائل التالية:

1- سبب عبادة النار، وأول من عبدها..

2- طقوسهم في عبادة النار..

وهذا بيانها:

الفرع الأول: تعريف عباد النار وسبب عبادتهم لها

من خلال ما سيأتي يتبين أن مقصد الشيخين بعباد النار عامة من يعبد النار من أمم الأرض، بما فيهم دولة الفرس، وديانة ملوكها الزرادشتية كما تقدم.

وفي بيان سبب عبادتهم النار ذكر ابن الجوزي سبب عبادة بعض الناس للنار فقال: «لبس إبليس على جماعة، فحسن لهم عبادة النار، وقالوا: هي الجوهر الذي لا يستغني العالم عنه، ومن ههنا زين عبادة الشمس»[2].

أما ابن القيم فقال في نفس السياق: «وعباد النار يفضلونها على التراب، ويعظمونها ويصوبون رأي إبليس، وقد رُمي بشار بن برد[3] بهذا المذهب؛ لقوله في

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 233.

(2) تلبيس إبليس: ص 57.

(3) بشار بن برد العقيلي بالولاء، الضرير، أبو معاذ، (95 – 167هـ)، أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من "طخارستان" غربي نهر جيحون، نشأ في البصرة وقدم بغداد، واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة، له ديوان مجموع باسمه. "بشار بن برد"، إبراهيم عبد القادر المازني، والأعلام ج2/ ص52.

قصيدته[1]:

الأرض سافلة سوداء مظلمة   والنار معبودة مذ كانت النار

ويقولون: إنها أوسع العناصر خيراً، وأعظمها جرماً، وأوسعها مكاناً، وأشرفها جوهراً، وألطفها جرماً، ولا كون في العالم إلاَّ بها، ولاَّ نمو ولا انعقاد إلاَّ بممازجتها»[2].

ونقل الإمامان عن ابن جرير الطبري: أن قابيل ابن آدم هو أول من عبد النار..

قال ابن الجوزي: «وذكر أبو جعفر بن جرير الطبري أنه لما قتل قابيل هابيل، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن أتاه إبليس، فقال له: إن هابيل إنما قبل قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدم النار ويعبدها، فانصب أنت ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار؛ فهو أول من نصب النار وعبدها»[3].

وقال ابن القيم: «وقد قيل إن هذا كان من عهد قابيل كما ذكر أبو جعفر محمد بن جرير»[4] ثم ذكر القصة.

والملاحظ أن ابن القيم ذكرها بصيغة التمريض كما مر التنبيه عليه في فصل "المقارنة بين الكتابين"؛ وذلك أنه يرجح ضعف القصة ويشك في ثبوتها.

وقد سبق أن ملك المجوس "كومرث" أحيى فكرة عبادة النار، ثم نشرها واشهرها من بعده زرادشت، وذكر ابن الجوزي حيلة زرادشت لنشر هذه الفكرة بين المجوس فقال: «وقد كان زرادشت وضع ناراً زعم أنها جاءت من السماء فأكلت قربانهم، وذلك أنه بنى بيتاً وجعل في وسطه مرآة ولف القربان في حطب وطرح عليه الكبريت، فلما

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 234.

(2) المرجع السابق: ج2/ ص 234.

(3) تلبيس إبليس: ص 57.

(4) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 233، والقصة ذكرها ابن جرير في كتابه: تاريخ الرسل والملوك، نشر: دار التراث – بيروت، ط: الثانية – 1387هـ، ج1/ ص 165 بغير إسناد.

استوت الشمس في كبد السماء قابلت كوة قد جعلها في ذلك البيت، فدخل شعاع الشمس فوقع على المرآة فانعكس على الحطب فوقعت فيه النار، فقال لا تطفؤا هذه النار»[1].

أما ابن القيم فلم يذكر زرادشت إلاَّ في معرض إقرار المجوس بنبوته فقط كما سبق.

الفرع الثاني: طقوسهم في عبادة النار

قال ان الجوزي: «وقد بنى عابدوا النار لها بيوتاً كثيرة، فأول من رسم لها بيتاً أفريدون، فاتخذ لها بيتا بطرطوس وآخر ببخارى، واتخذ لها بهمن بيتاً بسجستان، واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى، وبنيت بعد ذلك بيوت كثيرة لها»[2].

وقال ابن القيم: «وسرى هذا المذهب في المجوس، فبنوا لها بيوتاً كثيرة واتخذوا لها الوقوف والسدنة والحجاب فلا يدعوها تخمد لحظة واحدة فاتخذ لها إفريدون بيتا بطوس وآخر ببخارى واتخذ لها بهمن بيتا بسجستان واتخذ لها أبو قباذ بيتاً بناحية بخارى واتخذت لها بيوت كثيرة»[3].

وأما عن كيفية عبادتها فقد ذكرها ابن القيم، ولم يذكرها ابن الجوزي.

قال ابن القيم: «ومن عبادتهم لها: أن يحفروا لها أخدودا مربعا في الأرض ويطوفون به، وهم أصناف مختلفة:

فمنهم من يحرم إلقاء النفوس فيها وإحراق الأبدان بها، وهم أكثر المجوس..

وطائفة أخرى منهم تبلغ بهم عبادتهم لها إلى أن يقربوا أنفسهم وأولادهم لها، وهؤلاء

---

(1) تلبيس إبليس: ص 58.

(2) المرجع السابق: ص 58.

(3) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 233 ، 234.

أكثر ملوك الهند وأتباعهم، ولهم سنة معروفة في تقريب نفوسهم وإلقائهم فيها، فيعمد الرجل الذي يريد أن يفعل ذلك بنفسه أو بولده أو حبيبه فيحمله، ويلبسه أحسن اللباس وأفخر الحلبي، ويركبه أعلى المراكب وحوله المعازف والطبول والبوقات، فيزف إلى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه، حتى إذا ما قابلها ووقف عليها وهي تأجج طرح نفسه فيها، فضج الحاضرون ضجة واحدة بالدعاء له، وغبطته على ما فعل، فلا يلبث إلاَّ يسيراً حتى يأتيهم الشيطان في صورته وشكله وهيأته لا ينكرون منه شيئا، فيأمرهم بأمره، ويوصيهم بما يوصيهم به، ويوصيهم بالتمسك بهذا الدين ويخبرهم، أنه صار إلى جنة ورياض وأنهار، وأنه لم يتألم بمس النار له، فلا يهولنهم ذلك ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله.

ومنهم زهاد وعباد يجلسون حول النار صائمين عاكفين عليها.

ومن سنتهم: الحث على الأخلاق الجميلة: كالصدق، والوفاء، وأداء الأمانة، والعفة، والعدل، وترك أضدادها. ولهؤلاء شرائع في عبادتها ونواميس وأوضاع لا يخلون بها»[1].

وهذا الأخير يدل على إنصاف ابن القيم، وعدم تعنته في الحكم على المخالف.

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 235.

المبحث الرابع

الصــــابـئـــة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالصابئة وبيان فرقهم وأقسامهم

المطلب الثاني: الصابئة عند الإمامين

المبحث الرابع

الصـابـئــة

المطلب الأول

التعريف بالصابئة وبيان فرقهم وأقسامهم

المسألة الأولى: تعريف الصابئة لغة واصطلاحاً

الصابئة لغة: في أصل اشتقاقها ثلاثة أقوال:

1- أنها عربية، أو لغة سامية قديمة لعرب ما بين النهرين من العراق.

واختلف من ذهب إلى ذلك في اشتقاقها كالتالي:

- من صبأ جمع صابىء، اسم فاعل، ومعناه خرج أو ظهر، وبالهمزة قرأ الجمهور. أو من "صبا" أو "صاب" إذا مال..

فعلى الهمز، قال ابن جرير: «هو المستحدث سوى دينه، ديناً، كالمرتدّ من أهل الإسلام عن دينه. وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره تسميه العرب "صابئاً" يقال منه: صبا فلان يصبو صباء، ويقال: صبأت النجوم إذا طلعت»[1].

وقال ابن القيم: «سموا صابئين كأنهم صبئوا عن التعبد بكل ملة من الملل والانتساب إليها؛ ولهذا قال غير واحد من السلف: ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مجوساً»[2].

وقيل: نسبة إلى صابئ بن متوشلخ بن إدريس عليه السلام، وكان على الحنيفية[3]

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ج2/ ص34.

(2) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ج1/ ص 241.

(3) تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، مرجع سابق ج1/ ص 174.

الأولى.

وقيل: إلى الصابئ بن ماري، وكان في عصر الخليل عليه السلام.

وعلى التخفيف: جمع صاب منقوصاً بالتخفيف من غير همز، وبه قرأ نافع وحده، ويدل على نفس المعنى السابق.

– أصلها من "سبأ"؛ لأن دينهم أتى به قوم من سبأ[1]!. وهو قول شاذ لبعض علماء الإفرنج[2].

– أصلها من سبح، والقوم "سابحة" فحرفت إلى "صابئة"! لاستحمام في مياه الأنهار.

وقيل أصلها: "اصطبغ"، من "صبا"، إذا غطس في الماء، لغة مندائية.

2– أنها كلمة عبرية، أصلها من (ص ب غ) وهو أصل عبري بمعنى غطس، لأنهم يقومون بالتعميد في الماء[3].

3– أنها كلمة آرامية[4]، تدل على التطهير[5].

---

(1) قبيلة في اليمن سمّيت باسم جدِّها، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان،وإنّما سمّي سبأ لأنّه أوّل من سبى السّبي، كما سمِّيت الأرض المدينة باسمه، وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث مراحل، ثم صارت دولة في شرق اليمن في القرن العاش. اشتهرت تاريخيًّا بملكتها "بلقيس" وبسدّها العظيم "سد مأرب" الذي كان تهدّمه إيذاناً بأفول نجم الحضارة السّبئيّة. الشبكة العنكبوتية، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج3/ ص181 ، 182.

(2) دائرة المعارف الإسلامية، مرجع سابق، مادة صبأ، ج ص .

(3) المرجع السابق، وانظر: الصابئين، الأمة المقتصدة، د/ أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر، ط1، 2003هـ، ص6.

(4) إحدى اللغات السامية القديمة. الموسوعة العربية العالمية، مادة: "الآرامية" ج1/ ص449، وانظر: الصابئة، د/ علي محمد عبد الوهاب، دار ركابي – القاهرة، ط: 1 1996م، ص25.

(5) وانظر: روح المعاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1415هـ، ج1/ ص279 ، 280، دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ج8/ 451، دار المعرفة بيروت ط الثالثة 1971م.

والصابئة اصطلاحاً[1]: اختلف الناس في تحديد مذهب الصابئة اختلافاً عريضاً، وذلك بسبب ما يكتنف تاريخهم من غموض، ولعل مدار أقوالهم لا يخرج عن الأقوال التالية:

الأول: هم قوم لا دين لهم، فهو اسم يلزم كل من خرج من دين إلى غير دين بغير تحديد لطائفة بعينها، حتى لو كان قومه يهوداً، أو نصاري، أو مجوساً فخرج عن دين قومه. وإلى هذا ذهب مجاهد وغيره، وتقدم في كلام ابن جرير ما يؤيده.

الثاني: هم قوم ينطقون بـ"لا إله إلاَّ الله"، ولكنهم بلا شريعة ولا نبيّ. وهو مروي عن وهب ابن منبه، وعبد الرحمن بن زيد من التابعين.

قال ابن كثير: «ولهذا كان المشركون ينبذون من أسلم: بالصابئ، أي: أنه قد خرج عن سائر أديان أهل الأرض إذ ذاك»[2].

الثالث: أنهم وثنيون يؤمنون بالخالق ويعبدون الكواكب يتقربون بها إلى الله، وإليه ذهب الشهرستاني .

قال الدكتور محمد إبراهيم الفيومي[3]: «فهم قوم يعظمون الكواكب بناء على تفسيرين:

- الأول: أن خالق العالم: الله إلاَّ أنه أمر بتعظيم هذه الأجرام.
- الثاني: أنه خلق الأفلاك والكواكب وفوض التدبير إليها، فيجب على البشر

---

(1) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، ج2، ص32 – 37، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج1/ ص88 – 90، الملل والنحل، الشهرستاني ج2/ ص5–57، اعتقادات ص 90، والبرهان ص 932، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ج2/ ص 714 ، 722.

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ج1/ ص287.

(3) محمد إبراهيم الفيومي، عالم مصري أزهري معاصر، توفي سنة 1427هـ.

تعظيمها؛ لأنها هي المدبرة لهذا العالم»[1].

الرابع: هم قوم بين أهل الكتاب (يهود أو نصارى) وبين المجوس، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير[2].

السادس: هم قوم من أهل الكتاب، قاله السُّدي من التابعين.

السابع: قال ابن القيم: «هم قوم إبراهيم، كما أنَّ اليهود قوم موسى، والحنفاء منهم أتباعه»[3].

الثامن: قال ابن تيمية عن هؤلاء: «فهم متمسكون بالإسلام المشترك وهو عبادة الله وحده وإيجاب الصدق والعدل وتحريم الفواحش والظلم ونحو ذلك مما اتفقت الرسل على إيجابه وتحريمه فان هذا دخل في الإسلام العام الذي لا يقبل الله ديناً غيره ... وهذا كما كانت العرب عليه قبل أن يبتدع عمرو بن لحي الشرك وعبادة الأوثان فإنهم كانوا حنفاء يعبدون الله وحده ويعظمون إبراهيم وإسماعيل ولم يكن لهم كتاب يقرؤونه ويتبعون شريعته»[4].

والملاحظ أن الغموض والتأثر بالمحيط صفة تلازم هذه الطائفة، كما قال ابن القيم بعد ذكره جملة من مقالاتهم: «هذا بعض ما نقله أرباب المقالات عن دين الصابئة، وهو بحسب ما وصل إليهم، وإلاَّ فهذه الأمة فيهم المؤمن بالله وأسمائه وصفاته وملائكته ورسله واليوم الآخر، وفيهم الكافر، وفيهم الآخذ من دين الرسل بما وافق عقولهم واستحسنوه فدانوا به ورضوه لأنفسهم.

وعقد أمرهم أنهم يأخذون بمحاسن ما عند أهل الشرائع بزعمهم، ولا يوالون أهل

---

(1) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، د/ محمد إبراهيم الفيومي ص 274 ، 274.

(2) انظر تفسير ابن كثير في الموضع السابق.

(3) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ج1/ ص242.

(4) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان (بدون) ص: 455.

ملة، ويعادون أخرى ولا يتعصبون لملة على ملة، والملل عندهم نواميس لمصالح العالم، فلا معنى لمحاربة بعضها بعضا بل يؤخذ بمحاسنها وما تكمل به النفوس وتتهذب به الأخلاق»[1].

وفي تفسير ظاهرة خفاء حقيقة هذه الطائفة عن العلماء، وسبب قابلية منتسبيها للذوبان في غيرهم، والتأثر بهم سواء كانوا مسلمين، أو أهل كتاب، أو وثنيين، قال الطاهر بن عاشور[2]: «كان أهل هذا الدين نبطاً في بلاد العراق، فلما ظهر الفرس على إقليم العراق أزالوا مملكة الصابئين ومنعوهم من عبادة الأصنام، فلم يجسروا بعد على عبادة أوثانهم، وكذلك منع الروم أهل الشام والجزيرة من الصابئين، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على التنصر فبطلت عبادة الأوثان منهم من ذلك الوقت وتظاهروا بالنصرانية، فلما ظهر الإسلام على بلادهم اعتبروا في جملة النصارى، وقد كانت صابئة بلاد كسكر والبطائح معتبرين صنفاً من النصارى، ينتمون إلى النبيء يحيى بن زكرياء، ومع ذلك لهم كتب يزعمون أن الله أنزلها على شيث بن آدم، ويسمونه "أغاثاديمون"، والنصارى يسمونهم "يوحناسية" نسبة إلى يوحنا، وهو يحيى»[3].

والذي يستخلص من مجموع ما قيل فيهم أن أصلهم طائفة وثنية يؤمنون بالخالق ويعبدون الكواكب يتقربون بها إلى الله، ثم إنهم تأثروا لاحقاً بالمجوسية لما ظهر الفرس على العراق، وتأثر من كان منهم بالشام بالنصرانية لما ظهر الروم على بلاد الشام؛

---

(1) أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ج1/ ص241.

(2) هو محمد الطاهر الثاني بن الشيخ محمد بن محمد الطاهر الأول بن محمد الشاذلي بن عبد القادر محمد بن عاشور الشريف الأندلسي ثم التونسي (1296 – 1394هـ)، نقيب أشراف تونس وكبير القضاة والمفتين وشيخ المالكية في عهد الباي محمد الصادق باشا. له من المؤلفات: "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، و"النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح"، و"شفاء القلب الجريح في شرح البردة". الأعلام، الزركلي ج6/ ص173.

(3) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، نشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ، ج1 ص 534.

ولهذا السبب ألحقهم بعض العلماء بأهل الكتاب، ومن العلماء من ألحقهم بالمجوس، ومنهم من جعلهم بين بين، كما أن منهم قوم تحلوا بما سماه ابن تيمية: "الإسلام المشترك".

أو يقال هم عدة مذاهب وفرق، فمنهم من يعتبرون أنفسهم أتباعاً لبعض الأنبياء، ومنهم من لفق مذهباً من بين اليهودية والنصرانية، ومنهم من لفق مذهباً بين اليهودية والمجوسية، ومنهم المتمسكون "بالإسلام المشترك".

وقد رجح الدكتور علي محمد عبد الوهاب[1] إنهم مروا بعدة أطوار اختلف فيها حالم في كل عصر ومصر، وهذه الأطوار هي:

الأول: عبادة النجوم والكواكب.

الدور الثاني: ويتمثل في الانتقال من عبادة الأجرام إلى عبادتها على هيئة الأصنام والرموز.

الدور الثالث: وشهد تأثر تعاليم دينهم بالفلسفة نتيجة لانقطاع رهبانهم وكهنتهم إلى الدراسة والعبادة.

الدور الرابع: تأثرهم بالفترة التي سبقت ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، والفترة التي تلته، فقد مال الصابئة إلى الاعتقاد بأن يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) هو الرجل المجدد المنتظر فاعتقدوا به وعظموه، ومازال الصابئة حتى الآن يذكرون له بعض التعاليم، ويعتقدون به كنبي مجدد، أرسل إليهم دون غيرهم من البشر[2].

المسألة الثانية: انقسام الصابئة إلى مؤمنين وكافرين

حسب ما دونه أرباب العقائد وعلماء الأديان أن الصابئة قسمان، منهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، والكافرون منهم على أقسام شتى، وهذا بيان الجميع:

---

(1) علي محمد عبد الوهاب، عالم مصري أزهري معاصر.

(2) الصابئة، الدكتو: علي محمد عبد الوهاب، مرجع سابق، ص34.

قال ابن تيمية: «إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، فالحنفاء بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل، وهؤلاء حمدهم الله تعالى وأثنى عليهم.

وأما الصابئة المشركون: فهم قوم يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور، ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية[1].

وفصَّل تلميذه ابن القيم فقال: «الصابئة أمة كبيرة فيهم السعيد والشقي، وهي إحدى الأمم المنقسمة إلى مؤمن وكافر، فإن الأمم قبل مبعث النبي ﷺ نوعان:

نوع كفار أشقياء كلهم ليس فيهم سعيد كعبدة الأوثان والمجوس.

ونوع منقسمون إلى سعيد وشقي، وهم اليهود والنصارى والصابئة.

وقد ذكر الله سبحانه النوعين في كتابه فقال: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[2].

وكذلك قال في المائدة، وقال في سورة الحج: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[3] فلم يقل هاهنا: من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ لأنه ذكر معهم المجوس والذين أشركوا، فذكر ست أمم، منهم اثنتان شقيتان، وأربع منهم منقسمة إلى شقي وسعيد، وحيث وعد أهل الإيمان والعمل الصالح منهم بالأجر ذكرهم أربع أمم

---

(1) الرد على المنطقيين، ابن تيمية، مرجع سابق، ص454 وما بعدها، وبنحوه قال تلميذه ابن القيم وسيأتي في المطلب القادم.

(2) سورة البقرة: آية: 62.

(3) سورة الحج، آية: 17.

ليس إلاَّ.

ففي آية الفصل بين الأمم أدخل معهم الأمتين، وفي آية الوعد بالجزاء لم يدخلها معهم، فعلم أن الصابئين فيهم المؤمن والكافر والشقي والسعيد وهذه أمة قديمة قبل اليهود والنصارى وهم أنواع: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون»[1].

وعلى كونهم حنفاء، قيل هي ملة إبراهيم عليه السلام، وقيل ملّة إدريس عليه السلام، والصابئة ينسبون ديانتهم ليحيى عليه السلام.

وقد يطلق لفظ "الحنفاء" –مع تقدم الزمن– على متأخري الحنفاء الذين قال عنهم الألوسي: «إنهم قوم موحدون يعتقدون تأثير النجوم»[2].

وقال محمد إبراهيم الفيومي[3] «أما تسميتهم صابئة حنفاء فمرد ذلك في نظرنا إلى أنهم وافقوا الحنيفية من حيث العقيدة في التوحيد، ومن حيث الشريعة في بعض مبادئها، لذلك صح تسميتهم بحنفاء.

وفارقوا الحنيفية في إنكارهم أن يكون الوسيط "النبي" بشريّاً.

وقولهم: بوسائط الكواكب لروحانيتهاً ونورانيتهاً.

فلكونهم من قوم إبراهيم وأخذوا ببعض دينه، وأعرضوا عن جانب منه أطلق عليهم "صابئة حنفاء" أي فيهم جانب من الفكر الصابئ، وجانب من الدين الحنفي»[4].

المسألة الثالثة: أقسام الصابئة المشركين ومقالاتها في الإلهيات

تُنسب الصابئة المشركة إلى رجل يسمى "بوداسف"[5]، وهذا في رأي المسعودي،

---

(1) في إغاثة اللهفان –وسيأتي كلامه في موضعه– وفي أحكام أهل الذمة ج1/ ص236 – 94.

(2) روح المعاني، ج1/ ص 279، الألوسي، ج1/ ص279.

(3) عالم مصري أزهري، توفي سنة 1427هـ

(4) تاريخ الفكر الديني الجاهلي، مرجع سابق، ص281.

(5) ظهر "بوداسف" بأرض الهند، وزعم أنه نبي، وأنه واسطة بين الله وخلقه. وزعم بعضهم أنه "الإله" بوذا نفسه.

حيث قال: «هو أول من أظهر مذاهب الصابئة»[1].

وقد انقسم الصابئة المشركون قديماً إلى أربع فرق:

قال سيف الدين الآمدي[2]: «أشهر فرق هذه الجماعة أربع وهي:

الفرقة الأولى: أصحاب الروحانيات: وقد زعم هؤلاء أن أصل وجود العالم يتقدس عن سمات الحدث، وهو أجل وأعلى من أن يتوصل إلى جلاله بالعبودية لهُّ والخدمة من السفليات وذوات الأنفس المنغمسة في عالم الرذائل والشهوات، وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات بينه وبين السفليات. قالوا: وهم آلهتنا وأربابنا ووسائلنا إلى حاجاتنا، وبهم يتقرب إلى الله تعالى.

وهي المدبرة للكواكب الفلكية، والمديرة لها على التناسب المخصوص من الآثار العلوية والسفلية.

وزعموا أن الكواكب الفلكية هي هياكل هذه الروحانيات، وأن نسبة الروحانيات إليها في التقدير لها والتدوير، نسبة الأنفس الإنسانية إلى أبدانها، وأن لكل روحاني هيكلاً يخصه، ولكل هيكل فلكاً يكون فيه.

وزعموا أن المعرف لهم "غارميون وهرمس" اللذان هما أصل علم الهيئة وصناعة النجامة، وهرمس هو أول من قسم البروج ووضع أسماءها وأسماء الكواكب السيارة، وقيل إن غارميون هو شيث، وهرمس وهو إدريس عليه السلام.

مروج الذهب، المسعودي، ج1/ ص188 مرجع سابق، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد إبراهيم الفيومي، ص282، وص301.

(1) مروج الذهب، المسعودي، مروج الذهب ج1 ص188.

(2) هو علي بن أبي علي بن محمد سالم التغلبي الآمدي الشافعي سيف الدين أبو الحسن، (551 – 631هـ)، يعد واحداً من أذكياء العالم، أتقن أصول الدين، وأصول الفقه والعلوم العقلية، له من المؤلفات: "الإحكام في أصول الأحكام"، واختصره في "منتهى السول في علم الأصول"، و"غاية المرام في علم الكلام". "سير أعلام النبلاء" ج22/ ص364، و"طبقات الشافعية الكبرى"، ابن السبكي ج5/ ص129.

الفرقة الثانية: أصحاب الهياكل[1]: أنهم قالوا: إذا كان لا بد للإنسان من متوسط فلا بد من أن يكون ذلك المتوسط كما نشاهده ونراه حتى نتقرب إليه، والروحانيات ليست كذلك، فلا بد من متوسط بينها وبين الإنسان، وأقرب ما إليها هياكلها؛ فهي الإله والأرباب المعبودة، والله تعالى رب الأرباب، وإليه التوسل والتقرب. ولا جرم أنهم دعوا إلى عبادة الكواكب السبعة السيارة، ثم تقربوا إلى كل هيكل وسألوه بما يناسبه من الدعوات فيما يناسبه من الأماكن والأزمان واللباس الخاص به، وبالخاتم المطبوع على صورته، والهياكل عندهم أحياء ناطقة بحياة الروحانيات التي هي أرواحها، ومتصرفة فيها.

ومنهم من جعل هيكل الشمس رب الهياكل والأرباب، وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في عالم الكون والفساد على ما سلف في تعريف مذهب الفريق الأول.

الفرقة الثالثة: أصحاب الأشخاص، وهؤلاء زعموا أنه إذا كان لا بد من متوسط مرئي، والكواكب –وإن كانت مرئية– إلاَّ أنها قد تُرى في وقت دون وقت، دعت الحاجة إلى وجود أشخاص مشاهدة تكون لنا وسيلة إلى الهياكل التي هي وسيلة إلى

---

(1) قال ابن الجوزي: «وهم قوم يقولون إن لكل روحاني من الروحانيات العلوية هيكلاً أعني جرماً من الأجرام السماوية هو هيكله ونسبته إلى الروحاني المختص به نسبة أبداننا إلى أرواحنا فيكون هو مدبره والمتصرف فيه فمن جملة الهياكل العلوية السيارات والثوابت قالوا ولا سبيل لها إلى الروحاني بعينه فيتقرب إلى هيكله بكل عبادة وقربان وقال آخرون منهم لكل هيكل سماوي شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره فعمل هؤلاء الصور ونحتوا الأصنام وبنوا لها بيوتاً». تلبيس إبليس: ص47.

وقال ابن القيم: المشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة، والبروج الاثنى عشر، ويصوّرونها فى هياكلهم.

ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة، وهى المتعبدات الكبار، كالكنائس للنصارى والبيع لليهود.

فلهم هيكل كبير للشمس، وهيكل للقمر، وهيكل للزهرة، وهيكل للمشترى، وهيكل للمريخ، وهيكل لعطارد، وهيكل لزحل وهيكل للعلة الأولى.

ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة. ويصورونها فى تلك الهياكل. ويتخذون لها أصناما تخصها، ويقربون لها القرابين. ولها صلوات خمس فى اليوم والليلة، نحو صلوات المسلمين#. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان ج2/ ص50.

الروحانيات، التي هي وسيلة إلى الله تعالى؛ فاتخذوا بذلك أصناماً وصوراً على صور الهياكل السبعة، كل صنم من جسم مشارك في طبيعته لطبيعة ذلك الكوكب، فدعوه وسألوه بما يناسب ذلك الكوكب في الوقت والمكان واللبس والتختم بما يناسبه، والتحيز المناسب له، على حسب ما يفعله أرباب الهياكل، إلاَّ أنها هي المعبودة على الحقيقة؛ وهذا هو الأشبه بسبب اتخاذ الأصنام.

الفرقة الرابعة: الحلولية: وقد سماها ثقات المؤرخين بالحرنانية، وهو الأصح عندنا[1]، وزعموا أن الإله المعبود واحد في ذاته، أبدع أجرام الأفلاك وما فيها من الكواكب، وجعل الكواكب مدبرة لما في العالم السفلي، فالكواكب آباء أحياء ناطقة، والعناصر أمهات، وما تؤديه الآباء للأمهات تقبلها بأرحامها، فتحمل عند ذلك المواليد، وهي المركبات، والإله –تعالى– يظهر في الكواكب السبعة، ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته، وقد يظهر أيضاً في الأشخاص الأرضية الخيرة الفاضلة، وهي ما كان من المواليد، وقد يتركب من صفوة العناصر دون كدرها. وزعموا أيضاً أنه على رأس ستة وثلاثين ألف وسنة أربعمائة وخمس وعشرين سنة يحدث روحاني على رأس الدور الآخر، وكذا إلى ما يتناهى، وأن الثواب والعقاب على أفعال الخير والشر كل دور واقع لكن، في الدور الذي بعده في هذه الدار، لا غيرها»[2].

هذا ما ذكره الآمدي باختصار، ولعله من أحسن ما جاء في وصف مذهب هذه الطائفة قديماً، غير أنه لم يشتهر لاحقاً من الصابئة إلاَّ فرقتان، هم: المندائية والحرانية، ثم تناقصت الحرانية وبقيت المندائية إلى يوم الناس هذا، متأثرة ببعض الوثنية التي اشتهرت بها الحرانية:

جاء في كتاب: الموسوعة الميسرة: «أشهر فرق الصابئة قديماً أربعة؛ هي:

(1) أي الفخر الرازي نفسه، أو يعني المتكلمين من علماء العقيدة والأديان، والله أعلم.

(2) أبكار الأفكار، سيف الدين الآمدي، وقد نقله عنه السيد عبد الرازق الحسيني في كتابه: "الصابئة قديماً وحديثاً"، المطبعة الرحمانية – مصر، ط: 1، 1925م، ص20، ومنه اختصرت.

أصحاب الروحانيات، أصحاب الهياكل، أصحاب الأشخاص، والحلولية، اشتهر منهم الصابئة الحرانيون (انقرضوا) الذين تختلف معتقداتهم بعض الشيء عن الصابئة المندائية.

وتعد الصابئة المندائية هي طائفة الصابئة الوحيدة[1] الباقية إلى اليوم، ويمثلون أكبر وأهم الفرق الموجودة حالياً من الصابئة، ثم يأتي بعدهم صابئة "حران" في شمالي العراق وسوريا، ويزيد عددهم في العراق في بداية الثمانينيات على 100 ألف، ومن ذلك يمكن القول إنه لم يتبق من فرقهم إلاَّ فرقتان فقط كما تشير بعض المصادر، وبعضهم اعتنق الإسلام. وهاتان الفرقتان هما:

– المندائيون: وهؤلاء قيل عنهم إنهم ممن تخلف من بعد الأسر البابلي على يد "نبوخذ نصر"[2]، ولكنهم آثروا البقاء على أرض العراق بعد أن حررهم الحاكم الفارسي "قورش"، واختلطوا بالمجوس فأخذوا عنهم بعض الأفكار والمعتقدات ومزجوها باليهودية والنصرانية، ولهذا صارت عقيدتهم خليطاً بين هذه الديانات والمعتقدات.

– الحرانية: وهم من سكان منطقة حران، وتذهب بعض كتب الملل والنحل إلى أن هؤلاء ليسوا صابئة أصلاً بل كانوا على ملل أخرى من غير أهل الكتاب، وإنما انتحلوا هذه الديانة في فترة من العهد العباسي حماية لأنفسهم حيث يدفعون الجزية وترعى لهم الذمة، ويشير آخرون إلى أنهم صابئة ولا يختلفون عن الفرقة الأخرى

(1) وقليل من الحرانيين كما سيأتي بعد أسطر، أو هم القوم أنفسم على اختلاف في توصيفهم، وقال غضبان رومي –وهو أحد الصابئة–: «وهناك صابئة حران، وهم وثنيون يعبدون الكواكب وقد انقرضوا ولم يبق إلاَّ المندائية». انظر كتابه "الصابئة"، مرجع سابق ص93.

(2) هو الإمبراطور الأشهر في ملوك الدولة البابلية: اسم بابلي ومعنى نبوخذ نصر: "نبو حامي الحدود" ملك بابل. حكم 605–652 ق. م أخمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا وعندما أعادوا الكرة لم يخمد ثورتهم وحسب بل ساق مَلِكهم وكبراءهم أسرى إلى بابل وهو ما يعرف في تاريخ اليهودية بالأسر البابلي. الموسوعة العربية العالمية، ج2/ ص1821.

وبذلك يكونون فرقة واحدة»[1].

وجاء في "الموسوعة" عند طائفة المندائية: (يعتقدون –من حيث المبدأ– بوجود الإله الخالق الواحد الأزلي الذي لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق، ولكنهم يجعلون بعد هذا الإله 360 شخصاً خلقوا ليفعلوا أفعال الإله من: رعد، وبرق، ومطر، وشمس، وليل، ونهار، وهؤلاء يعرفون الغيب، ولكل منهم مملكته في عالم الأنوار»[2].

وقال البيروني عن صابئة حران: «إنهم يصفون الله سبحانه بالسلب لا بالإيجاب، كقولهم: لا يحد ولا يرى ولا يظلم ولا يجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازًا؛ إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه»[3].

المسألة الرابعة: مقالات الصابئة في النبوات

– عندهم دعوة الأنبياء حق ولكنها لا تتعين طريقاً للنجاة، فمن اتبعهم فهو سعيد ناج ومن أدرك بعقله ما دعوا إليه فوافقهم فيه وعمل بوصاياهم فهو سعيد وإن لم يتقيد بهم[4].

– عندهم النبوة مكتسبة، فيمكن أن يحصل لنفوسهم استعداد، فيكون حكمهم وحكم الأنبياء واحد[5].

قال الإمام الشهرستاني: «مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين، كما أن مدار مذهب الحنفاء هو التعصب للبشر الجسمانيين، والصابئة تدعي أن مذهبها هو

---

(1) الموسوعة الميسرة، مرجع سابق، ج2/ ص717.

(2) الموسوعة الميسرة، ج2/ ص717، وانظر: أحكام أهل الذمة ج1/ ص239.

(3) الآثار الباقية عن القرون الخالية، محمّد ابن أحمد البيرونيّ الخوارزميّ، تحقيق إدوارد ساخو، ط: لايبسيغ، 1923م، ص205.

(4) انظر أحكام أهل الذمة، ابن القيم، ج1/ 240، باختصار

(5) انظر المرجع والموضع السابق نفسه.

الاكتساب، والحنفاء تدعي أن مذهبها هو الفطرة. فدعوة الصابئة إلى الاكتساب، ودعوة الحنفاء إلى الفطرة[1].

– عد عبد القاهر[2] البغدادي من أنبيائهم: "هرمس"[3] و"واليس"، و"دوروتيوس".

وقال الشهرستاني: «الصابئة الأولى الذين قالوا بعاذيمون وهرمس، وهما شيث وإدريس، ولم يقولوا بغيرهما من الأنبياء».

والمندائية المعاصرون يعتبرون النبي يحيى عليه السلام نبيّاً خاصاً بهم، جاء ليعيد إلى دين آدم صفاءه بعد أن دخله الانحراف بسبب تقادم الزمان[4].

المسألة الخامسة: مقالات الصابئة في السمعيات

– يؤمنون بالملائكة، ويعتقدون أن الكواكب مسكنها؛ ولذلك يعظمونها ويقدسونها.

– لا يوجد لديهم خلود في الجحيم، بل عندما يموت الإنسان إما أن ينتقل إلى الجنة أو المطهر حيث يعذب بدرجات متفاوتة حتى يطهر، فتنتقل روحه بعدها إلى الملأ الأعلى، فالروح خالدة والجسد فان.

– وأوجبوا على من يتقرب بها إلى ما يقابلها من العلويات لباسا وبخورا وأدعية

---

(1) الملل والنحل، ج2 ص63.

(2) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي، أبو منصور البغدادي، (ت: 429هـ)، أصولي، متكلم، وفقيه شافعي المذهب، ولد ببغداد ونشأ بها وسكن نيسابور وتوفي بأسفرايين، له مؤلفات كثيرة منها: "الفرق بين الفرق"، و"فضائح الكرامية"، و"شرح المفتاح لابن القاص في فروع الفقه الشافعي". طبقات الشافعية ج2/ ص211 – 212، كشف الظنون ج1/ ص254.

(3) هرمس: وجمعه هرامس، هو هرمس الأوّل، يسمى عند العرب إدريس، وعند اليونانيين أطرسمسين، وعند العبرانيين أخنوخ، وعند الفرس: أبهجل أو اللهجد، وتفسيره: ذو عدل. الفصل لابن حزم ج1/ ص90، الشهرستاني 2ج/ ص45، الكامل، ابن الأثير 1ج/ ص34، و"حسن المحاضرة"، السيوطي، مرجع سابق، ج1/ ص62.

(4) الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق ج2/ ص715.

مخصوصة، وعزائم يقربونها إلى رب الأرباب[1].

– يؤمنون بتناسخ الروح، كما سيأتي في عباداتهم.

المسألة السادسة: عبادات الصابئة وطقوسم[2]

– التطهير والتهذيب يحصل بالرياضة وفطام النفس عن الشهوات.

– الجنابة تحتاج إلى طهارة وذلك بالارتماس في الماء ثلاث دفعات مع استحضار نية الاغتسال.

– عندهم المندي: وهو معبد الصابئة، وفيه كتبهم المقدسة، ويجري فيه تعميد رجال الدين، يقام على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية، ولابدَّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، له باب واحد يقابل الجنوب ليستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، ولا يجوز دخوله من قبل النساء.

– ويعتبر التعميد من أبرز معالم هذه الديانة ولا يكون إلاَّ في الماء الجاري، ولا تتم الطقوس إلاَّ بالارتماس في الماء سواء أكان الوقت صيفاً أم شتاءً.

– يهتم الصابئة المندائية بالطهارة كثيراً فهي مفروضة على الجنسين، وينبغي أن تكون في الماء الجاري، وعلى الجنب أن يرتمس في الماء ثلاث دفعات مع استحضاره نية الاغتسال من غير قراءة، ويكون باتجاه نجم القطب.

– الصلاة: وتؤدى ثلاث مرات في اليوم قبيل الشروق، وعند الزوال، وقبيل الغروب، وتستحب أن تكون جماعة في أيام الآحاد والأعياد من دون سجود. ٠

– الصوم: يمتنعون فيه عن أكل اللحوم المباحة لهم لمدة 32 يوماً متفرقة على طول أيام السنة، غير أن صابئة اليوم يحرمون الصوم لأنه من باب تحريم ما أحل الله.

---

(1) انظر: الموسوعة الميسرة ج2/ ص717، وأحكام أهل الذمة، ابن القيم، مرجع سابق، ج1/ ص241.

(2) الموسوعة الميسرة ج2/ ص، 717 – 720.

- ليس للرجل غير المتزوج من جنة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

- الطلاق: لا يعترف دينهم بالطلاق إلاَّ إذا كانت هناك انحرافات أخلاقية خطيرة، فيتمّ التفريق عن طريق الكنزبرا.

- إذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً فإنه يمرّ بالمطهر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار، ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى، حيث تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالاً.

- للرجل أن يتزوج ما يشاء من النساء على قدر ما تسمح له به ظروفه.

- تنص عقيدتهم على أن يكون الميراث محصوراً في الابن الأكبر، لكنهم لمجاورتهم المسلمين فقد أخذوا بقانون المواريث الإسلامي.

- الأعياد، وهي:

1 - العيد الكبير: عيد ملك الأنوار، ومن طقوسهم فيه أنهم يعتكفون ويرتسمون فيه وينحرون الخراف والدجاج.

2 - العيد الصغير: يوم واحد شرعاً، وقد يمتد لثلاثة أيام من أجل التزاور، ويكون بعد العيد الكبير بمائة وثمانية عشر يوماً.

3 - عيد البنجة: وهو خمسة أيام تكبس بها السنة، ويأتي بعد العيد الصغير بأربعة أشهر.

4 - عيد يحيى: يوم واحد من أقدس الأيام، يأتي بعد عيد البنجة بستين يوماً وفيه كانت ولادة النبي يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ بزعمهم!.

المطلب الثاني

الصابئة عند الإمامين

تناول ابن الجوزي طائفة الصابئة تحت عنوان "ذكر تلبيسه على الصابئين"[1]، فذكر عدة أمور يمكن جمعها تحت عنوانين كالتالي:

- تعريف بالطائفة
- ذكر معتقداتهم وشرائعهم.

أما ابن القيم فقد تناول ديانة الصابئة تحت عنوان "ذكر تلاعبه بالصابئة"[2]، تحت الموضوعات التالية:

- أقسامهم..
- أصلهم وسبب تسميتهم..
- عباداتهم..
- فرقهم ومقالاتهم..
- سر تعدد طوائفهم ومقالاتهم..
- الحكم على ديانتهم..

وفيما يلي بسط كلام الشيخين والتعليق عليه ببيان موضع اتفاقهما، وما زاد كلٌ منهما على الآخر، مرتباً الكلام فيه حسب ما أراه متماشياً مع السياق المنطقي لتوضيح الرؤية في تجلية المهم من حقيقة هذه الديانة تحت المسائل التالية:

- تعريف بالطائفة وسبب تسميتهم.
- أقسام الصابئة، وسر تعدد طوائفهم ومقالاتهم.

---

(1) تلبيس إبليس: ص 68.

(2) إغاثة اللهفان، ص 249.

- مقالاتهم في الإلهيات
- مقالاتهم في النبوات
- مقالاتهم في السمعيات
- شرائع الصابئة وتعبداتهم
- حكم الإمامين فيهم

المسألة الأولى: تعريف بالطائفة عند الإمامين

الصابئة لغة:

قال ابن الجوزي: «أصل هذه الكلمة –أعني الصابئين– من قولهم: صبأت، إذا خرجت من شيء إلى شيء، وصبأت النجوم إذا ظهرت، وصبأ به إذا خرج، والصابئون: الخارجون من دين إلى دين[1].

وقال ابن القيم: «يقال: صبأ الرجل بالهمز إذا خرج من شيء إلى شيء وصبا يصبو إذا مال ومنه قوله: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾[2]، أي أميل. والمهموز والمعتل يشتركان، فالمهموز: ميل عن الشيء والمعتل: ميل إليه، واسم الفاعل من المهموز: "صابىء" بوزن قارئ، ومن المعتل: "صاب" بوزن قاض، وجمع الأول: "صابئون" كقارئون، وجمع الثاني: "صابون" كقاضون، وقد قرئ بهما»[3].

الصابئة اصطلاحاً

1- الصابئة عند المفسرين:

قال ابن الجوزي: في تعريفهم عند المفسرين: «وللعلماء في مذاهبهم عشرة أقوال:

---

(1) تلبيس إبليس: ص68.

(2) سورة يوسف، آية 33.

(3) إغاثة اللهفان، 251.

أحدها: أنهم قوم بين النصارى والمجوس. رواه سالم عن سعيد بن جبير وليث عن مجاهد..

والثاني: أنهم بين اليهود والمجوس. رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد..

والثالث: أنهم بين اليهود والنصارى. رواه القاسم بن أبي بزة عن مجاهد..

والرابع: أنهم صنف من النصارى ألين قولاً. رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه..

والخامس: أنهم قوم من المشركين لا كتاب لهم. رواه القاسم أيضاً عن مجاهد..

والسادس: انهم كالمجوس. قاله الحسن..

والسابع: أنهم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. قاله أبو العالية..

والثامن: أنهم قوم يصلون إلى القبلة ويعبدون الملائكة ويقرؤون الزبور. قاله قتادة ومقاتل..

والتاسع: أنهم طائفة من أهل الكتاب، قاله السدى..

والعاشر: أنهم كانوا يقولون: لا إله إلاَّ الله، وليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلاَّ قول: لا إله إلا الله. قاله ابن زيد.

قال المصنف: هذه أقوال المفسرين مثل ابن عباس والقاسم والحسن وغيرهم»[1].

2- الصابئة عند المتكلمين

قال ابن الجوزي: «فأما المتكلمون فقالوا: مذهب الصابئين مختلف فيه:

فمنهم من يقول: أن هناك هيولي كان لم يزل ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولي.

وقال أكثرهم: العالم ليس بمحدث، وسموا الكواكب ملائكة، وسماها قوم منهم آلهة

(1) تلبيس إبليس: ص 68، وانظر: زاد المسير في علم التفسير، للمؤلف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1 – 1422هـ ج1/ ص73، حيث ذكر هناك سبعة أقوال.

وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات، وهم يدعون أن بيت الله الحرام واحد منها، وهو بيت زحل!.

وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلاَّ بالنفي دون الإثبات، ويقال ليس بمحدث ولا موات ولا جاهل ولا عاجز، قالوا لئلا يقع تشبيه»[1].

أما ابن القيم فذكر أقسامهم وفرقهم، وذلك يساعد على فهم تعريفهم عند المتكلمين، فقال: «وقد اختلف الناس فيهم اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم»[2]. وبقية كلامة يأتي في ذكر:

المسألة الثانية: أقسام الصابئة وسر تعدد طوائفهم ومقالاتهم عند الإمامين

لم يذكر ابن الجوزي أنهم منقسمون.

وقسمهم ابن القيم فقال: «وهم منقسمون إلى مؤمن وكافر، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[3].

فذكرهم في الأمم الأربعة الذين تنقسم كل أمة منهم إلى ناج وهالك، وذكرهم أيضاً في الأمم الستة الذين انقسمت جملتهم إلى ناج وهالك كما في قوله: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ** ﴾[4].

فذكر الأمتين اللتين لا كتاب لهم ولا ينقسمون إلى شقي وسعيد وهما: المجوس

---

(1) تلبيس إبليس: ص 68.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 249.

(3) سورة البقرة: آية: 62.

(4) سورة الحج، آية: 17.

والمشركون في آية الفصل، ولم يذكرهما في آية الوعد بالجنة، وذكر الصابئين فيهما، فعلم أن فيهم الشقي والسعيد»[1].

وقال أيضاً في إشارة لعبادتهم الكواكب: «وهؤلاء كانوا قوم إبراهيم الخليل، وهم أهل دعوته، وكانوا بحران، فهي دار الصابئة، وكانوا قسمين: صائبة حنفاء، وصابئة مشركين»[2].

وقد جاء في القرآن ذكر مناظرة إبراهيم عليه السلام للمشركين منهم ، فقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

كما أن الإمام ابن القيم ذكر طوائف المشركين منهم حينما ذكر سر تعدد طوائفهم ومقالاتهم كما في النقولات التالية عنه:

قال ابن القيم: «والمقصود: أن هذه الأمة قد شاركت جميع الأمم وفارقتهم

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 250.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 250.

(3) سورة الأنعام آية: 75 – 82.

فالحنفاء، منهم شاركوا أهل الاسلام في الحنيفية، والمشركون منهم شاركوا عباد الأصنام ورأوا أنهم على صواب»[1].

وقول ابن القيم هذا يفسر لنا تعدد الأقوال واختلافها في تحديد وصف ديانة القوم ومقالاتها.

كما أنه ذكر ما يمكن أن يُستخلص منه سبب كثرة مقالاتهم واختلافها، وسبب انحراف من انحرف منهم وصار من طائفة المشركين، وذلك في قوله: «وأصل دين هؤلاء –فيما زعموا– أنهم يأخذون بمحاسن ديانات العالم ومذاهبهم، ويخرجون من قبيح ما هم عليه قولاً وعملاً»[2].

ولكونهم يأخذون بمحاسن كل دين –بزعمهم– عدهم ابن القيم أكثرهم فلاسفة، فقال: «وأكثر هذه الأمة فلاسفة، والفلاسفة يأخذون من كل دين بزعمهم محاسن ما دلت عليه العقول، وعقلاؤهم يوجبون اتباع الأنبياء وشرائعهم»[3].

وفي القول الآتي لابن القيم يمكن أن يكون جامعاً كخلاصة لكل ما سبق في انقسامات هذه الطائفة، حيث جعلهم ثلاثة أقسام، فقال: «والمقصود: أن الصابئة فرق: صابئة حنفاء وصابئة مشركون، وصابئة فلاسفة يأخذون بمحاسن ما عليه أهل الملل والنحل من غير تقيد بملة ولا نحلة»[4].

وهؤلاء الفلاسفة منهم هم الذين تشعبت بهم السبل، وكثرت مقالاتهم.

ولتباين مواقفهم ما بين مؤمنين وكافرين مع اتحاد الاسم فيهم جميعاً اعتبرهم ابن القيم أمة بغير كتاب معين، فقال: «ولهذا لم يكن هؤلاء الفلاسفة ولا الصابئة من الأمم

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 251.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 251.

(3) المرجع السابق: ج2/ ص 251.

(4) المرجع السابق: ج2/ ص 252.

المستقلة التي لها كتاب ونبي، وإن كانوا من أهل دعوة الرسل؛ فما من أمة إلاَّ وقد أقام الله سبحانه عليها حجته، وقطع عنها حجتها؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل»[1].

المسألة الثالثة: مقالات الصابئة وعباداتهم عند الإمامين

الفرع الأول: مقالات الصابئة في الإلهيات عند الإمامين

أما مقالتهم في الإلهيات فتقدمت إشارات عن عقائدهم في الإلهيات عند ابن الجوزي:

فحكى عنهم من يقول أن هيولياً صنع العالم من ذلك الهيولي.

ومنهم من اعتبر الكواكب آلهة وعبدوها.

وزعم بعضهم أنه لا يوصف الله عز وجل إلاَّ بالنفي دون الإثبات لئلا يقع تشبيه.

كما يمكن أن نتبين من كلام ابن الجوزي في العريف بهم عند المتكلمين السابق ذكره أن لهم عقائد شاركوا فيها المجوس وأهل الكتاب.

كما ذكر ابن القيم جملة مذهب المؤمنين منهم في الإلهيات فقال: «وهم يقرون أن للعالم صانعاً فاطراً حكيماً مقدساً عن العيوب والنقائص»[2].

وذكر كذلك اتخاذهم الكواكب آلهة في ذكر مناظرة إبراهيم عليه السلام لهم، وسيأتي تصريحه بذلك أيضاً في عباداتهم وطقوسهم.

الفرع الثاني: مقالات الصابئة في النبوات عند الإمامين

قال ابن الجوزي: «وقد حسّن إبليس لأقوام من الصابئين أنهم رأوا الكمال في تحصيل مناسبة بينهم وبين الروحانيات العلوية باستعمال الطهارات وقوانين ودعوات،

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 252.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 252.

واشتغلوا بالتنجيم والتسخير، وقالوا: لا بد من متوسط بين الله وبين خلقه في تعريف المعارف والإرشاد للمصالح، إلاَّ أن ذلك المتوسط ينبغي أن يكون روحانياً لا جسمانياً، قالوا: فنحن نحصل لأنفسنا مناسبة قدسية بيننا وبينه، فيكون ذلك وسيلة لنا إليه. وهؤلاء لا ينكرون بعث الأجساد»[1].

وقال ابن القيم عن جملة عقيدتهم في النبوات: «ثم منهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل، ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلاً، ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلاً»[2].

«ثم قال المشركون منهم: لا سبيل لنا إلى الوصول إلى جلاله إلاَّ بالوسائط، فالواجب علينا أن نتقرب إليه بتوسطات الروحانيات القريبة منه، وهم الروحانيون المقربون المقدسون عن المواد الجسمانية، وعن القوى الجسدانية ... وذلك بالتضرع والابتهال بالدعوات، ... فحينئذ يحصل لنفوسنا استعداد واستمداد من غير واسطة الرسل، بل نأخذ من المعدن الذي أخذت منه الرسل، فيكون حكمنا وحكمهم واحداً، ونحن وإياهم بمنزلة واحدة! »[3].

الفرع الثالث: مقالات الصابئة في السمعيات عند الإمامين

ذكر ابن الجوزي جملة منها دون تفصيل في طوائهم، فقال: «وزعموا أن الأرواح الخيرة تصعد إلى الكواكب الثابتة، وإلى الضياء، وأن الشريرة تنزل إلى أسفل الأرضيين، وإلى الظلمة.

وبعضهم يقول هذا العالم لا يفنى، وأن الثواب والعقاب في الناسخ»[4].

---

(1) تلبيس إبليس: ص 69.

(2) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 252.

(3) المرجع السابق: ج2/ ص 252.

(4) تلبيس إبليس: ص 69.

كما تقدم ذكره لمن طلب منهم الواسطة القدسية بينهم وبين الله، أنهم لا ينكرون بعث الأجساد.

الفرع الرابع: شرائع الصابئة وتعبداتهم عند الإمامين

ذكر ابن الجوزي تعبدات القوم فقال: «ولهم تعبدات في شرائع منها:

أنهم زعموا أن عليهم ثلاث صلوات في كل يوم: أولها ثمان ركعات وثلاث سجدات في كل ركعة، وانقضاء وقتها عند طلوع الشمس، والثاني خمس ركعات والثالثة كذلك.

وعليهم صيام شهر، أوله الثمان ليال يمضين من آذار، وسبعة أيام: أولها التسع يبقين من كانون الأول، وسبعة أيام: أولها الثمان ليال يمضين من شباط. ويختمون صيامهم بالصدقة والذبائح.

وحرموا لحم الجزور، في خرافات يضيع الزمان بذكرها»[1].

أما ابن القيم فقال في تعبداتهم: «والمشركون منهم يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر، ويصورونها في هياكلهم، ولتلك الكواكب عندهم هياكل مخصوصة، وهي المتعبدات الكبار، كالكنائس للنصارى، والبيع لليهود، فلهم هيكل كبير للشمس، وهيكل للقمر، وهيكل للزهرة، وهيكل للمشتري، وهيكل للمريخ، وهيكل لعطارد، وهيكل لزحل، وهيكل للعلة الأولى.

ولهذه الكواكب عندهم عبادات ودعوات مخصوصة، ويصورونها في تلك الهياكل، ويتخذون لها أصناماً تخصها، ويقربون لها القرابين، ولها صلوات خمس في اليوم والليلة نحو صلوات المسلمين.

وطوائف منهم يصومون شهر رمضان، ويستقبلون في صلواتهم الكعبة، ويعظمون مكة، ويرون الحج إليها، ويحرمون الميتة والدم ولحم الخنزير، ويحرمون من

---

(1) تلبيس إبليس: ص68.

القرابات في النكاح ما يحرمه المسلمون. وعلى هذا المذهب كان جماعة من أعيان الدولة ببغداد، منهم: هلال بن المحسن الصابىء صاحب الديوان الإنشائي، وصاحب الرسائل المشهورة، وكان يصوم مع المسلمين، ويعيد معهم، ويزكي ويحرم المحرمات، وكان الناس يعجبون من موافقته للمسلمين وليس على دينهم»(1).

المسألة الرابعة: حكم الصابئة عند الإمامين

لم يصرح ابن الجوزي بالحكم عليهم، وإن كان تكفيره لهم لا يخفي، وقد ذكر في طوائفهم وأقوال العلماء فيهم عشر أقوال كلها تشير إلى عدم توحيدهم لله.

أما ابن القيم فقد ذكر أنهم قسمان: مؤمنون وكافرون.

وقال عن المشركين منهم: «والمقصود: أن هؤلاء كفروا بالأصلين اللذين جاءت بهما جميع الرسل والأنبياء من أولهم إلى أخرهم:

أحدهما: عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بما يعبد من دونه من إله.

والثاني: الإيمان برسله وما جاءوا به من عند الله تصديقاً وإقراراً وانقياداً وامتثالاً»(2).

---

(1) إغاثة اللهفان: ج2/ ص 251.

(2) المرجع السابق: ج2/ ص 253.

المبحث الخامس

البراهمـة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: **التعريف بالبراهمة وطوائفهم ومقالاتـهم والرد عليـهم**

البراهمة عند الإمامين

المطلب الثاني:

المبحث الخامس

البراهمة

المطلب الأول:

التعريف بالبراهمة وطوائفهم ومقالاتهم والرد عليهم

المسألة الأولى: تعريف البراهمة

نسبة إلى جماعة من الحكماء ذات أصول آرية سيطرت على الهند منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد، تبعوا فيلسوفاً من ملوك الفرس يسمى "برهم"، أو "برهام"، أو "براهم"، قالوا هو عقل سماوي" هبط من العالم العلوي إلى العالم السفلي واكتسى بكسوة بشرية؛ لكي يتناسل في الأرض ويسعى في عمارها(1).

وديانتهم كانت تسمى الهندوسية، نسبة إلى بلاد الهند، ويعتنقها معظم أهلها، وفي القرن الثامن قبل الميلاد أطلق على الديانة الهندوسية اسم "البرهمية" نسبة إلى "برهما" وهو في اللغة السنسكريتية(2) معناه "الله"–وهذا أحد الأقوال، ويُطلق الهنود على ديانتهم اسم "سانتاندرا"؛ أي الديانة القديمة أو الأزلية(3).

وهم يقرون بالله ويعبدونه عبادة مطلقة دون حاجة للرسل!، وجعلوا العقل هو

---

(1) مقارنات الأديان –الديانات القديمة–، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م ص19. وتاريخ الفكر الديني الجاهلي، محمد الفيومي، مرجع سابق، ص283.

(2) السنسكريتية هي: لغة قديمة في الهند مشابه للغة اللاتينية واليونانية في أوروبا في القرون الوسطى، ولها جزء مركزي في التقليد الهندوسي، وتدرس في الهند كلغة ثانية. مادة "السنسكريتية". الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org.

(3) رسائل في الأديان والفرق، محمد الحمد، نشر: دار ابن خزيمة، الرياض، ط:1، 1427هـ، الموسوعة العربية العالمية، ج16/ ص186.

الموصل إليه بدلاً عن الرسل وزعمت أن في قوة العقل كفاية عن بعث الرسل، حيث ينفون النبوات، ويقولون باستحالة إرسال الله رسلاً[1]، ومن عقائدهم: الكارما (قانون الجزاء)، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود.

قال الشهرستاني: «من الناس من يظن أنهم سموا براهمة لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذلك خطأ؛ فإن هؤلاء القوم هم المخصوصون بنفي النبوات أصلاً ورأساً»[2].

المسألة الثانية: طوائف البراهمة

قال الشهرستاني: «ثم إن البراهمة تفرقوا أصنافاً، فمنهم: أصحاب البددة، ومنهم أصحاب الفكرة، ومنهم أصحاب التناسخ.

1- أصحاب البددة:

ومعنى "البد" عندهم شخص في هذا العالم لا يولد، ولا ينكح، ولا يطعم، ولا يشرب، ولا يهرم، ولا يموت. وأول "بد" ظهر في العالم اسمه "شاكمين" وتفسيره: السيد الشريف.

2- أصحاب الفكرة والوهم:

وهؤلاء أعلم منهم بالفلك والنجوم وأحكامها المنسوبة إليهم، يعظمون الفكر، ويجتهدون كل الجهد حتى يصرفوا الوهم والفكر عن المحسوسات بالرياضات البليغة، والاجتهادات المجهدة حتى إذا تجرد الفكر عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم، فربما يخبر عن مغيبات الأحوال، وربما يقوى على حبس الأمطار، وربما يوقع الوهم على رجل حي فيقتله في الحال؛ ولهذا كانت الهند تغمض عينها أياما لئلا يشتغل الفكر

---

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، ج2/ ص95، الفصل، ابن حزم، ج1/ ص136 ، 140، الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، ص254، 255، وأديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ط: 4، 1976م، ص61 ، 69. اعتقادات فرق، الرازي، ج2/ ص250.

(2) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج8/ ص512.

والوهم بالمحسوسات[1].

3- أصحاب التناسخ:

وتناسخية الهند أشد اعتقاداً لذلك، وهو تناسخ الأدوار والأكوار، ولهم اختلافات في الدورة الكبرى، كم هي من السنين؟ وأكثرهم على أنها ثلاثون ألف سنة، وبعضهم على أنها ثلاثمائة ألف سنة وستين ألف سنة»[2].

ولعله عند التأمل في كلام الشهرستاني لا يرى الباحث لزاماً أن هناك تناقضاً بين الاتجاهات الثلاثة بحيث أنها لا تجتمع في الطائفة الواحد، أو الشخص الواحد؛ فالبرهمية دين متطور..

جاء في مجلة البيان: «والآريون الغزاة الذين قدموا إلى الهند في القرن الخامس عشر قبل الميلاد هم المؤسسون الأوائل للديانة الهندوسية، واختلطت ديانة الفاتحين الجديدة بالديانة القديمة للهنود، بل مازجتها وتأثرت كل منهما بالأخرى، وفي القرن الثامن قبل الميلاد تطورت الهندوسية على أيدي الكهنة البراهمة الذين يزعمون أن في طباعهم عنصراً إلهياً، ثم تطورت مرة أخرى في القرن الثالث قبل الميلاد عن طريق قوانين منوشاستر»[3].

وإذا كان الأمر كذلك فاليوم ربما اجتمعت ثلاثة المذهي التي ذكرها الشهرستاني في هنادكة الهند، وزادوا غيرها، ولعل ذلك التباين يرجع إلى سببين:

الأول: أنه لما كانت البرهمية تري -كما يقول ابن تيمية- «أن في قوة العقل كفاية عن بعث الرسل»[4]، والعبادة عندهم مطلقة كيفما اتفق الأمر؛ صار في الديانة

---

(1) لعله -والله أعلم- يقصد ما يسمى اليوم بـ "رياضة "اليوغا".

(2) الملل والنحل، الشهرستاني، ج3/ ص87 - 100 باختصار.

(3) مجلة البيان ع174/ ص54.

(4) الملل والنحل ج3/ ص95.

تناقض وتفاوت بتفاوت عقول واتجاهات البشر!، وحالها في ذلك حال الفلاسفة الذين كثر التباين في أقوالهم كما تقدم بيانه في المبحث الأول.

الثاني: أن البرهمية -كما تقدم- تسمى أيضاً الهندوسية، والهندوكية، نسبة لديانة الهند، وبعض العلماء حينما يذكرها يقصد مجموع ديانات الهند، ومن هذا الباب حصل التباين المشار إليه في تعداد مقالاتهم وطوائفهم.

وقال أبو بكر الباقلاني[1]: «وقد افترقت البراهمة على قولين:

فمنهم من جحد الرُّسل، وزعم أَنه لا يجوز في حكمةِ الله سبحانه ووصفته أَن يبعث رسولاً إِلى خلقه، وأَنه لا وجه من ناحيته يصح تلقي الرسالة عن الخالق سبحانه.

وقال الفريق الآخر: إِن الله تعالى ما أرسل رَسُولاً سوى آدم عليه السلام، وكذبوا كل مُدع للنبوة سواهُ»[2].

المسألة الثالثة: مقالات البراهمة وطقوسها[3]

الفرع الأول: مقالات البراهمة في الإلهيات

1- كان أتباعها يعبدون القوى المؤثِّرة في الكون وتقلّباته في زعمهم، ثم لم يلبثوا أن جسَّدوا تلك القوى؛ بأن اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام؛ فعبدوا الأصنام لحلولها فيها، وتعدَّدت آلهتهم حتى وصلت إلى ثلاثةٍ وثلاثين إلهاً. ثمّ عرا عقائدهم التغيير

(1) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر الباقلاني (328 – 403)، رأس المتكلمين على مذهب أبي الحسن الأشعري، قال ابن كثير: كان غاية في الذكاء والفطنة. ولد في البصرة وسكن بغداد وتوفي فيها، له من المؤلفات: "الإنصاف"، "تمهيد الأوائل"، "إعجاز القرآن". سير أعلام النبلاء، الذهبي، 17/ ص،90. والبداية والنهاية، ابن كثير، ج15/ ص548 – 550.

(2) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط: 1، 1407هـ – 1987م، ص: 126 ، 127.

(3) انظر: رسائل في الأديان والفرق، الحمد، مرجع سابق، ص20 – 23، والموجز في الديانات والمذاهب المعاصرة، العقل والقفاري، مرجع سابق، ص86 – 88، والهندوس والسيخ، محمد بن إبراهيم الشيباني، ص56 – 60، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، ج2/ ص724 – 729.

والتبديل، حتى انحصر الآلهة في ثلاثة أقانيم، وذلك أنَّهم توهَّموا أنَّ للعالم ثلاثة آلهة، وهي:

- براهما، وهو الإله الخالق، (موجد العالم) ومانح الحياة، القوي الذي صدرت عنه جميع الأشياء، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء، وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وانتعاش الأجسام، وتُجري الحياةَ في الحيوان والنبات بزعمهم.

- سيفا، أو سيوا، وهو الإله المخرِّب المُفني، (مهلك العالم) الذي تصفرُّ به الأوراق الخضراء، ويأتي الهرم بعد الشباب، وتفنى مياه الأنهار في لجج البحار. وينسبون إليه النَّار؛ لأنَّها مدمر مخرب، إن تأجَّجَ لا يُبقي ولا يَذر.

- ويشنو، أو بشن، ويعتقدون أن ويشنو هذا حلّ في المخلوقات ليقيَ العالم من الفناء التامّ (حافظ العالم). وهذه الآلهة الثلاثة أقانيم لإلهٍ واحدٍ[1].

2- يقولون بوحدة الوجود: وهي ما يُعرف عندهم بفكرة الانطلاق، وهي تمثل محاولةَ النفسِ الإفلاتَ من دورات تجوالها، ونتائج أعمالها؛ فالحياة في عرف البراهمة شر، وخداع، وأسر[2].

أما الحياة الحقة فهي في استجلاء طلعة "براهما" التي لا تكتسب إلاَّ بالاتحاد والاندماج فيه كما تندمج قطرة الماء في المحيط الأعظم، فالآلهة الثلاثة جميعاً، بل وجميع الكائنات صدرت عن الإله الواحد، وسرت منه روحٌ في الجماد، والنبات، والحيوان؛ فالموجود بحقّ -بزعمهم- هو الإله وحده، وليست الكائنات جميعها إلاّ مظاهر منه[3].

وهذا التجريد الفلسفي ارتقى بالهنادكة إلى أن الإنسان يستطيع خلق الأفكار

---

(1) انظر أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مرجع سابق، ص214.

(2) انظر: أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، د/ عبد القادر بن محمد عطا صوفي، نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، س36، ع125، 1424هـ، 2004م، ص55 - 56.

(3) الإنسان في ظلّ المعتقدات والأديان القديمة، عمارة نجيب ص179 فما بعد.

والأنظمة والمؤسسات كما يستطيع المحافظة عليها أو تدميرها، وبهذا يتحد الإنسان مع الآلهة، وتصير النفس هي عين القوة الخالقة[1].

3_ يعبدون كل ما يعجبهم، أو يحبونه، أو يخافونه من المخلوقات من حولهم؛ حتى قيل: «كان أهل الهند يعبدون ثلاثين مليوناً من الآلهة»[2]، ومن تلكم المخلوقات: الأفاعي والقردة، وتحظى البقرة خاصة عندهم بالمكانة الأولى تقديساً وعبادة.

الفرع الثاني: مقالات البراهمة في النبوات

– إنكار النبوات والقول باستحالتها عقلاً، وقد تقدم بعض الخلاف في ذلك، كما تشعر بعض أقوالهم بأن إنكارهم إنما يختص بنبوة البشر، وإنما حرفوها إلى عقيدة "الأفتار" وتعني نزول الربّ إلى الأرض في صورة البشر لتبليغ الشريعة[3]، وهي في نهاية المطاف إنكار للواسطة البشرية.

– ومن البراهمة من قال بنبوة آدم فقط، ومنهم من قال بنبوة إبراهيم فقط[4].

الفرع الثالث: مقالات البراهمة في السمعيات

– ينكرون البعث واليوم الآخر، ويرون أنه لابد من الجزاء والحساب على الخير والشر، وفق عقيدة "الكارما" أي قانون الجزاء القائل: أن نظام الكون إلهي قائم على العدل المحض، هذا العدل الذي سيقع لا محالة، إما في الحياة الحاضرة أو في الحياة القادمة، وجزاء حياةٍ يكون في حياة أخرى، والأرض هي دار الابتلاء كما أنها دار الجزاء والثواب.

---

(1) الموسوعة الميسرة، ج2/ ص 728، ولعل هذه العقيدة هي التي جُلبت مؤخراً إلى بلاد المسلمين تحت مسمى "البرمجة العصبية".

(2) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، القفاري وناصر العقل، ص145.

(3) انظر: فصول في أديان الهند، د/ محمد ضياء الرحمن الأعظمي، المدينة المنورة: دار البخاري، ص107.

(4) المواقف، الأيجي، ج3/ ص353. وانظر الفصل، ابن حزم، والملل والنحل، الشهرستاني، في موقف القوم من النبوات، وجل المراجع السابقة.

– يقولون بتناسخ الأرواح، وحملهم ذلك لإنكار البعث حتى قال البيروني: «كما أنَّ الشهادة بكلمة الإخلاص شعارُ إيمان المسلمين، والتثليث علامةُ النصرانيَّة، والإسبات[1] علامةُ اليهوديَّة، كذلك التناسخُ عَلَمُ النحلة الهنديَّة، فمن لم ينتحله، لم يكُ منها، ولم يُعدّ من جملتها»[2].

– حرق الأجساد: لأن ذلك بزعمهم يسمح بأن تتجه الروح إلى أعلى، وبشكل عمودي؛ لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً؛ لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن، كما أن الاحتراق هو تخليص للروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً.

– عندما تتخلص الروح وتصعد، يكون أمامها ثلاثة عوالم:

1- إما العالم الأعلى: عالم الملائكة.

2- وإما عالم الناس: مقر الآدميين بالحلول.

3- وإما عالم جهنم: وهذا لمرتكبي الخطايا والذنوب.

– ليس هناك جهنم واحدة، بل لكل أصحاب ذنب جهنم خاصة بهم.

– البعث في العالم الآخر إنما هو للأرواح لا للأجساد[3].

الفرع الرابع: طقوس البراهمة وعباداتهم وشعائرهم

– يحرمون لحوم الحيوان، إذا مات وجب دفنه بجلال مع أعظم طقوس الدين.

– بعدما انتصر الآريون على سكان الهند امتزجوا بسكانها وفرضوا تقسيم المجتمع في الهند إلى أربع طبقات اجتماعية ومذهبية:

---

(1) أي قيام اليهود بأمر السبت. القاموس المحيط، الفيروزأبادي، ص195.

(2) تحقيق ما للهند من مقولة، البيروني ص39. وانظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج3/ ص342 . 348.

(3) انظر: الموسوعة الميسرة، ج2/ ص 729.

1- طبقة البراهمة، أو الكهنة وهم السادة. ومهمتهم درس أسفار "الفيدا" المقدسة عندهم، وتدريسها، وإدارة الشؤون المالية.

2- طبقة الأكشترية، أو طبقة المقاتلين. ومهمتها حماية البلاد والعباد، ويجب عليها الابتعاد عن الشهوات.

3- طبقة الويشية، أو الفيشية، وهي طبقة المزارعين والتجار. ومهمتها تأمين مستلزمات العيش للكهنة والمحاربين، ويحق لهم أخذ الربا، وعليهم تقديم الضرائب للطبقتين السابقتين.

4- طبقة الشودرا، أو طبقة المنبوذين، وهؤلاء لم تعترف لها الهندوسية بأية حقوق، وفرضت عليها واجبات تقديم الخدمات للطبقات الأخرى. وسبب انحطاطهم - حسب الزعم الهندوسي- عدم جريان الدم الآري في عروقهم مطلقاً؛ لأنهم من سكان الهند الأصليين الذين لم يختلطوا بالآريين، وهم نجس وخطر على الدم الآري يجب الابتعاد عنه؛ لذا يُمنع الزواج

ويعتقد الهندوس أن ربهم براهما خلق الطبقة الأولى من فمه، والثانية من ذراعيه والثالثة من فخديه؛ أما الرابعة فمن أسفل قدميه، ومن ثم فهي منبوذة.

- دون مرتبة البد مرتبة البوديسعية، ومعناه الإنسان الطالب سبيل الحق، وإنما يصل إلى تلك المرتبة بالصبر والعطية، وبالرغبة فيما يجب أن يرغب فيه. وبالامتناع والتخلي عن الدنيا، والعزوف عن شهواتها ولذاتها، والعفة عن محارمها. والرحمة على جميع الخلق. وبالاجتناب عن الذنوب العشرة: قتل كل ذي روح، واستحلال أموال الناس، والزنا، والكذب، والنميمة، والبذاء، والشتم، وشناعة الألقاب، والسفه، والجحد لجزاء الآخرة، وباستكمال عشرة خصال، إحداها: الجود والكرم، والثانية: العفو عن المسيء ودفع الغضب بالحلم. والثالثة: التعفف عن الشهوات الدنيوية، والرابعة: الفكرة في التخلص إلى ذلك العالم الدائم الوجود من هذا العالم الفاني، والخامسة: رياضة العقل بالعلم والأدب، وكثرة النظر إلى عواقب الأمور. والسادسة: القوة على تصريف

النفس في طلب العليات، والسابعة لين القول وطيب الكلام مع كل أحد، والثامنة: حسن المعاشرة مع الإخوان بإيثار اختيارهم على اختيار نفسه، والتاسعة: الإعراض عن الخلق بالكلية والتوجه إلى الحق بالكلية، والعاشرة بذل الروح شوقاً إلى الحق ووصولاً إلى جناب الحق[1].

المسألة الرابعة: الرد على البراهمة في نفي النبوات[2]:

الفرع الأول: مكانة العقل ووضعه في التصور الإسلامي

لما كان عمدة أدلة القوم هي الاحتجاج بمكانة العقل، وقدرته على التفرد بمعرفة الصواب من الخطأ؛ كان لا بد من تمهيد يبين التصور الصحيح لمكانة العقل في الإسلام.

قال الدكتور سليمان العايد[3]: «العقل في التصور الإسلامي له وضع يليق به، لا يرتفع ليكون إلهاً، ولا يمتهن ليكون صاحبه كسائر الحيوانات، إذ من المسلم أن العقل له قدرة في معرفة ما يصلحه وما يضره، وقدرة في معرفة الحسن من القبيح معرفة فطرية، ولكن هذه المعرفة وهذا الإدراك من العقل أمامه إشارات تجعله لا يقدر على تسيير الحياة وحده دون وحي، ومن هذه:

---

(1) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج3/ ص96 ، 97، وأديان الهند الكبرى، د/ أحمد شلبي ص 114 فما بعد، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، عز الدين ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، أبو عبد الله، تحقيق وضبط، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 3، 1415هـ ج8/ ص6، وج9/ ص10، مجلة البحوث الإسلامية، ع12/ ص364، مجلة البيان، ج63/ ص50.

(2) انظر غير من سيرد قولهم: أعلام النبوة، أبو الحسن علي الماوردي، نشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 1، 1409هـ، ص49. والملل والنحل، الشهرستاني: 3/ 96 – ص97، وسيأتي في المطلب الآتي في كلام ابن الجوزي الرد عي هذه الشبهات وغيرها، وللشافعي كتاب في تصحيح النبوة والرد على البراهمة، والغنية في أصول الدين، عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري، أبو سعد، تحقيق وتقديم: ماري برنان، نشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، 1986 – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية)، ع7، ص:148.

(3) هو سليمان العايد، الدكتور، من علماء المملكة السعودية، وعضو هيئة التدربس بجامعة أم القرى.

1- معرفة الغيب الذي أخفاه الله عن خلقه على حقيقته، كمعرفة صفات الله، والملائكة والجن والنار والجنة، وما أعده الله لعباده من الثواب والعقاب، ونحو ذلك من الأمور التي لا تقع تحت الحس.

2- إدراكات العقل مجملة لا مفصلة، فقد يدرك أن هذا الفعل حسن مثل

العدل، ويدرك أن هذا الفعل قبيح مثل الجور، وقد يعجز عن تحديد عمل من الأعمال: هل هو عدل أو جور؟

3- أن العقول قد لا تقدر على معرفة الحسن من القبح، وخاصة إذا تَضّمْن الفعل مصلحة ومفسدة، أو كان ظاهره الفساد وباطنه المصلحة.

قال ابن تيمية: "الأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيئوا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمحارات العقول، لا بمحالات العقول"[(1)].

4- اختلاف العقول الإنسانية ومستوى إدراكها، فقد يستحسن عقل مالا يستحسنه آخر، ويستقبح عقل مالا يستقبحه آخر، مما يوقعها في متناقض الآراء، ويحيل هذه الآراء فرضيات لا حقائق مقطوعاً بها.

5- العوامل التي تؤثر في إدراك العقل البشري تبذر بذور الشك في صحة ما تنتهي إليه العقول»[(2)].

وعليه، فإن الذين يريدون أن يستغنوا عن الوحي بالعقل يظلمون العقل ظلماً كبيراً، ويبددون طاقة العقل في غير مجالها، «إن للعقل اختصاصه وميدانه وطاقته، فإذا اشتغل خارج اختصاصه جانبه الصواب، وحالفه الشطط والتخبط، وإذا أجري في غير ميدانه كبا وتعثر، وإذا كلف فوق طاقته كان نصيبه العجز والكلال.

إن العالم المادي المحسوس أو عالم الطبيعة هو ميدان العقل الفسيح الذي

---

(1) مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ج2/ ص312.

(2) مجلة البيان، ع6/ ص38.

يصول فيه ويجول، فيستخرج مكنوناته، ويربط بين أسبابه وعلله، ومقدماته ونتائجه، فيكشف ويخترع، ويتبحّر في العلوم النافعة في مختلف ميادين الحياة، وتسير عجلة التقدم البشري إلى أمام.

أما إذا كلف النظر خارج اختصاصه أعني ما وراء الطبيعة فإنه يرجع بعد طول البحث والعناء بما لا يروي غليلاً ولا يشفي عليلاً، بل يرجع بسخافات وشطحات[1].

وسيأتي في طيات الردود التالية مزيد شواهد تبين مهمة العقل وحدوده[2].

الفرع الثاني: دلائل النبوة وإبطال أدلة البراهمة في إنكار النبوات

تكلم كثير من العلماء حول العنوان المذكور، وفي سردهم تداخل وتكرار، أوجب من الباحث الاكتفاء بنص متقدم كنموذج من السابقين في محاججة القوم، ونصين من المعاصرين في سردهما نوع من الترتيب والاختار لجل ما قالة الأولون، وفي الحاشية السابقة واللاحقة ذكر مراجع أخرى لمن أراد الاستزادة في الموضوع.

قال ابن حزم[3]: «أنكروا النبوات، وعمدة احتجاجهم في دفعها أن قالوا:

لما صح أن الله عز وجل حكيم، وكان من بعث رسولاً إلى من يدري أنه لا

---

(1) الرسل والرسالات، د/ عمر سليمان الأشقر، نشر: مكتبة الفلاح، الكويت، ودار النفائ، الكويت، ط: 4، 1410هـ - 1989م ص38، والمؤلف عالم فلسطيني الأصل، أستاذ كلية الشريعة في الجامعة الأردنية، (ت 1433هـ ، 2012م).

(2) وانظر عن دور العقل وموقفه من الوحي كذلك: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية 1/ 138 فما بعد، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقق: علي بن محمد الدخيل الله، نشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1408هـ، ج3/ ص808: 809، ومبحث: "التحسين والتقبيح العقليين" في كتب الأصول والعقيدة.

(3) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، (384 - 456هـ)عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة من بلاد الأندلس، وكان فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة على طريقة أهل الظاهر، بعيدًا عن المصانعة حتى شُبِّه لسانه بسيف الحجاج، له من المؤلفات: "المحلى بالآثار"، و"الإحكام في أصول الأحكام)، والفصل في الملل والأهواء والنحل. سير أعلام النبلاء ج18/ ص184، وابن حزم خلال ألف عام، ابن عقيل الظاهري.

يصدقه فلا شك في أنه متعنت عابث؛ فوجب نفي بعث الرسل عن الله عز وجل لنفي العبث والعنت عنه.

وقالوا أيضاً: إن كان الله تعالى إنما بعث الرسل إلى الناس ليخرجهم بهم من الضلال إلى الإيمان فقد كان أولى به في حكمته، وأتم لمراده أن يضطر العقول إلى الإيمان به، قالوا: فبطل إرسال الرسل على هذا الوجه أيضاً، ومجيء الرسل عندهم من باب الممتنع.

وأما نحن فنقول: إن مجيء الرسل عندهم قبل أن يبعثهم الله تعالى واقع في باب الإمكان، وأما بعد إن بعثهم الله عز وجل ففي حد الوجوب. ثم أخبر الصادق عليه السلام عنه تعالى أنه "لا نبي بعده"، فقد جد الامتناع، ولسنا نحتاج إلى تكلف ذكرِ قول من قال من المسلمين أن مجيء الرسل من باب الواجب، واعتلالهم في ذلك بوجوب الإنذار في الحكمة، إذ ليس هذا القول صحيحاً، وإنما قولنا الذي بيناه في غير موضع أنه تعالى لا يفعل شيئاً لعلة، وأنه تعالى يفعل ما يشاء، وأن كل ما فعله فهو عدل وحكمة أي شيء كان.

فيقال -وبالله التوفيق- لمن احتج بالحجة الأولى من أن الحكمة تضاد بعثة الرسل، وأن الحكيم لا يبعث الرسل إلى من يدري أنه يعصيه - أنكم اضطركم هذا الأصل الفاسد الحاكم إلى موافقة المانِيَّة على أصولها في أن الحكيم لا يخلق من يعصيه، ومن يكفر به، ويقتل أولياءه، وهم يقولون أن الله تعالى خلق الخلق ليدلهم بهم على نفسه.

ويقال لهم: قد علمنا وعلمتم أن في الناس كثيراً يجحدون الربوبية والوحدانية، فقولوا: أنه ليس حكيماً مَن خَلَق دلائلَ لمن يدري أنه لا يستدل بها..

فإن قالوا: إنه قد استدل بها كثير..

قيل لهم: وقد صدق الرسل أيضاً كثير.

فإن قالوا: أنه خلق الخلق كما شاء..

قيل لهم: وكذلك بعث الرسل أيضاً كما شاء، فبعثته تعالى الرسل هي بعض دلائله التي خلقها تعالى ليدل بها على المعرفة به تعالى، وعلى توحيده.

ويقال لمن احتج بالحجة الثانية: من أن الأولى به أنه كان يضطر العقول إلى الإيمان به أن هذا قول مرذول مردود عليكم في قولكم: أن الله عز وجل خلق الخلق ليدلهم بهم نفسه ووحدانيته؛ فيلزمكم على ذلك الأصل الفاسد أنه كان الأولى إذ خلقهم أن لا يدعهم والاستدلال، وقد علم أن فيهم من لا يستدل، وأن فيهم من يغمض عليه الاستدلال؛ فكان الأولى في الحكمة أن يضطر عقولهم إلى الإيمان به ولا يكلفهم مؤنة الاستدلال، وأن يلطف بهم ألطافاً يختار جميعهم معها الإيمان كما فعل بالملائكة.

قال أبو محمد: وملاك هذا كله ما قد قلناه في غير موضع من أن الخلق لما كانوا لا يقع منهم فعل إلاَّ لعلة، ووجب بالبراهين الضرورية أن الباري تعالى بخلاف جميع خلقه من جميع الجهات – وجب أن يكون فعله لا لعلة، بخلاف أفعال جميع الخلق، وأنه لا يقال في شيء من أفعاله تعالى أنه فعل كذا لعلة، ولا إذ جاء الإنسان بالنطق وحرمه سائر الحيوان وخلق بعض الحيوان صائداً، وبعضه مصيداً، وباين بين جميع مفعولاته كما شاء، فليس لأحد أن يقول: لم خلق الإنسان ناطقاً وحرم الحمار، النطق وجعل الحجر جامداً لا حياة له ولا نطق؟ وهذا أصل قد وافقنا البراهمة عليه وسائر من خالفنا من تفريع هذا المعنى ممن يقول بالتوحيد، وهكذا إذا بعث تعالى الأنبياء ليس لأحد أن يقول: لم بعثهم، أو لم بعث هذا الرجل ولم يبعث هذا الآخر، ولا لم بعثهم في هذا الزمان دون غيره في الأزمنة، ولا لم بعثهم في هذا المكان دون غيره من الأمكنة؟ كما لا يقال لم حباه بالسعد في الدنيا دون غيره؟ وهكذا كل ما في العالم إذا نظر فيه تعالى الذي لا يسأل عما يفعل وهو يسألون»[1].

وقال عبد الرزاق عفيفي[2] وهو بتكلم عن حاجة البشر إلى الرسالة: «الأفعال

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مرجع سابق، ج1/ ص64.

(2) هو عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر ابن شرف الدين النوبي، (1323 – 1415هـ)، عالم مصري

الاختيارية: منها ما تُحمد عقباه فيجمل بالعاقل فعله، والحرص عليه، ولو ناله في سبيل تحصيله حرج ومشقة، وأصابه في عاجل أمره كثير من الآلام. ومنها ما تسوء مغبته، فيجدر بالعاقل أن يتماسك دونه، وأن يتنكب طريقه، خشية شره، وطلباً للسلامة من ضره، وإن كان فيه ما فيه من الملذات العاجلة التي تغري الإنسان بفعله، أو تخدعه عما فيه سلامة نفسه. غير أن عقله قد يقصر في كثير من شئونه، عن التمييز بين حسن الأفعال وقبيحها، ونافعها وضارها، فلابد من معين يساعده على ما قصر عن إدراكه، وقد يعجز عن العلم بما يجب عليه علمه، لأنه ليس في محيط عقله، ولا دائرة فكره، مع ما في علمه به من صلاحه وسعادته، وذلك: كمعرفته بالله، واليوم الآخر، والملائكة تفصيلاً، فكان في ضرورة إلى من يهديه الطريق في أصول دينه، وقد يتردد في أمر إما لعارض هوى وشهوة أو لتزاحم الدواعي واختلافها، فيحتاج إلى من ينقذه من الحيرة، ويكشف له حجاب الضلالة بنور الهداية؛ فبان بذلك حاجة الناس إلى رسول يخرجهم من الظلمات إلى النور، ويكملهم بمعرفة ما قصرت عنه أفهامهم، ويوقفهم على حقيقة ما عجزوا عنه، ويدفع عنهم الألم والحيرة، ومضرة الشكوك. أضف إلى ذلك أن تفاوت العقول والمدارك، وتباين الأفكار، واختلاف الأغراض، والمنازع، ينشأ عنه تضارب الآراء وتناقض المذاهب، وذلك يفضي إلى سفك الدماء، ونهب الأموال، والاعتداء على الأعراض، وانتهاك الحرمات، وبالجملة ينتهي إلى تخريب، وتدمير لا إلى تنظيم، وحسن تدبير، ولا يرتفع ذلك إلا برسول يأتي بفصل الخطاب، ويقيم الحجة، ويوضح المحجة، فاقتضت حكمة الله ان يرسل رسله رحمة بعباده، وإقامة للعدل بينهم، وتبصيراً لما يجب عليهم من حقوق خالقهم، وإعانة لهم على أنفسهم، وإعذاراً إليهم، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله. من أجل ذلك

الأصل، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة السعودية، ولد المنوفية بمصر، وتوفي بالرياض السعودية، له من المؤلفات: "مجموع مؤلفات الشيخ عبد الرواق عفيفي". منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة، أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، نشر: 1431هـ، ص17 ، 22.

أرسل الرسل وأنزل الكتب. فقد ثبت أن سعد بن عبادة قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح (أي بحده لا بصفحته)؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "أتعجبون من غيرة سعد لأنا أغير منه والله أغير مني ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ولا أحد أحب إليه المدح من الله، ومن أجل ذلك وعد الله بالجنة"[(1)] رواه البخاري. ومما تقدم يعلم أن إرسال الله للرسل مما يدخل في عموم قدرته، فضلاً منه، ورحمة، والله عليم حكيم، وهذا هو القول الوسط، والمذهب الحق. – وقد أفرط المعتزلة فقالوا: إن بعثة الرسل واجبة على الله – تعالى – إبانة للحق، وإقامة للعدل، ورعاية للأصلح، وهذا مبني على ما ذهبوا إليه من القول بالتحسين والتقبيح العقليين، وهو أصل فاسد. وتطرف البراهمة فأحالوا أن يصطفي الله نبياً، ويبعث من عباده رسولاً، وزعموا أن إرسالهم عبث، إما لعدم الحاجة إليهم اعتماداً على العقل في التمييز بين المفاسد والمصالح، واكتفاء بإدراكه ما يحتاج إليه العباد في المعاش والمعاد، وإما لاستغناء الله عن عباده، وعدم حاجته إلى أعمالهم، خيراً كانت أم شراً، إذ هو سبحانه لا ينتفع بطاعتهم، ولا يتضرر بمعصيتهم، وقد سبق بيان عدم كفاية العقل في إدراك المصالح والمفاسد. وحاجة العالم إلى الرسالة مع غنى الله عن أعمال الخلق، فليس إرسالهم عبثاً بل هو مقتضى الحكمة»[(2)].

وفي تلخيص جامع لصالح الفوزان[(3)] قال: «دلائل النبوة هي الأدلة التي تعرف بها نبوة النبي الصادق، ويعرف بها كذب المدعي للنبوة من المتنبئين الكذبة.

ودلائل النبوة كثيرة ومتنوعة وغير محصورة:

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: "لا شخص أغير من الله"، ج9/ ص132، رقم: 7416.

(2) مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ، عبد الرزاق عفيفي، ص54 – 57، وانظر ما تقدم في الفصل الأول، المبحث الثالث، المطلب الثاني: حاجة المجتمع للرسالة العامة، وللإسلام خاصة.

(3) هو الدكتور صالح بن فوزان الفوران، عضو هيئة الفتوى السعودية. موقع اللجنة الدائمة في الانترنت.

فمنها: المعجزة، وهي اسم فاعل من العجز المقابل للقدرة.

وفي "القاموس": "معجزة النبي ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء فيها للمبالغة، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته»[1].

ومعجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام كثيرة، منها الناقة التي أوتيها صالح عليه السلام حجة على قومه، وقلب العصا حية آية لموسى عليه السلام، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى آية لعيسى عليه السلام، ومنها معجزات نبينا محمد ﷺ، وهي كثيرة، أعظمها القرآن الكريم، وهي المعجزة الخالدة، التي تحدى الله بها الجن والإنس، ومنها الإسراء والمعراج، وانشقاق القمر، وتسبيح الحصا في كفه عليه الصلاة والسلام، وحنين الجذع إليه، وإخباره عن حوادث المستقبل والماضي.

ودلائل النبوة ليست محصورة في المعجزة كما يقوله المتكلمون، بل هي كثيرة متنوعة.

منها: إخبارهم الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أعدائهم وبقاء العاقبة لهم، فوقع كما أخبروا، ولم يتخلف منه شيء؛ كما حصل لنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وموسى ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، مما قصه الله في كتابه.

ومنها: أن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبار في غاية الإحكام والإتقان وكشف الحقائق وهدي الخلق؛ مما يعلم بالضرورة أن مثله لا يصدر إلاَّ عن أعمل الناس وأبرهم.

ومنها: أن الله يؤيدهم تأييداً مستمراً، وقد علم من سنته سبحانه أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد به الصادق، بل لا بد أن يفتضح الكذاب، وقد يمهله الله ثم

---

(1) القاموس المحيط، الفيروزابادي، مرجع سابق، ج1/ ص 516.

يهلكه.

ومنها: أن طريقتهم واحدة فيما يأمرون به من عبادة الله، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل؛ فلا يمكن خروج واحد منهم عما اتفقوا عليه؛ فهم يصدق متأخرهم متقدمهم، ويبشر متقدمهم بمتأخرهم؛ كما بشر المسيح ومن قبله بمحمد ﷺ، وكما صدق محمد ﷺ جميع النبيين قبله.

ومن دلائل النبوة: تأييد الله للأنبياء؛ فقد علم من سنة الله وعادته أنه لا يؤيد الكذاب بمثل ما يؤيد الصادق، بل يفضح الكذاب ولا ينصره، يل لا بد أن يهلكه، وإذا نصر ملكا ظالما؛ فهو لم يدع النبوة ولم يكذب عليه، بل هو ظالم سلطه الله على ظالم مثله؛ كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1]، بخلاف من قال: إن الله أرسله، وهو كاذب؛ فهذا لا يؤيده تأييداً مستمراً، لكن يمهله مدة ثم يهلكه.

والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة، فيما هو دون دعوى النبوة؛ فكيف بدعوى النبوة؟! ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكمله، وإما أن يكون من أنقص الخلق، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي ﷺ لما بلغهم ودعاهم إلى الإسلام؛ فقال له: "والله لا أقول لك كلمة واحدة، إن كنت صادقاً فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذباً؛ فأنت أحقر من أن أرد عليك"؛ فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم؟!.

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز؛ فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً، والكاذب يظهر من نفس ما يأمر به ويخبر عنه ويفعله ما يظهر به كذبه من وجوه كثيرة.

هذا؛ وربما يسأل سائل عن الفرق بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان،

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 129.

وعجائب المخترعات التي ظهرت اليوم.

والجواب: أن هناك فوارق كثيرة بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان والاختراعات الصناعية:

منها: أن أخبار الأنبياء لا يقع فيها تخلف ولا غلط؛ بخلاف أخبار الكهنة والمنجمين؛ فالغالب عليها الكذب، وإن صدقوا أحيانا في بعض الأشياء؛ بسبب ما يحصل عليه الكهان من استراق شياطينهم للسمع.

ومنها: أن السحر والكهانة والاختراع أمور معتادة معروفة، ينالها الإنسان بكسبه وتعلمه؛ فهي لا تحرج عن كونها مقدورة للجن والإنس، ويمكن معارضتها بمثلها؛ بخلاف آيات الأنبياء؛ فإنها لا يقدر عليها جن ولا إنس؛ كما قال تعالى: ﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** ﴾[1]؛ فآيات الأنبياء لا يقدر عليها الخلق، بل الله هو الذي يفعلها آية وعلامة على صدقهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وتسبيح الحصا بصوت يسمع، وحنين الجذع، وتكثير الماء والطعام القليل؛ فهذه لا يقدر عليها إلا الله.

ومنها: أن الأنبياء مؤمنون مسلمون، يعبدون الله وحده بما أمر، ويصدقون جميع ما جاءت به الأنبياء، وأما السحرة والكهان والمتنبئون الكذبة؛ فلا يكونون إلاَّ مشركين مكذبين ببعض ما أنزل الله.

ومنها: أن الفطر والعقول توافق ما جاء به الأنبياء عليهم السلام، وأما السحرة والكهان والدجالون والكذابون؛ فإنهم يخالفون الأدلة السمعية والعقلية والفطرية.

ومنها: أن الأنبياء جاؤوا بما يكمل الفطر والعقول والسحرة والكهان والكذبة يجيئون بما يفسد العقول والفطر.

ومنها: أن معجزات الأنبياء لا تحصل بأفعالهم هم، وإنما يفعلها الله – عز وجل

---

(1) سورة الإسراء، الآية: 88.

– آية وعلامة لهم؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله به؛ فأمر الآيات إلى الله، لا إلى اختيار المخلوق؛ كما قال الله لنبيه عندما طلبوا منه أن يأتي بآية؛ قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْآيَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[1] وأما خوارق السحرة والكهان والمخترعات الصناعية؛ فإنها تحصل بأفعال الخلق»[2].

الفرع الرابع: دلائل النبوة المحمدية

يقول الشيخ الدكتور السقار[3]: «دلائل النبوة الشاهدة بنبوة نبينا ﷺ متنوعة وكثيرة، ويجمعها أقسام ستة:

الأول: الغيوب التي اخبر عنها النبي ﷺ وتحققت حال حياته أو بعد وفاته، كما أخبر عنها، ومن هذا النوع ايضاً ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الإعجاز العلمي الذي شهد بصحته العالم التجريبي الحديث.

الثاني: المعجزات الحسية التي وهبها الله النبي ﷺ، ككثير الطعام، وشفاء المرضي، وانشقاق القمر.

الثالث: الدلائل المعنوية، كاستجابة الله دعاءه، وعصمته له من القتل، وانتشار رسالته عليه الصلاة والسلام. فهذا النوع من الدلائل يدل علي تأييد الله له ومعيته لشخصه، ثم لدعوته ودينه، ولا يؤيد الله دعياً يفتري عليه الكذب بمثل هذا.

واما رابع دلائل نبوته: ﷺ فهو أعظمها وأدومها، أنه القران الكريم، معجزة الله التي

---

(1) سورة العنكبوت، آية رقم: 50.

(2) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان، ص: 180 –184. وانظر للتوسع: "النبوات"، ابن تيمية كاملاً.

(3) هو منقذ السقار عالم أردني الجنسية، يحمل درجة الدكتوراه في علم الأديان، ويعمل حالياً أستاذاً في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، له من المؤلفات: "سلسلة الهدي والنور"، و"دلائل النبوة".

لا تبليها السنون ولا القرون، هذا الكتاب معجزة خالدة، ودليل الاعجاز، يقول رسول الله ﷺ: "ما من الأنبياء من نبي قد اعطي من الآيات، ما مثله امن عليه البشر، وانما كان الذي أوتيت وحيا اوحي الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"[1].

وخامس أنواع دلائل النبوة: إخبار النبوات السابقة، وتبشيرها بمقدمة ﷺ، فهو النبي الذي أخذ الله الميثاق علي الأنبياء أن يومنوا به وينصروه حال ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[2]"[3].

المطلب الثاني

البراهمة عند الإمامين

تناول ابن الجوزي طائفة البراهمة تحت فصلين: الأول تحت عنوان: "ذكر تلبيس إبليس على جاحدي النبوات"[4]، فذكر البراهمة من جملة طوائف من أهل الهند، وكأنه يعتبر أن جحد النبوات أمر متفق عليه بينهم عامة، ولعل في سرده تداخل تعوزه الدقة.

والثاني: تحت عنوان: "الكلام عن جاحدي النبوات"[5]، فذكر واحداً من طقوسهم، ومقالة واحدة من مقالاتهم في السمعيات!.

ويمكن استقراء مجمل ما ذكر –بعد ترتيبه– في المسائل التالية:

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته، ج1/ 134، رقم 239.

(2) سورة آل عمران، آية رقم: 81.

(3) دلائل النبوة، السقار، نشر: دار الإسلام، المملكة العربية السعودية، ط.1، 1428، ص 6.

(4) تلبيس إبليس: ص60.

(5) تلبيس إبليس: ص60.

- تعريف بالطائفة.

- ذكر مقالاتهم وعقائدهم والرد عليها.

- عباداتهم وطقوسهم.

أما ابن القيم فلم يضع فصلاً للبراهمة وأديان الهند خاصة، والسبب و-الله أعلم- أنه يرى ديانتهم امتداداً لطائفة الصابئة الذين يستوعب مسماهم غيرهم كما مر في المبحث الرابع من هذا الفصل عن الصابئة، وسيأتي في ذكره عبادتهم الأصنام ما يشير إلى ذلك، وعلية لم يذكر ابن القيم عن ديانة الهند سوى عبادتهم للأصنام وتقربهم للنار، أما ما اشتهر به البراهمة من جحد النبوات، فلعل الإمام اكتفى فيه بحديثه عن الفلاسفة وغيرهم في تقديمهم العقل على الوحي، وقد تقدم الحديث عنهم في المبحث الأول من هذا الفصل.

وفيما يلي بسط كلام الشيخين بالترتيب المذكور آنفاً:

المسألة الأولى: تعريف البراهمة عند الإمامين

قال ابن الجوزي: «قد لبس إبليس على البراهمة والهندوس وغيرهم، فزين لهم جحد النبوات ليسد طريق ما يصل من الإله»[1].

إذن عقيدتهم الكبرى التي ميزهم بها الإمام هي: إنكار النبوات، وسيذكر عنهم ما يشيؤ إلى أن نهم ينكرونهاللزسول البشري فقط، ويؤمنون برسول ملكي.

ولم يعرف بهم ابن القيم، فقد قال عن عباد الأصنام في الديانة الهندية: «وأصل هذا المذهب من مشركى الصابئة، ... وهو مذهب قديم فى العالم، وأهله طوائف شتى»[2].

---

(1) المرجع السايق: ص60.

(2) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج2/ ص223.

المسألة الثانية: مقالات البراهمة عند الإمامين

نسبة إلى إجمال ما نقله ابن الجوزي من عقائد القوم عن النويختي دون تفريق بين الإلهيات والنبوات والسمعيات والدقوس والعبادات فيستحسن ذكر جملة ما نقله، ثم بعد نفصله في نقاط:

قال ابن الجوزي: «وقد حكى أبو محمد النوبختي في كتاب "الآراء والديانات" أن قوماً من الهند من البراهمة أثبتوا الخالق والرسل والجنة والنار، وزعموا أن رسولهم ملك أتاهم في صورة البشر من غير كتاب، له أربعة أيد واثنتا عشر رأساً، من ذلك: رأس إنسان، ورأس أسد، ورأس فرس، ورأس فيل، ورأس خنزير، وغير ذلك من رؤوس الحيوانات، وأنه أمرهم بتعظيم النار، ونهاهم عن القتل والذبائح إلاَّ ما كان للنار، ونهاهم عن الكذب، وشرب الخمر، وأباح لهم الزنا، وأمرهم أن يعبدوا البقر، ومن ارتد منهم ثم رجع حلقوا رأسه ولحيته وحاجبيه وأشفار عينيه، ثم يذهب فيسجد للبقر.. في هذيانات يضيع الزمان بذكرها»[1].

وهذا تفصيل من سبق:

الفرع الأول: مقالات البراهمة في الإلهيات عند الإمامين

- يثبتوا الصانع
- يعظمون النار.
- يعبدون البقر.

الفرع الثاني: مقالات البراهمة في النبوات عند الإمامين

- يؤمنون برسول ملكي في سورة بشر.
- ليس له كتاب.

---

(1) تلبيس إبليس: ص 60.

– له أربعة أيد واثنتا عشر رأساً، من ذلك: رأس إنسان، ورأس أسد، ورأس فرس، ورأس فيل، ورأس خنزير، وغير ذلك من رؤوس الحيوانات.

الفرع الثالث: مقالات البراهمة في السمعيات عند الإمامين

يؤمنون يالجنة والنار.

وفي وصفها قال ابن الجوزي: «وفيهم من زعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة، وأن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة، وكل مرتبة أضعاف ما دونها، وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة، منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه، وست عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذاب»(1).

المسألة الثالثة: طقوسهم وعباداتهم

– تحريم القتل وذبح الحيوان إلاَّ ما كان للنار.

– تحريم الكذب، وشرب الخمر.

– جواز الزنا.

– حلقوا رأس من ارتد ورجع إلى دينهم، وحلق لحيته وحاجبيه وأشفار عينيه.

– ومما ذكره في فصل لاحق عن البراهمة خاصة قوله: «قد حسن لهم إبليس أن يتقربوا بإحراق نفوسهم، فيحفر للإنسان منهم أخدود وتجتمع الناس فيجيء مُضمَّخاً بالخلوق والطيب، وتضرب المعازف والطبول والصنوج، ويقولون: طوبي لهذه النفس التي تعلق إلى الجنة، ويقول هو: ليكن هذا القربان مقبولاً، ويكون ثواب الجنةً. ثم يلقي نفسه في الأخدود فيحترق، فإن هرب نابذوه ونفوه وتبرأوا منه حتى يعود.

ومنهم من يُحمي له الصخر، فلا يزال يلزم صخرة صخرة حتى يثقب جوفه

---

(1) تلبيس إبليس: ص61 – 64

ويخرج مِعاه فيموت.

ومنهم من يقف قريباً من النار إلى أن يسيل ودكُه، فيسقط.

ومنهم من يُقطع من ساقه وفخذه قَطعاً ويلقيها إلى النار، والناس يزكونه ويمدحونه، ويسألون مثل مرتبته حتى يموت.

ومنهم من يقف في أخثاء البقر إلى ساقه، ويشعل النار فيحترق.

ومنهم من يعبد الماء ويقول هو حياة كل شيء فيسجد له..

ومنهم من يجهز له أخدود قريب من الماء فيقع في الأخدود حتى إذا التهب قام فانغمس في الماء ثم رجع إلى الأخدود حتى يموت، فإن مات وهو بينهما حزن أهله وقالوا: حُرِم الجنة، وإن مات في أحدهما شهدوا له بالجنة..

ومنهم من يزهق نفسه بالجوع والعطش، فيسقط أولاً عن المشي، ثم عن الجلوس، ثم ينقطع كلامه، ثم تبطل حواسه، ثم تبطل حركته، ثم يخمد..

ومنهم من يهيم في الأرض حتى يموت، ومنهم من يغرق نفسه في النهر..

ومنهم من لا يأتي النساء، ولا يواري إلى العورة..

ولهم جبل شاهق تحته شجرة، وعندها رجل بيده كتاب يقرأ فيه، يقول: طوبى لمن ارتقى هذا الجبل وبعج بطنه وأخرج أمعاءه بيده..

ومنهم من يأخذ الصخور فيرض بها جسده حتى يموت، والناس يقولون طوبى لك..

وعندهم نهران فيخرج أقوام من عُبَّادهم يوم عيدهم، وهناك رجال فيأخذون ما على العباد من الثياب، ويبطحونهم فيقطعونهم نصفين، ثم يلقون أحد النصفين في نهر، والنصف الآخر في نهر، ويزعمون أنهما يجريان إلى الجنة..

ومنهم من يخرج إلى براح ومعه جماعة يدعون له ويهنئونه بنيته، فإذا أضجر جلس وجمع له سباع الطير من كل جهة، فيتجرد من ثيابه، ثم يمتد والناس ينظرون

إليه، فتبتدره الطير فتأكله، فإذا تفرقت الطير جاءت الجماعة فأخذوا عظامه وأحرقوها وتبركوا به، في أفعال طويلة قد ذكرها أبو محمد النوبختي يضيع الزمان في كتابتها.

والعجب أن الهند قوم تؤخذ الحكمة عنهم، ويؤخذ عنهم دقائق الحكمة وتلهم دقائق الأعمال، فسبحان من أعمى قلوبهم حتى قادهم إبليس هذا المقادم!»[1]..

وأما ابن القيم فذكر من طقوسهم في عبادة الأصنام ما يلي: «ومن شريعتهم فى عبادتها: أنهم اتخذوا لها صنماً بيده جوهرة على لون النار. وله بيت خاص قد بنوه باسمه، وجعلوا له الوقوف الكثيرة، من القرى والضياع، وله سدنة وقوام وحجبة، يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات فى اليوم. ويأتيه أصحاب العاهات، فيصومون لذلك الصنم ويصلون، ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم لها، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك، ولهذا يقارنها الشيطان فى هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له. ولهذا نهى النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن تحرى الصلاة فى هذه الأوقات، قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً، وسداً لذريعة الشرك، وعبادة الأصنام»[2].

وقال عن عبادتهم النار: «وطائفة أخرى منهم: تبلغ بهم عبادتهم لها إلى أن يقربوا أنفسهم وأولادهم لها، وهؤلاء أكثر ملوك الهند وأتباعهم. ولهم سنة معروفة فى تقريب نفوسهم، وإلقائهم فيها، فيعمد الرجل الذى يريد أن يفعل ذلك بنفسه، أو بولده، أو حبيبه. فيجمله ويلبسه أحسن اللباس، وأفخر الحلى، ويركبه أعلى المراكب وحول المعازف والطبول والبوقات، فيزف إلى النار أعظم من زفافه ليلة عرسه، حتى إذا ما قابلها ووقف عليها وهى تأجج طرح نفسه فيها، فضج الحاضرون ضجة واحدة بالدعاء له، وغبطته على ما فعل. فلا يلبث إلاَّ يسيراً حتى يأتيهم الشيطان فى صورته وشكله وهيأته، لا ينكرون منه شيئاً، فيأمرهم بأمره، ويوصيهم بما يوصيهم به، ويوصيهم

---

(1) تلبيس إبليس: ص 55 – 56.

(2) إغاثة اللهفان: ج2، ص 223.

بالتمسك بهذا الدين. ويخبرهم أنه صار إلى جنة ورياض وأنهار، وأنه لم يتألم بمس النار له، فلا يهولنهم ذلك ولا يمنعهم عن أن يفعلوا مثله.

ومنهم زهاد وعباد، يجلسون حول النار صائمين، عاكفين عليها»[1].

وقال -منصفاً لهم- لهم بخصوص الأخلاق: «ومن سنتهم: الحث على الأخلاق الجميلة، كالصدق، والوفاء، وأداء الأمانة، والعفة، والعدل، وترك أضدادها. ولهؤلاء شرائع فى عبادتها، ونواميس وأوضاع لا يخلون بها»[2].

المسألة الثالثة: رد شبهات البراهمة في جحدهم النبوات عند الإمامين

قال ابن الجوزي: «وقد ألقى إبليس إلى البراهمة ست شبهات:

الشبهة الأولى: استبعاد اطلاع بعضهم على ما خفي عن بعض، فقالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ﴾[3]، والمعنى: وكيف أطلع على ما خفي عنكم.

وجواب هذه الشبهة: أنهم لو ناطقوا العقول لأجازت اختيار شخص بشخص؛ لخصائص يعلو بها جنسه، فيصلح بتلك الخصائص لتلقف الوحي، إذ ليس كل أحد يصلح لذلك، وقد علم الكل أن الله سبحانه وتعالى ركب الأمزجة متفاوتة، وأخرج إلى الوجود أدوية تقاوم ما يعرض من الفساد البدني، فإذا أمد النبات والأحجار بخواص لإصلاح أبدان خلقت للفناء ههنا وللبقاء في دار الآخرة لم يبعد أن يخص شخصاً من خلقه بالحكمة البالغة والدعاية إليه؛ إصلاحا لمن يفسد في العالم بسوء الأخلاق والأفعال. ومعلوم أن المخالفين لا يستنكرون أن يختص أقوام بالحكمة ليسكنوا فورات الطباع الشريرة بالموعظة، فكيف ينكرون أمداد الباري سبحانه بعض الناس برسائل

(1) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج2/ ص233 – 235.

(2) المرجع نفسة ج2/ ص235.

(3) المرجع نفسة ج2/ ص235.

ومصالح ووصايا يصلح بها العالم، ويطيب أخلاقهم، ويقيم بها سياستهم، وقد أشار عز وجل إلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾[1].

الشبهة الثانية: قالوا: هلَّا أرسَل ملكاً، فإن الملائكة إليه أقرب، ومن الشك فيهم أبعد، والآدميون يحبون الرياسة على جنسهم، فيوقع هذا شكاً.

وجواب هذا من ثلاثة أوجه:

أحدهما: أن في قوى الملائكة قلب الجبال والصخور، فلا يمكن إظهار معجزة تدل على صدقهم لأن المعجزة ما خرقت العادة، وهذه العادة الملائكة، وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف ليكون دليلاً على صدقه.

والثاني أن الجنس إلى الجنس أميل، فصح أن يرسل إليهم من جنسهم لئلا ينفروا، وليعقلوا عنه، ثم تخصيص ذلك الجنس بما عجز عنه دليل على صدقه.

والثالث أنه ليس في قوى البشر رؤية الملك، وإنما الله تعالى يقوي الأنبياء بما يرزقهم من إدراك الملائكة، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا ﴾[2] أي لينظروا إليه، ويأنسوا به، ويفهموا عنه، ثم قال: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[3] أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا، فلا يدرون أملك هو أم آدمي.

الشبهة الثالثة: قالوا: نرى ما تدعيه الأنبياء من علم الغيب والمعجزات، وما يلقى إليهم من الوحي يظهر جنسه على الكهنة والسحرة، فلم يبق لنا دليل نفرق به بين الصحيح والفاسد.

---

(1) سورة يونس، آية رقم: 1.

(2) سورة الأنعام، آية رقم: 6.

(3) سورة الأنعام، آية رقم: 6.

والجواب أن نقول: أن الله تبارك وتعالى بين الحجج، ثم بث الشبهة، وكلف العقول الفرق فلا يقدر ساحر أن يحيي ميتاً، ولا أن يخرج من عصا حياً، وأما الكاهن فقد يصيب ويخطىء، بخلاف النبوة التي لا خطأ فيها بوجه.

الشبهة الرابعة: قالوا لا يخلوا: إما أن تجيء الأنبياء بما يوافق العقل أو بما يخالفه، فإن جاءوا بما يخالفه لم يقبل، وإن جاءوا بما يوافقه فالعقل يغني عنه.

والجواب أن نقول: قد ثبت أن كثيراً من الناس يعجزون عن سياسات الدنيا حتى يحتاجون إلى متمم، كالحكماء والسلاطين، فكيف بأمور الإلهية والأخروية.

الشبهة الخامسة: قالوا قد جاءت الشرائع بأشياء ينفر منها العقل، فكيف يجوز أن تكون صحيحة؟ من ذلك: إيلام الحيوان.

والجواب أن العقل ينكر إيلام الحيوان بعضه لبعض، فأما إذا حكم الخالق بالإيلام لم يبق للعقل اعتراض، وبيان ذلك أن العقل قد عرف حكمة الخالق سبحانه وتعالى، وأنه لا خلل فيها ولا نقص؛ فأوجبت عليه هذه المعرفة التسليم لما خفي عنه، ومتى اشتبه علينا أمر في فرع لم يجز أن نحكم على الأصل بالبطلان.

ثم قد ظهرت حكمة ذلك؛ فانا نعلم أن الحيوان يفضل على الجماد، ثم الناطق أفضل مما ليس بناطق بما أوتي من الفهم، والفطنة، والقوى النظرية والعملية، وحاجة هذا الناطق إلى إبقاء فهمه، ولا يقوم في إبقاء القوى مقام اللحم شيء، ولا يستطرف تناول القوي الضعيف، وما فيه فائدة عظيمة لما قلت فائدته، وإنما خلق الحيوان البهيم للحيوان الكريم، فلو لم يذبح لكثر وضاق به المرعى ومات، فيتأذى الحيوان الكريم بجيفته، فلم يكن لإيجاده فائدة. وأما ألم الذبح فانَّه يستر، وقد قيل أنه لا يوجد أصلاً؛ لأن الحساس للألم أغشية الدماغ، لأن فيه الأعضاء الحساسة، ولذلك إذا أصابها آفة من صرع أو سكتة لم يحس الإنسان بألم، فإذا قطعت الأوداج سريعاً لم يصل ألم الجسم إلى محل الحس؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "إذا ذبح أحدكم فليحد شفرته،

وليرح ذبيحته"[1].

الشبهة السادسة: قالوا ربما يكون أهل الشرائع قد ظفروا بخواص من حجارة وخشب..

والجواب: أن هذا كلام ينبغي أن يستحي من إيراده؛ فإنه لم يبق شيء من العقاقير والأحجار إلاَّ وقد وضحت خواصها وبأن سترها، فلو ظفر واحد منهم بشيء وأظهر خاصيته لوقع الإنكار من العلماء بتلك الخواص، وقالوا: ليس هذا منك، إنما هذه خاصية في هذا.

ثم إن المعجزات ليست نوعاً واحداً، بل هي بين: صخرة خرجت منها ناقة، وعصا انقلبت حية، وحجر تفجر عيوناً. وهذا القرآن الذي له منذ نزل دون الستمائة سنة فالأسماع تدركه، والأفكار تتدبره، والتحدي به على الدوام، ولم يقدر أحد على مداناة منه، فأين هذا والخاصة والسحر والشعبذة؟.

قال أبو الوفاء علي بن عقيل[2] رضي الله عنه: "صبئت قلوب أهل الإلحاد لانتشار كلمة الحق وثبوت الشرائع بين الخلق والامتثال لأوامرها كابن الراوندي، ومن شاكله كأبي العلاء، ثم مع ذلك لا يرون لمقالتهم نباهة ولا أثراً، بل الجوامع تتدفق زحاماً، والآذانات تملأ أسماعهم بالتعظيم لشأن النبي ﷺ، والإقرار بما جاء به، وإنفاق الأموال والأنفس في الحج، مع ركوب الأخطار ومعاناة الأسفار ومفارقة الأهل والأولاد؛ فجعل بعضهم يندس في أهل النقل فيضع المفاسد على الأسانيد، ويضع السير والأخبار، وبعضهم

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة، ج3/ ص1548، رقم 1955.

(2) هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله أبو الوفاء البغدادي الظفري (431هـ – 513هـ)، فقيه حنبلي، أصولي، مقرىء، واعظ، أخذ علم العقليات عن شيخي الاعتزال: أبي علي بن الوليد وأبي القاسم بن التبان، صاحبي أبي الحسين البصري فانحرف عن السنة، له من المؤلفات "الفنون"، في نحو 400 مجلداً. سير أعلام النبلاء، الذهبي، مرجع سابق، ج19/ ص443 – 447، ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، مرجع سابق، ج1/ ص142.

يروي ما يقارب المعجزات من ذكر خواص في أحجار وخوارق العادات في بعض البلاد، وأخبار عن الغيوب عن كثير من الكهنة والمنجمين، ويبالغ في تقرير ذلك حتى قالوا: أن سطيحاً قال: -في الخبيء الذي خبىء له-: حبة بر في إحليل مهر، والأسود كان يعظ ويقول الشيء قبل كونه، وههنا اليوم معزِّمون يكلمون الجني الذي في باطن المجنون، فيكلمهم بما كان ويكون، وما شاكل ذلك من الخرافات، فمن رأى مثل هذا قال -بقلة عقلة وقلة تلمحه لقصد هؤلاء الملحدة-: وهل ما جاءت به النبوات إلاَّ مقارب هذا؟. وليس قول الكاهن: "حبة بر في إحليل مهر" -وقد أخفيت كل الإخفاء- بأكثر من قوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[1].

وهل بقي لهذا وقع في القلوب، وهذا التقويم ينطق بالمنع من الركوب اليوم وهل ترك تلمح هذا إلاَّ النبي؟ والله ما قصدوا بذلك إلاَّ قصداً ظاهراً، ولمحواً إلاَّ لمحاً جلياً فقالوا: تعالوا نكثر الجولان في البلاد والأشخاص والنجوم والخواص، فلا يخلو مع الكثرة من مصادفة الاتفاق لواحدة من هذه فيصدق بها الكل ويبطل أن يكون ما جاء به الأنبياء خرقاً للعادات. ثم دس قوم من الصوفية أن فلاناً أهوى بإنائه إلى دجلة فامتلأ ذهباً فصار هذا كالعادة بطريق الكرامات من المتصوفين، وبطريق العادات في حق المنجمين، وبطريق الخواص في حق الطبايعين، وبطريق الكهانة في حق المعزمين والعرافين، فأي حكم بقي لقول عيسى عليه السلام: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾[2]، وأي خرق بقي للعادات، وهذا العادات إلاَّ استمرار الوجود وكثرة الحصول، فإذا نبههم العاقل المتدين على ما قال، وفيهم من زعم أن الجنة ثنتان وثلاثون مرتبة، وأن مكث أهل الجنة في أدنى مرتبة منها أربع مائة ألف سنة وثلاثة وثلاثون ألف سنة وستمائة وعشرون سنة، وكل مرتبة أضعاف ما دونها، وأن النار اثنتان وثلاثون مرتبة، منها ست عشر مرتبة فيها الزمهرير وصنوف عذابه، وست

---

(1) سورة آل عمران، آية رقم: 49.

(2) سورة آل عمران، آية رقم: 49.

عشرة مرتبة فيها الحريق وصنوف عذابه.

في هذا من الفساد قال الصوفي: أتنكر كرامات الأولياء؟ وقال أهل الخواص: أتنكر المغناطيس الذي يجذب الحديد، والنعامة تبلع النار فتسكت عن جحد ما لم يكن لأجل ما كان، فويل للمحق معهم هذا والباطنية من جانب والمنجمون من جانب مع أرباب المناصب لا يحلون ولا يعقدون إلاَّ بقولهم، فسبحان من يحفظ هذه الملة ويعلي كلمتها، حتى أن كل الطوائف تحت قهرها إقبالاً من الله عز وجل على حراسة النبوات، وقمعاً لأهل المحال»[1].

---

(1) تلبيس إبليس: ص61 – 64.

المبحث السادس

جاحدو البعث والقائلون بالتناسخ

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: حقيقة البعث والمعاد

المطلب الثاني: القول بالتناسخ

المطلب الثالث: أدلّة البَعث والمعاد والرد على منكريه

المطلب الرابع: البعث والمعاد عند الإمامين

المبحث السادس

جاحدو البعث والقائلون بالتناسخ

المطلب الأول:

حقيقة البعث والمعاد

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان كما قال تعالى: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾[1].

وقال عز من قائل: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾[2].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"[3].

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ"[4].

وكثيراً ما يقرن الله بينه وبين الإيمان به مفرداً لأهميته، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ**

---

(1) سورة البقرة، آية: 177

(2) سورة النساء، آية: 136

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، ج1/ ص36، رقم: 8.

(4) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، ج1، ص19، رقم: 50.

﴿ تَأۡوِيلًا ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾[2].

وذلك لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكون، والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى إليه هذا الوجود. وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير، يمكن للإنسان أن يحدد هدفه، ويرسم غايته، ومتى فقد الإنسان هذه المعرفة فإن حياته سوف تبقى لا هدف لها، ولا غاية منها، ويحصل الظلم بين بني الإنسان.

المسألة الأولى: تعريف البعث والمعاد لغة واصطلاحاً

البعث لغة:

قال ابن فارس: ("بعث" الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة. ويقال: بعثت الناقة: إذا أثرتها. وقال ابن أحمر:

فبعثتها تقص المقاصر بعدما كربت حياة النار للمتنور »[3].

وقال الرازي: «بعثه وابتعثه بمعنى، أي: أرسله فانبعث، وبعثه من منامه: أهبه وأيقظه، وبعث الموتى: نشرهم، وباب الثلاثة قطع»[4].

والمعاد لغة:

قال الرازي: «"عود" عادَ إليه: رجع. وفى المثل: "العود أحمد"، والمَعادُ بالفتح:

---

(1) سورة النساء، آية: ٥٩.

(2) سورة التوبة، آية: ١٨.

(3) مقاييس اللغة، ابن فارس، مرجع سابق، ج1/ ص266.

(4) مختار الصحاح، الرازي، مرجع سابق، ص: 36.

المرجعُ والمصيرُ. والآخرةُ مَعادُ الخَلْقِ»[1].

والبعث والمعاد اصطلاحاً:

قال ابن كثير: «البعث: هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة»[2].

وقال التفتازاني[3]: «المعاد: المراد ههنا الرجوع إلى الوجود بعد الفناء، أو رجوع أجزاء البدن إلى الاجتماع بعد التفرق وإلى الحياة بعد الموت والأرواح إلى الأبدان بعد المفارقة»[4].

والملاحظ أنَّ المقصود من الكلمتين أمر واحد، وهو: إعادة الإنسان يوم القيامة روحاً وجسداً بعد موته للحساب والجزاء، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[5].

المسألة الثانية: منكرو البعث والمعاد ومقالاتهم

كذَّب كثير من الناس قديماً وحديثاً بالبعث، وبعض الذين قالوا بإثباته صَوَّروه على غير الصورة التي أخبرت بها الرسل.

وللعلماء مذاهب في ذكر أقسام منكري البعث والمعاد وخلاصة ما يجتمع من قولهم أنهم أربعة أقسام:

---

(1) مختار الصحاح، ص221.

(2) تفسير ابن كثير، ج5/ ص395.

(3) هو سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، نسبةً إلى "تفتازان"، بلدة بخراسان (712 – 793هـ) متكلم شافعي المذهب، قال عنه ابن حجر: "العلامة الكبير صاحب شرحي التلخيص وشرح العقائد في أصول الدين وشرح الشمسية في المنطق ... انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول". الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج4/ ص350، و"بغية الوعاة" السيوطي، ج2/ ص285.

(4) شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، ج2/ ص207، ط: دار المعارف النعمانية – باكستان، طبعة: 1، 1401هـ – 1981م

(5) سورة الأنبياء، آية: 104.

– من ينكر المعاد رأساً، سواء كان للأرواح، أو الأجساد، وهم الدهريون، والملاحدة حديثاً.

– من ينكر البداء ويقول بتناسخ الأرواح، وهؤلاء قولهم في الحقيقة يؤول إلى القول السابق.

– من ينكر معاد الأجساد ويثبت معاد الأرواح، وهم طائفة من الصابئة والفلاسفة..

– من يقول بأن المعاد بداءة أخرى لقوم آخرين بعد فناء العالم.

قال ابن تيمية: «وأما طوائف من الكفار وغيرهم من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم فيقرُّون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط.

وطوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح، ولا الأجساد...

وأما المنافقون من هذه الأمة الذين لا يقرّون بألفاظ القرآن والسنة المشهورة فإنهم يحرّفون الكلام عن مواضعه، هذه أمثالٌ ضربت لنفهم المعاد الروحاني، وهؤلاء مثل القرامطة الباطنية الذين قولهم مؤلف من قول المجوس والصابئة، ومثل المتفلسفة الصابئة المنتسبين إلى الإسلام، وطائفة ممن ضاهوهم: من كاتب، أو متطبب، أو متكلم، أو متصوف كأصحاب رسائل "إخوان الصفا" وغيرهم، أو منافق»[1].

وقال حافظ الحكمي[2]: «منكرو البعث على أربعة أصناف:

---

(1) مجموع فتاوي شيخ الإسلام، ج4/ ص313.

(2) هو حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد علماء المملكة العربية السعودية، ولد عام: (1342 – 1377هـ)، له من المؤلفات: "سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول"، و"معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول"، " أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة" – "اللؤلؤ المكنون في أحوال الأسانيد والمتون". مقدمة كتاب: معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد: ج1/ ص11–23، و"الأعلام، الزركلي، ج2 ص 159.

– صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

– والصنف الثاني من الدهرية طائفة يقال لهم الدورية، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلي ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول قبحهم الله تعالى وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل: ﴿ **وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾[1]، ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران:

الأول معنى قولهم: ﴿ **نَمُوتُ وَنَحْيَا** ﴾، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبداً، وهو قول الطائفة الأولى.

والمعنى الثاني أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازي، وهذا قول الدورية.

– الصنف الثالث الدهرية من مشركي العرب ومن وافقهم، وهم مقرون بالبداءة وأن الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ** ﴾[2]، ومع هذا قالوا ﴿ **إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ** ﴾[3] فأقروا بالبداءة والمبدئ، وأنكروا البعث والمعاد وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح: "وأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته"[4].

---

(1) سورة الجاثية، الآية: 24

(2) سورة الزخرف، آية: 87.

(3) سورة الدخان، آية: 35.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه، الروم: 27، ج4/ ص 106، رقم 3193، .

– والصنف الرابع ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على ما في القرآن ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدما محضاً وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذ تكون الأرض التي تحدث أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون الأجساد التي تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل هي غيرها تبتدأ ابتداء محضاً، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى»[1].

ولعل الطوائف المذكورة مر ذكرها في الفصول السابقة، وبقي الوقوف فقط مع أهل التناسخ الذين لم يرد ذكرهم في النقلين السابقين، وفي المطلب الآتي بيان مذهبهم:

المطلب الثاني:

القول بالتناسخ

المسألة الأولى: تعريف التناسخ لغةً واصطلاحاً

التناسخ لغة:

قال ابن فارس: «نسخ: النون والسين والخاء أصلٌ واحد، إلاّ أنّه مختلفٌ في قياسِه:

قال قوم: قياسُه رفْعُ شيءٍ وإثباتُ غيرِهِ مكانَه.

وقال آخرون: قياسُه تحويلُ شيءٍ إلى شيءٍ. قالوا: النَّسْخ: نَسْخ الكِتاب.

والنَّسْخ: أمرٌ كان يُعمَل به من قبلُ ثم يُنسَخ بحادثٍ غيرِهِ، كالآية ينزل فيها أمرٌ ثم تُنسَخ بآيةٍ أخرى.

---

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر : دار ابن القيم – الدمام، ط: 1، 1410هـ – 1990م، ج2/ ص776 – 777.

وكلُّ شيءٍ خلَفَ شيئاً فقد انتَسخَه. وانتسخت الشَّمسُ الظِّلّ، والشّيبُ الشبابَ.

وتناسُخُ الورَثةِ: أن يموتَ ورثةٌ بعد ورثةٍ وأصلُ الإرث قائم لم يُقَسَّم. ومنه تناسُخُ الأزمنة والقُرون، ومنه نَسْخُ الكتاب»[1].

والتناسخ اصطلاحاً:

هو ادعاء انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر؛ إنساناً أو حيواناً.

قال النوبختي: «هم أهل القول بالدور في هذه الدار وإبطال القيامة والبعث والحساب، وزعموا أن لا دار إلاَّ الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر غيره إن خيراً فخير وإن شراً فشراً.

وأنهم مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها، والأبدان هي الجنان وهي النار، وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الإنسية المنعمة في حياتهم ومعذبون في الأجسام الرديئة المشوهة من كلاب وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان، محولون من بدن إلى بدن معذبون فيها، هكذا أبد الأبد فهي جنتهم ونارهم لا قيامة ولا بعث، ولا جنة ولا نار غير هذا، على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم» إلخ[2].

وقال الإيجي[3]: «ويسمى هذا الانتقال نسخاً..

وقيل: ربما تنازلت إلى الأبدان الحيوانية، فتنتقل من البدن الإنساني إلى بدن حيواني يناسبه في الأوصاف، كبدن الأسد للشجاع والأرنب للجبان، ويسمى مسخاً..

---

(1) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس ج5/ ص424، وانظر: "المصباح المنير"، الفيومي، ج2/ ص602 ، 603.

(2) فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، نشر دار الأضواء، بيروت – لبنان، 1404هـ – 1984م، ص 57 ، 58، وانظر الروح، ابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (بدون) ص: 114.

(3) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل، عضد الدين الإيجي، (– 756هـ). كان إماماً في المعقول، قائماً بالأصول والمعاني والعربية، مشاركاً في الفنون، له من المؤلفات: "المواقف في علم الكلام"، و"العقائد العضدية". الدرر الكامنة، ابن حجر، ج2/ ص322، والأعلام، ج3/ ص295.

وقيل: ربما تنازلت إلى الأجسام النباتية، ويسمى رسخاً..

وقيل: إلى الجمادية، كالمعادن والبسائط أيضاً، ويسمى فسخاً..

قالوا: وهذه التنازلات المذكورة هي مراتب العقوبات، وإليها الإشارة بما ورد من الدركات الضيقة في جهنم»[1].

المسألة الثانية: القائلون بالتناسخ

وقد قال بهذه العقيدة جملة من الطوائف ذكرها علماء الديانات، مع اختلاف في أول القائلين بها[2]:

قال عبد القاهر بن طاهر البغدادي: «القائلون بالتناسخ أصناف:

صنف من الفلاسفة وصنف من السمنية[3]، وهذان الصنفان كانا قبل دولة الإسلام..

وصنفان آخران ظهرا في دولة الاسلام: أحدهما من جملة القدرية، والآخر من جملة الرافضة الغالية»[4].

فبالنسبة لما قبل الإسلام:

---

(1) المواقف، الأيجي، ج3/ ص483.

(2) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل 1/ 165، والملل والنحل 2/ ص252 – 255، والفرق بين الفِرق ص 253 – 259.

(3) السمنية: طائفة من أصحاب التناسخ الدهرية، القائلين بقدم العالم، ينكرون المعاد والبعث، وقال ابن تيمية: «يحكي أهل المقالات عنهم أنهم أنكروا من العلم ما سوى الحسيات، ولهذا سألوا جهماً: هل عرفه بشيء من الحواس الخمس؟ فقال: لا. قالوا: فما يدريك أنه إله؟ فإنهم لا يعرفون إلاَّ المحسوس، وليس مرادهم أن الرجل لا يعلم إلاَّ ما أحسه، بل لا يثبتون إلاَّ ما هو محسوس للناس في الدنيا». مقالات الإسلاميين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، نشر: المكتبة العصرية، ط: 1، 1426هـ – 2005م، أبو الحسن الأشعري، ص270، وتعارض العقل والنقل ج2/ ص410 ، 411.

(4) الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص: 253.

قال الشهرستاني: «وما من ملة من الملل إلاَّ وللتناسخ فيها قدم راسخ، وإنما تختلف طرقهم في تقرير ذلك»[1].

وممن حُكى عنهم القول به[2]:

الصابئة الحرانية.

وذكر ابن الجوزي أنه قول نشأ في زمان الفرعون، وسيأتي قوله في المطلب الثاني.

وتقدم أنه قول علم الديانة البرهمية.

وقال به فيثاغورث من اليونان، وتسربت للعالم الإسلامي.

وبالنسبة لمن قال به من الطوائف المنتسبة للإسلام:

السبأية[3] حيث ادعوا أن علياً صار إلهاً حين حلَّ روح الإله فيه.

ومن القائلين به أيضاً من الفرق: جملة من القدرية، وجملة من الرافضة الغالية كالبيانية[4]، والجناحية[1]، والخطابية[2]، والراوندية[3]، وكل الفرق الباطنية.

---

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، ج3/ ص100.

(2) تناسخ الأرواح، مصطفى الكيك، ص17 – 24، ط: منشأة المعارف الإسكندرية، (بدون)، وانظر المراجع المذكورة في بداية هده المسألة.

(3) السبأية أتباع عبد الله بن سبأ اليمني المتوفى في حدود 40هـ، زنديق من غلاة الرافضة، نفاه علي ﷺ بعد ما هم به، ويعتقد أتباعه إلهية علي، مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج1 ص32، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص56.

(4) البيانية: هم أتباع بيان بن سمعان التَّميميُّ، وقد ظهر بالعراق أوائل القرن الثّاني الهجري، ومات مصلوباً على يد الأمير: خالد بن عبد الله القسري. ويزعم أتباعه أن الإمامة صارت من محمّد ابن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمّد، ثم صارت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصيته، وقد اختلف أصحابه في نبوته وألوهيته، وقد زعم أن الإله الأزليّ رجل من نور على صورة إنسان، وأنه يفنى كله غير وجهه. مقالات الإسلاميين، الأشعري ص5 ، 6، وفرق الشيعة، مرجع سابق، النوبختي ص30، والملل والنحل، الشهرستاني، 1/ 152 ، 153.

المسألة الثالثة: شبهة التناسخية والرد عليهم

عقيدة التناسخ هذه قد قامت عند أهلها القائلين بها على أربع دعائم[4]:

1- أنَّ الدنيا دار الجزاء؛ ثواباً كان، أو عقاباً.

2- أنَّ رجوع الروح إلى الدنيا يتكرّر مراراً؛ بولادة في جسدٍ جديدٍ، أو بغير ولادة.

3- أنَّ هذا التكرار لا نهاية له . عند أصحاب هذا المعتقد الفاسد .، إلا بالترقِّي التدريجي في درجات التناسخ، فتُصفَّى الروح الطيِّية شيئاً فشيئاً، حتى تصل إلى درجة معيَّنة، هي بالنسبة لها نهاية الكمال.

4- أنَّ الأرواح يتميَّز طيّبها من خبيثها في درجات التناسخ[5].

وفي ردود أعل العلم عليهم:

قال ابن حزم: «ويكفي بطلان هذا الأصل الفاسد أن يقال لهم: أن الحكيم العدل

---

(1) الجناحية، ويقال لهم "الطيارة"، هم أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين، فرقة من غلاة الرافضة، يزعم أتباعه أنه كان يدعي أن العلم ينبت في قلبه كما تنبت الكمأة والعشب، وأن الأرواح تناسخت، وأن روح الله كانت في آدم، ثم تناسخت حتى صارت فيه، ويكفرون بالقيامة، ويستحلون كل شيء. مقالات الإسلاميين، الأشعري، ص26، والفرق بين الفرق، ص235 – 237، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص59.

(2) الخطابية: هم أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص الأسدي الكوفي الأجدع المقتول سنة 143هـ، يقولون بحلول روح الإله في جعفر الصادق وبعده في أبي خطاب الأسدي، ويدعون أن الحسن والحسين وأولادهما أبناء الله وأحباؤه". مقالات الإسلاميين، الأشعري، ص28، والفرق بين الفرق، ص242.

(3) الراوندية أو الريوندية أتباع ابن الريوندي، أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسن المتوفي سنة 298هـ، فيلسوف مجاهر بالالحاد، وفرقتع إحدى فرق الكيسانية، يزعمون أن الامامة كانت أولاً حقاً للعباس. مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج1 ص37، وإعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص: 63.

(4) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ج1/ ص165 – 169. والملل والنحل للشهرستاني ص343 – 344 ، 599، وأثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، د/ عبد القادر بن محمد عطا صوفي، مرجع سابق، ص: 72.

(5) الشعوبيَّة حركة مضادَّة للإسلام والأمَّة العربيَّة، عبد الله سلُّوم السامرائي ص62.

الرحيم على أصلكم لا يخلق من يعرضه للمعصية حتى يحتاج إلى إفساده بالعذاب بعد إصلاحه، وقد كان قادراً على أن يظهر كل نفس خلقها ولا يعرضها للفتن ويلطف بها ألطافًا فيصلحها بها حتى تستحق كلها إحسانه والخلود في النعيم، وما كان ذلك ينقص شيئًا من ملكه . وحكم الشريعة أن كل قول لم يأت عن نبي تلك الشريعة فهو كذب وفرية، فإذا لم يأت عن أحد من الأنبياء عليهم السلام القول بالتناسخ فقد صار قولهم به خرافة وكذبًا وباطلاً»[1].

وقال الآمدي: «وأما التناسخية فقد سلكت الفلاسفة فِي الرَّد عليهم مسلكاً، وهو أنهم قالوا كل بدن فإِنَّه مستحقّ لذاته نفساً تدبره وتنظر في أَحواله، وتوجد عند وجوده بشوق جبلي وميل طبيعي على نحو ميل الحديد إِلى المغناطيس، فلو صحَّ التناسخ وانتقال نفس من بدن إِلى بدن؛ لأدى إِلى اجتماع نفسين في بدن واحد، وهى: النَّفس التي يستحقها لذاته، والنَّفس التي انتقلت إِليه من غيره، وذلك محال؛ فإِن الواحد منا لا يشْعر بأَن له أَكثر من واحدة، وهى المدبرة له؛ فلو كان لنا نفسان لقد كنَّا نشعر بهما، وبتدبير كل واحدة منهما؛ فإِنَّه لا معنى لوجود النَّفس فِي البدن إِلَّا أَنها مدبرة له، ومشغولة بالنظر في أَحواله، لا بمعنى أَنَّها فيه منطبعة على نحو انطباع الأَعراض في الأَجسام.

وهو غير سديد؛ فإِنَّ البدن –وإِن اسْتحق لذاته نفساً– فاجتماع نفسين فيه إِنَّما يلزم أَن لو كان ما يستحقه يجب أَن يكون بدء وجوده مع وجوده غير منتقل إِليه من بدن آخر، وذلك مما لا يسلمه الخصم، بل له أَن يقول: البدن وإِن اسْتحق لذاته نفساً تدبره فلا مانع من أن تكون هي ما انتقلت إليه من البدن الآخر، وذلك لا يفضى إِلى اجتماع نفسين أصلاً، ولا خلاص منه؛ فإذاً الطريق العقلي اللائق بالمنهج الفسلفي أن يقال: لو قيل بانتقال النفس من بدن إلى بدن فلا بد وأن تكون موجودة فيما انتقلت عنه أولاً، وإلاَّ فوجودها لا محالة مع وجود ما قيل إنها منتقلة إليه، وإذا كانت موجودة في

---

(1) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مرجع سابق، ج1/ ص 79

البدن الأول: فإما أن يكون اختصاصها به لمخصص أو لا لمخصص، فإن كان لا لمخصص فليس هو بنا أولى من غيره، وإن كان لمخصص فلا بد وان يكون تخصصها بما انتقلت إليه أيضاً بمخصص كما كان اختصاصها بالأول لمخصص، وعند هذا فالمخصص لها بكل واحد من البدنين: إما أن يكون واحداً أو مختلفاً، فإن كان واحداً فلا يخفى أن فرض وجود البدنين معاً جائز وإن استحال وجودهما معاً بالفعل من حيث إن أحدهما متقدم والآخر متأخر، وعند فرض اجتماعهما: إما أن توجد تلك النفس لهما أو لأحدهما، لا جائز أن تكون لهما لما سبق ولا جائز أن تكون لأحدهما لعدم الأولوية»[1].

وفي رد شرعي يمكن أن يقال أيضاً: الأصل في ذلك ما جاء عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ الجُهَنِيّ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾[2]، قَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَفِيمَ العَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ العَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ»[3]..

---

(1) غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة (ص: 297).

(2) سورة الأعراف، آية: 172.

(3) أخرجه أحمد، في المسند، مسند عمر بن الخطاب ﷺ، ج/1، ص399 وأبو داود، ج4، ص226، رقم: 4703، والترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الأعراف، ج5/ ص116، رقم: 3075.

«وقد أجمع أهل السنة والجماعة على ذلك، وذكروا أن القول بانتقال الروح من جسم إلى آخر هو قول أهل التناسخ، وهم من أكفر الناس، وقولهم هذا من أبطل الباطل»[1].

المطلب الثالث

أدلّة البَعث والمعاد والرد على منكريه

المسألة الأولى: مجمل أدلة البعث والمعاد

ذكر ابن القيم أن البعث والحساب تقر به العقول السليمة، وتؤيده الشرائع الإلهية، وأن مبناه على ثلاثة أصول[2]:

1 – تقرير كمال علم الرب سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ **قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ** ﴾[3].

2 – تقرير كمال قدرته سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ** ﴾[4].

3 – تقرير كمال حكمته سبحانه، كما قال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ**

---

(1) فتاوى اللجنة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط:3، 1419. ج2/ ص434 – 435.

(2) انظر: الفوائد، ابن القيم، ص: 6 – 7.

(3) سورة ق، آية: 4

(4) سورة الشوري، آية: 29.

(5) سورة المؤمنون، آية: 115

﴿ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾[1].

وعلى هذا سيكون ذكر الأدلة المثبتة للبعث والنشور المستخلصة من الكتاب الكريم مُضَمنة أدلتها الحسية والعقلية معاً. وسنلاحظ فيها أن الله تعالى تدرج في خطابه لإقامة الحجة على أصناف البشر جميعاً؛ فمنهم من قرب له صورة البعث بما يعرف من أحوال نفسه وأحوال العالم كإنزال المطر وإحياء الأرض وإنبات النبات، ومنهم من خاطبه بضرورات العدل في وجوب إثابة المحسنين ومعاقبة المحسنين، ومن لم يقتنع لا بالدليل العقلي الحسي ولا بالدليل العقلي المنطقي، خاطبه بالقصة والحكاية التي تسرد وقائع ثبتت صحتها بالدليل المتواتر عن أناس قاموا من بعد موتهم وأخبروا بما طلب منهم.

المسألة الثانية: تفصيل أدلة البعث والمعاد والرد على منكرية

أولاً: إخبار القرآن بالبعث:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي

---

(1) سورة إبراهيم، آية: 42

(2) سورة المؤمنون، آية: 16.

(3) سورة المؤمنون، آية: 100.

(4) سورة التغابن، آية: 7.

﴿ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[2].

ثانياً: الاستدلال بعموم قدرته سبحانه

فالله عز وجل من صفته القدرة المطلقة، ومقتضى ذلك أن يقدر على إحياء الموتى، وقد ضرب الله للمشركين الأمثلة بأمور مشاهدة من الحياة هي نظير بعث الأجساد وحشرها:

فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[3].

---

(1) سورة الأنعام: 38.

(2) سورة الزمر: 68.

(3) سورة الواقعة، آية: 49- 74.

وقد تضمنت هذه الآيات أربعة أدلة حسية ومشاهدة من واقع الإنسان وحياته على جواز البعث وإمكانه[1]:

الدليل الأول: ماء الرجل "المني"، فإذا أراد الإنسان إخراجه تجمع من أجزاء البدن، وأخرجه ماءً دافقاً إلى قرار الرحم ليتكون إنساناً جديداً، فإذا كانت هذه الأجزاء متفرقة فجمعها الله تعالى، وكون منها إنساناً جديداً، فكيف يمتنع عليه جمعها مرة أخرى من التراب؟!.

وقد تكرر هذا الدليل في مواضع أخر من كتاب الله منها:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠ ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب المسمى: التفسير الكبير، الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3 – 1420هـ ج2، ص: 353 – 356.

(2) سورة الحج، آية 5 – 7.

(3) سورة القيامة، آية: 37 – 40.

﴿٧﴾ ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾[1].

الدليل الثاني: إنبات النبات: فالحَب إذا وقع في الأرض الندية، واستولى عليه الماء والتراب يبقى محفوظاً حتى إذا ازدادت الرطوبة انفلقت الحبة، ثم تكبر لتستوي شجرة تامة، فمن قدر على إخراج شجرة باسقة من بذرة صغيرة قادر على انبات ابن آدم من بقيته في الأرض.

وقد تكرر هذا الدليل في غير ما آية منها:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

وعن أبي رزين العقيلي قال: «أتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ قال: "أما مررت بأرض من أرضك مجدبة، ثم مررت بها مخصبة؟" قال: نعم، قال: "كذلك النشور"»[3].

الدليل الثالث: إنزال المطر: فالماء عند صعوده إلى السماء يتحول إلى بخار، وتعبث به الرياح فتفرقه، فيجمعه سبحانه ويعيده إلى حالته الأولى ماءً، وهكذا الحال بالنسبة لجمع الإنسان من باطن الأرض.

الدليل الرابع: استخراج النار من الشجر الأخضر، أي الاستدلال بخروج الشيء من ضده: فقدرته هنا سبحانه على ما هو أصعب من جهة العقل من بعث الأجساد وإحيائها، وهو استخراج النار من الشجر الأخضر رغم التنافر بين خاصتيهما ، ومن قدر على إيداع الحرارة في الأجسام الرطبة، فكيف يعجز عن تركيب الحيوانات وتأليفها

---

(1) سورة الطارق، آية: 5- 8.

(2) سورة الأعراف، آية: 57.

(3) أخرجه أحمد في المسند، حديث أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر المنتفق، ج26/ ص 113 رقم 16194.

بعد تفتتها واضمحلالها . فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة، من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتنقاد له مواد المخلوقات وعناصرها، ولا تستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم(1).

وقد تكرر ذكر هذا الدليل في غير ما آية منها:

قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝٨٠ ﴾(2) .

ثالثاً: الاستدلال بأن من قدر على ابتداء الخلق، فهو قادر على الإعادة. فالخلق الأول حصل من لا شيء، والإعادة حاصلة من بقايا مخلوق سابق، فهي أيسر في قانون العقل، وأما في قانون القدرة الإلهية فالكل سواء.

وقد ورد هذا الدليل في مواضع من كتاب الله:

فقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(4).

وقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ

---

(1) راجع شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص407.

(2) سورة يس: 78 – 80.

(3) سورة العنكبوت، آية: 19.

(4) سورة الروم، آية 27.

﴿ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ﴾[1].

يذكر شارح الطحاوية أنه لو رام أعلم البشر وأفصحهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة، أو بمثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز ووضع الأدلة، وصحة البرهان لما قدر، فإنه سبحانه افتتح هذه الحجة بسؤال أورده ملحد، اقتضى جواباً، فكان في قوله تعالى: ﴿وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥ﴾ ما وفَّى بالجواب وأقام الحجة، وأزال الشبهة، ولما أراد سبحانه من تأكيد الحجة وزيادة تقريرها قال: ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ﴾، فاحتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم علماً ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز[2].

ويذكر ابن كثير أن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ يفيد أنه يعلم العظام في سائر أقطار الأرض، وأرجائها أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزقت، ويفسر هذا بقوله تعالى: ﴿ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾[3].

فقد يقول قائل: ربما يؤكل الإنسان من قِبَل السباع، أو الحيتان في البحر، أو يحترق تماماً فلا يبقى من جسده شيء، فما الجواب عن ذلك؟ فيقال: إن الأمر هيّن على الله، يقول: كن فيكون، وقدرة الله فوق ما نتصوره، والله على كل شيءٍ قدير، روى البخاري في صحيحه من حديث حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلاً حضره الموتُ، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مِتُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً، وأوقدوا فيه ناراً حتى إذا أكلتْ لحمي، وخلصت إلى عظمي فامتُحِشت، فخذوها فاطحنوها، ثم انظروا يوماً راحاً فاذروه في اليمِّ، ففعلوا، فجمعه الله فقال له: لِمَ فعلتَ ذلك؟ قال: من

---

(1) سورة يس: 78 – 79.

(2) انظر: شرح الطحاوية، مرجع سابق، ص407.

(3) سورة ق، آية: 4.

خشيتك، فغفر الله له»[1].

ويقول الكندي: «فأي دليل في العقول النيرة الصافية أبين وأوجز من أنه إذا كانت العظام قد وجدت بالفعل بعد أن لم تكن، فإنه من الممكن -إذا بطلت وصارت رميماً- أن توجد من جديد، فإن جمع المتفرق أسهل من صنعه من العدم، وإن كان الأمر بالنسبة لله لا يوصف بكونه أشد وأضعف، وإن القوة التي أبدعت ممكن أن تنشئ ما أدثرت.

أما كون العظام موجودة بعد أن لم تكن، فذلك ظاهر للحس، فضلاً عن العقل وإن السائل عن هذه المسألة الكافر بقدرة الله جل وتعالى مقر أنه هو نفسه كان بعد أن لم يكن، فعظمه إذن وجد بعد أن لم يكن، فإعادته وإحياؤه أمر ممكن ولا سبيل إلى القول بخلاف ذلك»[2].

رابعاً: الاستدلال بأن من خَلَق الأعلى والأكبر فقدرته على خلق الأدنى والأصغر أولى. وقد ورد هذا الدليل في آيات منها:

قال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا** ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ** ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ**

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ج4/ ص169، رقم 3452.

(2) انظر رسائل الكندي الفلسفية تحقيق وتقديم د/ أبو ريدة، والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبدالحليم محمود، ص218، دار المعارف – مصر.

(3) سورة الإسراء، آية: 99.

(4) سورة يس، آية: 81.

عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[1].

خامساً: الاستدلال بإحياء الموتى في الدنيا على صحة الحشر والنشر، ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[2].

فقام الميت وأخبر عن قاتله[3].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾[5].

سادساً: الاستدلال على وقوع الحشر لمحاسبة العباد، وإثابة المحسنين ومعاقبة

---

(1) سورة الأحقاف، آية: 33.

(2) البقرة، آية: 73.

(3) انظر روايات القصة في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر – بيروت، (بدون)، ج1/ ص 194 – 197.

(4) سورة البقرة، آية: 260.

(5) سورة البقرة، آية: 26.

المسيئين، واستيفاء المظالم والحقوق التي لم تستوف في الدنيا، وقد يموت المظلوم، ولما يقتص من الظالم، والله حكم عدل، فكان البعث بعد الموت ضرورةً لمجازاة المحسن ومعاقبة المسيء:

قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾[2].

قال الإمام الرازي: «واعلم أن من سلّط الظالم على المظلوم، ثم إنه لا ينتقم منه فذاك إما للعجز أو للجهل، أو لكونه راضياً بذلك الظلم، وهذه الصفات الثلاث على الله تعالى محال؛ فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين، ولما لم يحصل هذا الانتقام في دار الدنيا، وجب أن يحصل في دار الأخرى بعد دار الدنيا»[3].

فهذه هي أصول الدلائل التي ذكرها الله تعالى في كتابه على صحة عقيدة البعث بعد الموت.

المطلب الرابع:

البعث والمعاد عند الإمامين

فرَّق ابن الجوزي في موضوع البعث بعد الموت بين ثلاثة اتجاهات لم تؤمن به عقيدةً، وهم:

1- المنكرون للبعث.

---

(1) سورة يونس، آية: 4.

(2) سورة طه، آية: 15.

(3) التفسير الكبير، الفخر الرازي، مرجع سابق، ج1/ ص204.

2- الشاكون في البعث.

3- القائلون بالتناسخ.

أما الإمام ابن القيم فلم يفرد مساحة لشيء من ذلك عرضاً ولا نقداً.

وعليه فسيكون هذا المبحث خاصاً بما ذكره ابن الجوزي في الموضوع المعنِي وحده، مرتباً حسب ما يرى الباحث أنه أقرب للمتلقي، مع التعليق على ما يحتاج تعليقاً:

وقد ذكر ابن الجوزي قول منكري البعث تحت عنوان: «ذكر تلبيس إبليس على جاحدي البعث»[1]، وبسط تحته الموضوعات التالية:

1- شبهتان لجاحدي البعث ثم ثالثة!.

2- جحد البعث مذهب أكثر الجاهلية.

3- الجواب عن شبه المنكرين للبعث.

5- أدلة عقلية على إمكانية البعث.

6- الرد على الفلاسفة.

أما قول المترددين ففيه عنوانان:

1- المترددون الشاكون.

2- الرد على المترددين في شأن البعث.

أما القول الثالث فقد عنون له ابن الجوزي بقوله: «ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ»[2]، فذكر تحته المواضيع التالية:

(1) تلبيس إبليس: ص 71.

(2) تلبيس إبليس: ص 71.

1- وقت ظهوره.

2- حجتهم.

3- التناسخ عند الهنود.

4- الرد على الهنود.

ويمكن تلخيص موضوعاته كالتالي:

1- تعريف.

2- مقالات منكري البعث والشاكين فيه:

3- شبهتهم والرد عليهم.

4- التناسخية ورد مقالاتهم.

المسألة الأولى: الجاحدون للبعث، والمترددون في القول به عند الإمامين

ذكر ابن الجوزي قول الطائفتين معاً تحت عنوان: "تلبيس إبليس على جاحدي البعث" المذكور آنفاً.

الفرع الأول: التعريف بمنكري البعث ومقالاتهم

قال ابن الجوزي: «لبَّس على خلق كثير فجحدوا البعث واستهولوا الإعادة بعد البلاء»[1].

إذن هم: الذين جحدوا البعث والإعادة، وهالهم ذلك لعظمه واستحالته في نظرهم!.

الفرع الثاني: مقالات منكري البعث عند الإمامين

من خلال سياق ابن الجوزي في موضوع منكري البعث يتبين أن جاحديه على طبقتين:

---

(1) تلبيس إبليس: ص 71.

الطبقة الأولى: منكروا البعث رأساً.

قال ابن الجوزي: «وهذا كان مذهب أكثر الجاهلية:

قال قائلهم:

يخبرنا الرسول بأن سنحيى وكيف حياة أصداء وهام

وقال آخر –هو أبو العلاء المعري–[1]:

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو»[2].

الطبقة الثانية: المترددون في البعث بين الشك واليقين:

قال عنهم ابن الجوزي: «وقد لبس إبليس على أقوام ... فترددوا في البعث فقال قائلهم: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾[3].

وقال العاص بن وائل: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾[4]»[5].

---

(1) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، أبو العلاء المعري (363 – 449هـ) الفيلسوف الشاعر، والمعري نسبة إلى معرة النعمان، وهي مدينة قديمة مشهورة بين حماة وحلب، أصيب بالعمى في أول عمره بسبب الجدري، له من المؤلفات: ديوان شعره في ثلاثة أقسام: "لزوم ما لا يلزم" و"سقط الزند" و"ضوء السقط"، وله أيضاً: شرح ديوان المتنبي، و"رسالة الغفران". العبر للذهبي ج3/ ص218، والبداية والنهاية، ابن كثير، ج8/ ص197، والأعلام، الزركلي ج1/ ص157.

(2) البيت منسوب أيضاً للشاعر المشهور بـ"ديك الجن" الحمصي، كما في ديوانه، جمع وتحقيق أنطوان القوال، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط2، 1415، ص79. والبيت غير موجود في ديوان المعري في نسخته المتداولة الآن.

(3) سورة الكهف، آية: 18.

(4) سورة مريم، آية: 77.

(5) تلبيس إبليس: ص 72.

الفرع الثالث: شبه منكري البعث عند الإمامين

1 – شبه منكري البعث والرد عليهم عند الإمامين

يمكن أن نخلص تحت هذا العنوان إلى أن ابن الجوزي ذكر عن المنكرين ثلاث شبه، اثنتين سوياً، وثالثة يمكن أن تلحق بهما، وقد ذكرها لاحقاً. كما أشار إلى أن المترددين «اعترضت لهم الشبهتان»، وأيضاً رد عليهم في كونهم مطمئنين لموقفهم إن كان هناك بعث!.

وإليك كلامه مجتمعاً:

قال ابن الجوزي: «وأقام لهم شبهتين:

إحداهما أنه أراهم ضعف المادة..

والثانية: اختلاط الأجزاء المتفرقة في أعماق الأرض»[1].

وشبهة ثالثة: قال ابن الجوزي: «قالوا: وقد يأكل الحيوانُ الحيوانَ فكيف يتهيأ إعادته؟»[2].

قال: وقد حكى القرآن شبهتهم:

فقال تعالى في الأولى: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

وقال في الثانية: ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[4].

---

(1) تلبيس إبليس: ص 71.

(2) المرجع السابق: الموضع نفسه.

(3) سورة المؤمنون، آية: 35 ، 36.

(4) سورة السجدة، آية: 10.

والملاحظ أن كلتا الآيتين هما في وصف الشبهة الثانية نصاً، وفي الأولى إشارة.

الفرع الرابع: الرد على منكري البعث عند الإمامين

رد ابن الجوزي على الشبهة الأولى –وهي استحالة رجوع المادة لضعفها– من ثلاثة أوجه عقلية، مدارها على عظيم قدرة قوة الله، فقال:

«أن ضعف المادة في الثاني –وهو التراب– يدفعه كون البداية من نطفة ومضغة وعلقة.

ثم أصل الآدميين –وهو آدم– من تراب.

على أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق شيئاً مستحسناً إلاَّ من مادة سخيفة، فإنه أخرج هذا الآدمي من نطفة، والطاووس من البيضة المدرة، والطرفة الخضراء من الحبة العفنة، فالنظر ينبغي أن يكون إلى قوة الفاعل وقدرته، لا إلى ضعف المواد».

وقول ابن الجوزي الأخير هذا هو بيت القصيد؛ ولذا قال: «وبالنظر إلى قدرته يحصل جواب الشبهة الثانية»[1] يعني ضلال الأجزاء واختلاطها في أعماق الأرض، كما تقدم في كثير من الأدلة.

ومن الأدلة العقلية على رد الشبهة الثانية:

قال ابن الجوزي: «ثم قد أرانا كالأنموذج في جمع التمزق:

1– فان سُحالة[2] الذهب المتفرقة في التراب الكثير إذا ألقى عليها قليل من زئبق أجتمع الذهب مع تبدده، فكيف بالقدرة الإلهية التي من تأثيرها خلق كل شيء لا من شيء، على أنا لو قدرنا أن نحيل هذا التراب ما استحالت إليه الأبدان لم يصر بنفسه؛ لأن الآدمي بنفسه لا ببدنه، فإنه ينحل ويسمن ويهزل ويتغير من صغر إلى كبر، وهو

---

(1) تلبيس إبليس: ص 72.

(2) السُّحالة بالضم، ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما كالبرادة. مختار الصحاح، الرازي، ص143.

هو.

2- ومن أعجب الأدلة على البعث أن الله عز وجل قد أظهر على يدي أنبيائه ما هو أعظم من البعث، وهو قلب العصا حية حيواناً، وأخرج ناقة من صخرة وأظهر حقيقة البعث على يدي عيسى صلوات الله وسلامه عليه، قال المصنف: وقد زدنا هذا شرحاً في الرد على الفلاسفة.

وختم ابن الجوزي بقول للمترددين جعلهم مطمئنين لما هم عليه من تردد!، فقال: «وإنما قالوا هذا لموضع شكهم وقد لبس إبليس عليهم في ذلك فقالوا:

إن كان بعث فنحن على خير لأن من أنعم علينا في الدنيا بالمال لا يمنعناه في الآخرة.

قال المصنف «وهذا غلط منهم؛ لأنه لم لا يجوز أن يكون الإعطاء استدراجاً أو عقوبة، والإنسان قد يحمي ولده ويطلق في الشهوات عبده»(1).

المسألة الثانية: القائلون بالتناسخ عند الإماميين

تناول ابن الجوزي القول بالتناسخ تحت عنوان: «ذكر تلبيسه على القائلين بالتناسخ» الذي مر في بداية المطلب الموضوعات التالية:

تعريف القول بالتناسخ..

وقت ظهور القول بالتناسخ.

حجتة القائلين بالتناسخ

التناسخ عند الهنود..

الرد على الهنود..

---

(1) تلبيس إبليس: ص 73.

ويمكن اختصار القول فيه تحت مسألتين:

- تعريف التناسخ ووقت ظهوره
- القائلون به والرد عليهم.

الفرع الأول: تعريف التناسخ ووقت ظهوره عند الإمامين

عرف ابن الجوزي بأهله، مضمناً التعريف به فقال: «وقد لبس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيرة فاستراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق»[1].

قال ابن الجوزي: «وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى»[2].

وقد تقدم قول آخر غير ذلك في المطلب السابق.

الفرع الثاني: القائلون بالتناسخ والرد عليهم عند الإمامين

نقل ابن الجوزي مذهب التناسخ عن طائفتين، هما الهندُ (الجنس) تصريحاً، والرافضة إشارة.

قال ابن الجوزي: «وذكر يحيى بن بشر بن عمير النهاوندي أن الهند يقولون: الطبائع أربع: هيولي مركبة، ونفس، وعقل، وهيولي مرسلة.

فالمركبة هي: الرب الأصغر، والنفس هي: الهيولي الأصغر، والعقل: الرب الأكبر، والهيولي هو أيضاً أكبر. وأن الأنفس إذا فارقت الدنيا صارت إلى الرب الأصغر، وهو الهيولي المركبة، فإن كانت محسنة صافية قبلها في طبعه فصفاها حتى يخرجها إلى الهيولي الأصغر، وهو النفس حتى تصير إلى الرب الأكبر فيتخلصه إلى الهيولي المركب الأكبر، فإن كان محسناً تام الإحسان أقام عنده في العالم البسيطً وإن

---

(1) تلبيس إبليس: ص 73.

(2) المرجع السابق، ص 73.

كان محسناً غير تام أعاده إلى الرب الأكبر، ثم يعيده الرب الأكبر إلى الهيولي الأصغر، ثم يعيده الهيولي الأصغر إلى الرب الأصغر؛ فيخرجه مازحاً لشعاع الشمس حتى ينتهي إلى بقلة خسيسة يأكلها الإنسان فيتحول إنساناً، ويولد ثانية في العالم، وهكذا تكون حاله في كل موتة يموتها.

وأما المسيئون، فإنهم إذا بلغت نفوسهم إلى الهيولي الأصغر انعكست فصارت حشائش تأكلها البهائم، فتصير الروح في بهيمة، ثم تنسخ من بهيمة في أخرى عند موت تلك البهيمة، فلا يزال منسوخاً متردداً في العلل، ويعود كل ألف سنة إلى صورة الأنس، فإن أحسن في صورة الأنس لحق بالمحسنين»[1].

وقال بخصوص الرافضة: «أنبأنا محمد بن أبي طاهر البزار قال أنبأنا علي بن المحسن عن أبيه قال حدثني أبو الحسن علي بن نظيف المتكلم قال كان يحضر معنا ببغداد شيخ الإمامية يعرف بأبي بكر بن الفلاس فحدثنا أنه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بمذهب التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور أسود وهو يمسحها ويحك بين عينيها ورأيتها وعينها تدمع كما جرت عادة السنانير»[2].

وقد نقل ابن الجوزي عن البلخي حجة واحدة للقائلين بالتناسخ.

قال ابن الجوزي: «ذكر أبو القاسم البلخي أن أرباب التناسخ لما رأوا ألم الأطفال والسباع والبهائم استحال عندهم أن يكون ألمها يمتحن به غيرها، أو ليتعوض أولا لمعنى أكثر من أنها مملوكة؛ فصح عندهم أن ذلك لذنوب سلفت منها قبل تلك الحال»[3].

ولعله من الواضح جداً أن هذه الأقوال ما هي إلاَّ ترهات يصدق فيها قول الله

(1) تلبيس إبليس: ص 73.

(2) المرجع السابق: الموضع نفسه.

(3) المرجع السابق: الموضع نفسه.

تعالى: ﴿ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾[1].

أو كما قال الشاعر[2]:

تخرُّصاً وأحاديثاً ملفَّقةً   لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ

ومثل هذه الأقاويل، يقال لصاحبها: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[3]، ولذا لم يرد عليها ابن الجوزي بأكثر من حكايتها، ثم قوله:

«قلت: فانظر إلى هذه التلبيسات التي رتبها لهم إبليس على ما عنَّ له، لا يستند إلى شيء »[4].

---

(1) سورة الزخرف، آية: 20

(2) هو أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، من قصيدته في مدح المعتصم بعد فتح مدينة عمورية، والبيت في "ديوان أبي تمام"، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1987م، ج1/ ص45".

(3) سورة البقرة: آية 111.

(4) تلبيس إبليس: ص 73.

الخاتمـة

في ختام هذه الدراسة يطيب للباحث القول بأن البحث قد عالج موضوعاً مهماً يمس حياة الناس كافة، وتنبع أهميته من طبيعة الموضوع الذي يختص بالعقيدة والأديان.

والبحث قام بمقارنة أراء عالمين من علماء المسلمين هما: الإمام ابن الجوزي، والإمام ابن قيم الجوزية بخصوص الأديان الوضعية من خلال كتابيهما: "تلبيس إبليس" لابن الجوزي و"إغاثة اللهفان" لابن قيم الجوزية.

واقتضت طبيعة الدراسة تقسيمها إلى أربعة فصول، حوت الآتي:

الفصل الأول، وقد عالج تعريف "الدين" وأقسامه، وحاجة الناس إليه.

وفي الفصل الثاني تناول البحث عصر الإمامين: ابن الجوزي وابن الجوزية وحياتهما.

وفي الثالث تناول مسألة التعريف والموازنة بين الكتابين المذكورين.

وفي آخر فصوله وأوسعها تناول الأديان الوضعية الوارد ذكرها في الكتابين، فتناول: الفلسفة أولاً بالتعريف بها وموضوعاتها وأقسامها وسماتها عامة، وعند الشيخين خاصة، كما تناول: ديانة الدهريين والطبائعيين، وأيضاً ديانة المجوس والثنوية والزرادشتية، وديانة الصابئة، البراهمة، وختم بالحديث عن جاحدي البعث والقائلين بالتناسخ.

وأخيراً ختم البحث بنتائج وتوصيات على النحو التالي:

1 – لا يخلو مجتمع من نوع من التدين، فهو فطرة يضطر إليه كل إنسان.

2 – الدين رغم كونه ينظم حياة الناس، ويسهل التعامل بين بني البشر إلاَّ أنه قد يكون مصدراً للمشاحنات ومجمعاً للخرافات التي تقعد بالإنسان ما دام وضعياً من بنات أفكار من قصر علمه وعقله.

3- أصحاب الديانات الوضعية خالفوا المعقول والمنقول، وآل حال الجميع إلى جملة من الأوضاع الشركية، والرسوم البدعية التي تنفر منها الفطرة السليمة والطباع المستقيمة.

4 – دين الله المرتضى واحدٌ من لدن آدم عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ، وهو الإسلام بمعناه العام، الذي هو الاستسلام لله بالطاعة، وإفراده بالعبادة، والخلوص من الشرك، وكل الأنبياء كانوا على هذا الدين، مع تعدد شرائعهم واختلاف مناهجهم.

5 – حظيت الأمة المحمدية بتراث هائل من الحديث حول علم مقارنة الأديان تحت عناوين شتى من: الملل، والنحل، والمقالات، والديانات، وغير ذلك، وقد سبقت غيرها من الأمم في هذا المجالأ فهو علم إسلامي بامتياز.

6 – عدد مقدر من علماء الأمة المسلمة تناول بعض الأديان أو الحقائق عنها في غير مظانها المتبادر إلى أذهان الباحثين، سيما في كتب التفسير والتاريخ، ولم يقتصر الحديث في الأديان على كتب العقائد والأديان.

7 – الاهتمام بمزيد من الدراسات الخاصة بمقارنة الأديان، خصوصاً وأن الساحة تعج بكثير من من الديانات والمعتقدات.

8 – كثير من الأديان التي تناولها الإمامان منذ مآت السنين، ما زالت موجودة في عصرنا الحالي، ومنها ما هو محتفظ باسمه القديم، كالصابئة والمجوس، ومنها ما تغير اسمه أو رادفه بمسميات جديدة، مثل: الفلسفة التي صار يطلق عليها مسمى"العقلانية والتنوير"، ومثل الدهرية التي صار دينها يسمى "الإلحاد".

9 – لعل بلاد الهند وما حولها بما فيها بلاد فارس هي أكثر بقاع الأرض احتضاناً للأديان الوضعية، وتوليدها، وأهلها هم أسرع الناس تصديقاً للخرافات وما يناقض العقل الصريح، رغم أنهم مشهورين بين الشعوب بالحكمة!.

10 – من آثار الاستعمار الثقافي الأخير من قبل الغرب لكافة ديار المعمورة هو

عولمة الكون من خلال الأقمار الصناعية، وأذرعها من فضائيات وشبكة عنكبوتية (الانترنت)، بإتاحة كافة الأديان الوضعية وبث معتقداتها، ودخولها لكل بيت، حتى وجد بين أهل الإسلام بدع وانحرافات تمثلت في ظهور كثير من الفرق والمقالات والمناهج كالفلسفة، والباطنية، والجهمية، والرافضة، يعود أصلها لأديان سابقة.

11 – يوجد قصور كبير من الأمة المحمدية في عرض ديانتهم وتسويقها بين الشعوب، سيما في نواح من المعمورة ما زالت الوثنية البدائية ضاربة بجذورها في بلادهم، وكأن بعضهم وحوش بلا عقول، والمسلمون يتطاحنون بينهم فيما هو خصم على سمعتهم ومكانتهم بين الأمم والشعوب، والله المستعان!.

كما يتقدم الباحث ببعض المقترحات والتوصيات مما تبين له أثناء هذه الدراسة، وهي:

1– القيام بمحاولة استقصاء لما كُتب حول الأديان في جامعاتنا الوطنية التي اعتنى البحث بدراستها كبيلوغرافية؛ لتكون سهلة التناول بيد الباحثين والمهتمين بدراسة الأديان، ولتكن هي نفسها محل رسائل علمية محَّكمة بمختلف الدرجات العلمية العليا، وبالتعاون مع بعض الجامعات الإسلامية في العالم.

2– تشجيع الطلاب والدارسين والباحثين على الكتابة في موضوع الأديان والعقائد الوضعية، والرسائل العلمية المشتركة حول الأديان، فبعضها يحتاج إلى مجهود ضخم من جمع معلومات نصية أو ميدانية، وسفر ومقابلات، ومقارنات، ربما يعجز عنه فرد بعينه، ويسهل على الاثنين والثلاثة.

3– تنبيه طلاب العلم إلى أن كثيراً من الحقائق والمعلومات عن الأديان ما زالت حبيسة المؤلفات في غير مظانها المتبادر، تنتظر من يتناولها بالدراسة.

4– تنويع وسائل التعليم لإيصال المعلومات عن هذه الأديان، والتعريف بعقائدها، وذلك كوضع رسائل مقتضبة في شكل بطاقات دعوية ومطويات، واستعمال الوسائل والوسائط التقنية الحديثة لتوصيل المعلومة كذلك في قاعات المحاضرات ونحوها.

5- توسيع ماعون الدعوة، وذلك مثلاً بإنشاء قنوات فضائية مشتركة خاصة بالعقائد والأديان والمناظرات، بالتعاون مع المعنيين بالأمر، وبالاستفادة كذلك من تكنولوجيا الشبكة العكبوتية (الانترنت)، وبتنظيم رحلات دعوية لنشر الدين في مناطق من مجاهيل العالم التي مازال أهلها يعيشون خارج التاريخ، وبزيادة المراكز العلمية والثقافية المختصة بالمجال مع تبادل الخبرات والزيارات.

6- صقل الأساتذة المتخصصين في الأديان بتنظيم بعثات للوقوف على حقيقة هذه الأديان عن قرب، وتعليمهم كذلك بعض اللغات الأخرى لتسهيل التواصل بينهم وبين الشعوب المنتسبة للأديان المختلفة، مع التزام الجهات المختصة بعمل دورات تثقيفية تنويرية لكل مبتعث خارج البلاد.

7- تضمين المناهج المدرسية ما يبصر الأجيال بحقيقة الأديان.

هذا واللهَ أسأل أن يصلح أمر آخر هذه الأمة كما صلح أولها، وأن يهب لنا من لدنه رحمة وعلماً ورشداً، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

□

المصادر والراجع

الرقم	اسم المصدر أو المرجع
.1	أبكار الأفكار، سيف الدين الآمدي، وقد نقله عنه السيد عبد الرازق الحسيني في كتابه: "الصابئة قديماً وحديثاً"، المطبعة الرحمانية – مصر، ط: 1، 1925م
.2	ابن قيم الجوزية – حياته وآثاره، بكر بن عبد الله أبو زيد، مطابع دار الهلال للاوفست – الرياض ، ط1 1400هـ – 1980م.
.3	الآثار الباقية عن القرون الخالية، محمّد ابن أحمد البيرونيّ الخوارزميّ، تحقيق إدوارد ساخو، ط: لايبسيغ، 1923م
.4	أثر الملل والنحل القديمة في بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام، الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، نشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، س36، ع125، 1424هـ، 2004م
.5	أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، نشر: رمادى – الدمام، ط: 1، 1418هـ – 1997م
.6	إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي الطوسي، نشر: دار المعرفة – بيروت. (بدون)
.7	إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ط: دار المعرفة – بيروت (بدون)
.8	أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ط: 4، 1976م، ص61 ، 69. اعتقادات فرق، الرازي
.9	الأديان والمذاهب – جامعة المدينة، (بدون).
.10	إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات"، محمد بن

علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار الكتب العلمية – لبنان، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط: 1، سنة 1404هـ – 1984م	
الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، صالح الفوزان	11.
الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية، سعيد حوّى نشر: دار السلام – القاهرة، ط: 2، 1412هـ – 1992م	12.
الإسلام أصوله ومبادئه، د. محمد بن عبد الله بن صالح السحيم، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1421هـ	13.
أعلام النبوة، أبو الحسن علي الماوردي، نشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 1، 1409هـ	14.
الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، نشر: دار العلم للملايين، ط. 15 – 2002م.	15.
إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس للكتاب، نشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، ط: 1، 1432هـ	16.
إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن قيم الجوزية، نشر مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، تحقيق محمد حامد الفقي.	17.
الأغاني، تحقيق: سمير جابر، نشر: دار الفكر – بيروت، ط: 2	18.
اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقق: ناصر عبد الكريم العقل، نشر: دار عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط.7، 1419هـ – 1999م	19.
الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، الدكتورة: آمال بنت عبد العزيز العمرو	20.
الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد	21.

	الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، مرجع سابق، ط: 1، 1382هـ – 1962م
.22	الإنسان في ظلّ المعتقدات والأديان القديمة، عمارة نجيب
.23	الإنسان والأديان، محمد كمال جعفر، ط: الدوحة، دار الثقافة، 1985م
.24	إيران في عهد الساسانيين، البروفيسور، آرتهر كرستنس، ترجمة يحيى الخشاب
.25	الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة
.26	البخاري الثانية منهما: تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، نشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: 1، 1422هـ.
.27	البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر ط: 1، 1418هـ – 1997م
.28	البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر، ط.1، 1418 هـ – 1997م.
.29	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني نشر: دار المعرفة – بيروت (بدون)
.30	البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان، عباس السكسكي، ط. 1، 1408هـ. نشر: مكتبة المنار – الأردن،
.31	بغية الوعاة عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان – صيدا.
.32	بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، مجموعة من المحققين، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: 1، 1426هـ
.33	تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، نشر: دار الهداية

34.	تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي، لبنان – بيروت، 2985م، ط: 1، تحقيق د .عمر عبد السلام تدمري.
35.	التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، ط: 3، 1987م، بيروت –لبنان
36.	تاريخ الخلفاء عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مطبعة السعادة، مصر، ط: 1، 2971 م، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد
37.	تاريخ الرسل والملوك، الطبري، نشر: دار التراث – بيروت، ط: الثانية – 1387هـ
38.	تاريخ الفكر الديني الجاهلي، الفيومي، نشر: دار الفكر العربي، ط: 4، 1415هـ–1994م
39.	تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: 1، 1422هـ – 2002م
40.	تبيين كذب المفتري، أبو القاسم بن عساكر، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: 3، 1404هـ
41.	تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، نشر: الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ
42.	تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، أبو الريحان البيروني، نشر: عالم الكتب، بيروت، ط: 2، 1403هـ
43.	التعريفات، الشريف الجرجاني تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط.1، 1403هـ – 1983م
44.	تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تحقق: سامي بن محمد

	سلامة، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. 2، 1420هـ – 1999م.
.45	تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دراسة وتحقيق د. أحمد بن عثمان المزيد، ط: دار الوطن، الرياض، 1422هـ
.46	تلبيس إبليس، عبد الرحمن بن الجوزي، نشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، ط: 1، عام 1421هـ – 2001م
.47	تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، ط: 1، 1407هـ – 1987م
.48	التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، الباقلاني، تحقيق محمود الخضيري، ومحمد أبو ريدة، ط:1، لجنة التأليف والترجمة – القاهرة، 1366هـ – 1947م
.49	التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد، ابن عبد البر النميري، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، نشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387هـ
.50	تناسخ الأرواح، مصطفى الكيك، ص17 – 24، ط: منشأة المعارف الإسكندرية، (بدون)
.51	التوحيد أصل الإسلام"، محمد بن عبد الله المسعري ط.1، 1425هـ 2004م
.52	توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار" الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط: 1، 1417هـ – 1997م
.53	جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري محمد بن جرير تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط. 1، 1422هـ – 2001م

الجامع لأحكام القرآن، القرطبي،. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط.2، 1384هـ – 1964م.	.54
الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، حقق: إبراهيم باجس عبد المجيد، نشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: 1، 1419هـ – 1999م	.55
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، السيوطي، تحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ط: 1، 1387هـ – 1967م	.56
حلية الأولياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، نشر: السعادة – مصر، 1394هـ – 1974م	.57
الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه وآدابه، أحمد بن سيف الدين تركستاني، مقال الكتروني في "موقع الإسلام" .http://www.al-islam.com	.58
خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، نشر: دار المعارف السعودية – الرياض	.59
الدارس في تاريخ المدارس"، عبد القادر بن محمد النعيمي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، نشر: دار الكتب العلمية، ط: 1، 1410هـ . 1990م	.60
دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة بيروت ط الثالثة 1971م	.61
درء تعارض العقل والنقل" ابن تيمية أيضاً، تحقيق: الدكتور: محمد رشاد سالم، نشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: 2، 1411هـ – 1991م	.62

63.	دراسات في الأديان: "اليهودية والنصرانية"، سعود بن عبد العزيز الخلف، نشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 4، 1425هـ - 2004م.
64.	الدرر الكامنة أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد - الهند، ط. 2، 1392هـ - 1972م
65.	دلائل التوحيد، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1405هـ.
66.	دلائل النبوة، السقار، نشر: دار الإسلام، المملكة العربية السعودية، ط.1، 1428
67.	الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د. محمد عبد الله دراز ص 38 - 39، ط: مؤسسة إقرأ، القاهرة - مصر (بدون).
68.	ديوان ابن جني، جمع وتحقيق أنطوان القوال، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط2، 1415هـ
69.	ديوان أبي تمام، شرح شاهين عطية، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، 1987م
70.	ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، نشر: دار الفكر، بيروت، ط: 2، 1408هـ - 1988م
71.	الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، ومقدمة الدكتور: بشار عواد لكتاب: "سير أعلام النبلاء، الذهبي
72.	رسائل الكندي الفلسفية تحقيق وتقديم الدكتور: أبي ريدة، والتفكير الفلسفي في الإسلام للدكتور عبدالحليم محمود، ص218، دار المعارف - مصر
73.	رسائل في الأديان والفرق، محمد الحمد، نشر: دار ابن خزيمة، الرياض،

	ط:1، 1427هـ، الموسوعة العربية العالمية
.74	الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، نشر: مكتبة الفلاح، الكويت، دار النفائس، الكويت، ط: 4، 1410هـ – 1989م
.75	روايات القصة في: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، نشر: دار الفكر – بيروت، (بدون)
.76	روح المعاني، شهاب الدين محمود الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1415هـ
.77	الروح، ابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (بدون)
.78	زاد المسير في علم التفسير، للمؤلف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: 1 – 1422هـ
.79	زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ ، 1994م
.80	زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ /1994م
.81	زاد المعاد في هدي خير العباد، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: 27، 1415هـ – 1994م
.82	السلوك لمعرفة دول الملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقريزى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، لبنان – بيروت، ط: 1، 1418هـ – 1997م
.83	السنة، أحمد بن حنبل، بتصحيح إسماعيل الأنصاري، نشر: رئاسة البحوث العلمية، السعودية
.84	سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت
.85	سنن الترمذي تحقيق: بشار عواد معروف، نشر: دار الغرب

	الإسلامي – بيروت، 1998م
.86	سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة ط: 3، 1405هـ – 1985م.
.87	الشامل في أصول الدين، أبو المعالي الجويني، تحقيق هلموت كلوبفر، دار العرب للبستاني، القاهرة، مصر (بدون)
.88	شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، نشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط: 1، 1406هـ – 1986م
.89	شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي"، زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، وماهر ياسين فحل، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1423هـ – 2002م
.90	شرح الشفا للقاضي عياض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1421هـ
.91	شرح الطحاوية لابن جبرين (صوتي).
.92	شرح العقيدة التدمرية لابن تيمية، ناصر العقل، درس رقم 25 "صوتي".
.93	شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، نشر: دار السلام، ط: 1، 1426هـ – 2005م
.94	شرح العقيدة الواسطية"، محمد صالح العثيمين، نشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام – المملكة العربية السعودية، ط: 6، 1421هـ.
.95	الشعوبيَّة حركة مضادَّة للإسلام والأمَّة العربيَّة، عبد الله سلُّوم السامرائي
.96	الشيعة والتشيع، إحسان إلهي ظهير، نشر: إدارة ترجمان السنة،

	لاهور – باكستان، ط: 10، 1415هـ – 1995م
.97	الصابئة، الدكتور: علي محمد عبد الوهاب، دار ركابي – القاهرة، ط: 1 1996م
.98	الصابئين، الأمة المقتصدة، الدكتور: أحمد حجازي السقا، مكتبة النافذة، الجيزة – مصر، ط1، 2003هـ
.99	صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت
.100	صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: أحمد بن علي، نشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، ط: 1421هـ – 2000م
.101	الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم، تحقق: علي بن محمد الدخيل الله، نشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1408هـ
.102	صيد الخاطر: بعناية: حسن المساحي سويدان، نشر: دار القلم – دمشق، ط: 1،هـ1425هـ – 2004م
.103	طبقات الأطباء والحكماء، ابن جلجل، تحقيق الأستاذ فؤاد السيد، ط. المعهد الفرنسي، القاهرة، 1955.
.104	طبقات الحفاظ، السيوطي: نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1403
.105	طبقات الشافعية الكبرى"، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 2، 1413هـ
.106	طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد عمر، نشر: مكتبة وهبة – القاهرة، ط. 1.

.107	طبقات النحويين واللغوين، محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، أبو بكر الإشبيلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: 2، نشر: دار المعارف، بيروت
.108	عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس السفاح.
.109	العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت (بدون)
.110	العقيدة التدمرية، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد بن عودة السعوي، نشر: مكتبة العبيكان – الرياض، ط: 6، 1421هـ – 2000م
.111	عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، الدكتور: محمد ملكاوي، نشر: مكتبة دار الزمان ط: 1، 1405هـ – 1985م
.112	علام النبوة، علي بن محمد الماوردي، نشر: دار ومكتبة الهلال – بيروت، ط: 1 – 1409هـ.
.113	علم الأديان، الدكتور: خزعل الماجد، نشر: مؤمنون بلا حدود، الرباط – المغرب، ط: 1، 2016م
.114	العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، عز الدين ابن الوزير، محمد بن إبراهيم الحسني القاسمي، أبو عبد الله، تحقيق وضبط، نشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 3، 1415هـ
.115	العين، الخليل بن أحمد، تحقيق د. مهدي المخزومي، الدكتور. إبراهيم السامرائي نشر: دار ومكتبة الهلال (بدون)
.116	عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي، تحقيق: الدكتور: نزار رضا، نشر: دار مكتبة الحياة – بيروت، (بدون)

عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية"، أبو القاسم شهاب الدين أبو شامة، تحقيق: إبراهيم الزيبق، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: 1، 1418هـ/ 1997م	.117
غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود الألوسي، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1422هـ– 2001م	.118
غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، نشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.	.119
الغنية في أصول الدين، عبد الرحمن بن مأمون النيسابوري، أبو سعد، تحقيق وتقديم: مارى برنان، نشر: المعهد الفرنسى للآثار الشرقيه، 1986 – القاهرة (ملحق حوليات إسلامية)، ع7	.120
فتاوى اللجنة فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط:3، 1419	.121
فرق الشيعة، الحسن بن موسى النوبختي، نشر دار الأضواء، بيروت – لبنان، 1404هـ – 1984م	.122
الفصل، ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، نشر: مكتبة الخانجي – القاهرة	.123
فصول في أديان الهند، الدكتور: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، المدينة المنورة: دار البخاري	.124
الفوائد، ابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1393 هـ – 1973م	.125
قالوا عن الإسلام، الدكتور عماد الدين خليل، نشر: الندوة العالمية	.126

	للشباب الإسلامي – الرياض، ط. 1، 1412هـ
.127	قاموس الكتاب المقدس، ص 1085، نخبة من الأساتذة النصارى، ط2. القاهرة، دار الثقافة المسيحية
.128	القاموس المحيط مجد الدين أبو طاهر الفيروزآبادى. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط.8، 1426 هـ – 2005م،
.129	القصيدة النونية لأبي محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني المالكي، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع نشر: دار الذكرى.
.130	القصيدة النونية، تصحيح وتعليق محمد بن أحمد سيد أحمد، نشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية ط.1، 1409هـ
.131	الكافية الشافية، ابن قيم الجوزية، نشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: 2، 1417هـ
.132	الكامل في التاريخ، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط: 1، 1417هـ – 1997م
.133	كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي، تحقيق لطفي عبد البديع، ترجمة عبد النعيم محمد حسنين، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1382هـ – 1963م
.134	كشف الظنون، وهداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد الباباني البغدادي طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان
.135	كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، نشر: دار القلم، دمشق، ط: 2، 1412هـ – 1991م

.136	لسان العرب، ابن منظور، دار صادر – بيروت، ط.3 – 1414هـ
.137	لسان الميزان، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعرف النظامية – الهند، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت – لبنان، ط: 2، 1390هـ ، 1971م
.138	لوامع الأنوار البهية، السفاريني، نشر: مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط: 2 – 1402هـ – 1982م
.139	ما لا يسع المسلم جهله" لعبد الله المصلح، وصلاح الصاوي
.140	مبادئ الفلسفة، رينيه ديكارت، تعليق د/ عثمان أمين، نشر: دار الثقافة للنشر والتوزيع، (بدون).
.141	مجابو الدعوة، أبو بكر ابن أبي الدنيا: تحقيق: الشيخ زياد حمدان، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، ط: 1، 1413هـ – 1993م
.142	مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض،ع5.
.143	مجموع فتاوى شيخ الإسلام، ابن تيمية تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، نشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، 1416هـ – 1995م
.144	المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1421هـ – 2000م
.145	مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية – بيروت – صيدا، ط: 5، 1420هـ ، 1999م
.146	مدارج السالكين شرح منازل السائرين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، نشر: دار الكتاب العربي – بيروت ط: 2، 1393 – 1973.

.147	المدخل إلى معاني الفلسفة، عرفان عبد الحميد، دار الجيل بيروت، دار عمار لبنان، ط: 1، 1409هـ
.148	المدرسة الفلسفية في الإسلام بين المشائية والإشراقيه، الدكتور: محمد الفيومي، دار الثقافة، مصر 1410هـ
.149	المدرسة الفلسفية في الإسلام، محمد الفيومي، دار الثقافة، مصر 1410هـ
.150	المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، الدكتور: غالب بن علي عواجي، نشر: المكتبة العصرية الذهبية – جدة، ط: 1، 1427هـ – 2006م
.151	مذكرة التوحيد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1420هـ، عبد الرزاق عفيفي
.152	مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سيط ابن الجوزي، عدد من المحققين، نشر: دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا، ط: 1، 1434هـ – 2013م
.153	مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن على بن الحسين المسعودي، ط. دار الشعب، القاهرة (بدون)
.154	مسند أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421هـ – 2001م
.155	المشكلة الأخلاقية والفلاسفة"، يدل على تعمقه في هذا الباب، ولم يترجماً له، ولعله أحد رواد جامعة باريس التي
.156	المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ناشر: المكتبة العلمية – بيروت (بدون)
.157	المصطلح الفلسفي عند العرب، الدكتور: عبد الأمير الأعسم، نشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: 2، 1997م، ص197
.158	معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر: دار ابن القيم – الدمام، ط: 1، 1410هـ –

1990م	
معارج القبول معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، نشر: دار ابن القيم – الدمام، ط: 1، 1410هـ – 1990م	.159
معجم الأدباء، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1414 هـ – 1993م	.160
معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، نشر: دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995م	.161
معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ط: 2، 1995م	.162
معجم ألفاظ العقيدة، أبو عبد الله عامر عبد الله فالح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط: 2، 1420هـ، ص 248	.163
المعجم الفلسفي، إصدار مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية سنة 1399م	.164
المعجم الفلسفي، جميل صليبا، نشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت ط: 1، 1979م	.165
المعجم المختص بالمحدثين"، الذهبي، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، نشر: مكتبة الصديق، الطائف، ط: 1، 1408 هـ – 1988م	.166
معجم المؤلفين عمر رضا كحاله، نشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت	.167
المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ط: دار الدعوة	.168
معجم مقاييس اللغة، أبو الحسينِ الفارسي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر دار الفكر، ط. 1399هـ – 1979م	.169

.170	مفاتيح الغيب المسمى: التفسير الكبير، الرازي، نشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: 3 – 1420هـ
.171	مفتاح دار السعادة، ابن القيم، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (بدون)
.172	مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية – بيروت (بدون)
.173	المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، نشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط.1 – 1412هـ
.174	المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الدكتور: جواد علي، نشر: دار الساقي ط: 4، 1422هـ– 2001م
.175	مقارنات الأديان –الديانات القديمة–، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م
.176	مقالات الإسلاميين، أبو الحسن أشعري، تحقيق: نعيم زرزور، نشر: المكتبة العصرية، ط: 1، 1426هـ – 2005م
.177	مقالات الإسلاميين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق: نعيم زرزور، نشر: المكتبة العصرية، ط: 1، 1426هـ – 2005م، أبو الحسن الأشعري، ص270، وتعارض العقل والنقل
.178	مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي، نشر: دار القلم، بيروت، ط: 5، 1984م
.179	ملتقى أهل الحديث، الشبكة العنكبوتية – www.ahlalhdeeth.com
.180	المنتظم، عبد الرحمن بن الجوزي، تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1، 1412هـ – 1992م

181.	المنقذ من الضلال، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، نشر: المكتبة الثقافية، بيروت – لبنان، تحقيق: محمد محمد جابر (بدون)
182.	منهاج العابدين إلى رب العالمين إلى جنة رب العالمين، أبو حامد الغزالي، تحقيق د. محمود محلاوي، دار البشاير الإسلامية بيروت، ط2، 1417هـ
183.	منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة، أحمد بن علي الزاملي عسيري، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، نشر: 1431هـ
184.	الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر بن عبد الله القفاري، وناصر بن عبد الكريم العقل، دار الصميعي – الرياض ط. 1
185.	الموسوعة الاسلامية، مجموعة من المستشرقين، ط2، مكتبة بريل ليدن، 1981م
186.	الموسوعة العربية العالمية، شارك في إنجازها أكثر من ألف مؤلف ومحرر، ط.2 الرياض
187.	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، نشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط.4، 1420هـ
188.	موقع الإمام الأكبر عبد الحليم محمود، الشبكة العنكبوتية – http://abdel-halim.org.
189.	موقع الدرر السنية على الإنترنت "dorar.net"، بإشراف الشيخ: عَلوي بن عبد القادر السقاف
190.	موقع الموسوعة الحرة، الشبكة العنكبوتية – ar.wikipedia.org.

.191	مؤلفات ابن الجوزي، عبد الحميد العلوجي طبع في بغداد سنة 1965
.192	النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردي، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر
.193	نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر- بيروت - لبنان ط: 1، 1997
.194	نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني، حرره الفرد جيوم مكتبة، الثقافة الدينية (بدون)
.195	النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات بن الأثير الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، نشر: المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م
.196	هداية الحيارى، ابن القيم تحقيق: محمد أحمد الحاج، نشر: دار القلم- دار الشامية، جدة - السعودية، ط: 1، 1416هـ - 1996م
.197	هداية الحيارى، ط: دار ابن زيدون
.198	الهندوس والسيخ، محمد بن إبراهيم الشيباني
.199	الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ- 2000م
.200	وجاء دور المجوس، د. عبد الله محمد الغريب، نشر: دار الجيل - مصر
.201	وفوات الوفيات، صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت، ط: 1
.202	وفيات الأعيان، ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، نشر: دار صادر - بيروت

فهرس الموضوعات